الخبايا في الزوايا

تأليف

العلامة النحوي

عمر بن علوي بن أبي بكر الكاف

رحمه الله رحمة الأبرار

تعليقات نجل المؤلف

حيدروس بن عمر بن علوي الكاف

دار الحاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الخبايا في الزوايا

تأليف

العلّامة النّحوي

عُمَر بن علويّ بن أبي بكر الكافْ

رحمه الله رحمة الأبرار

تعليقاتُ نجلِ المؤلِّف

عيدروس بن عمر بن علوي الكاف



١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن حياة المؤلف

الحمدُ للهِ العظيمِ المنَّانِ ، وليِّ الإحسانِ ، المُتفضِّلِ علىٰ عِبادِهِ بدونِ ٱمتنانٍ ، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ سيِّدِنا مُحَمَّدٍ خيرِ ولدِ عدنانَ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومَنْ والاهُمْ بِإحسانٍ منْ يومِنا هـٰذا إلىٰ يومِ نصبِ الميزانِ .

أما بعد

ففي كلِّ زمانٍ رجالٌ ، خصَّهُمُ المولىٰ بخصوصيَّاتٍ متنوِّعةٍ ، يهبُها لمنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ، فجعلَ التَّمكينَ في الأَرضِ لبعضِهِمْ ، وغرسَ المحبَّةَ في نفوسِ النَّاسِ للبعضِ الآخرِ ، ووهبَ لآخرينَ الدِّقَّةَ في الفَهْمِ ، أَعطاهُمْ أذهاناً صافيةً مُنيرةً ، ميَّزتْهُم عنْ غيرِهِمْ مِنَ الرِّجالِ ، فسخَّروا هـٰذا الفهمَ الدَّقيقَ ، والذِّهْنَ الصَّافيَ المنيرَ ؛ لاكتراعِ نقيِّ العلومِ منْ بحورِها ، وٱغترافِ صافي ٱلحِكَمِ مِنْ يَنابيعِها ،

فَعَلَوْا بالعلومِ إِلىٰ الذُّروةِ ، فأَصبحوا لخيارِ الناسِ قدوةً ، فٱنتفعتْ بِهِمُ الأُمَّةُ .

فمنهُمْ بحرُ العلمِ الزَّاخرِ ، والفهمِ الباهرِ ، أَحدُ النُّجومِ الزَّواهرِ ، سيِّدي العلاَّمةُ ، البحرُ الفهَّامةُ : (عمرُ بنُ عَلويِّ بنِ أَبي بكرِ بنِ أَحمدَ ٱلكافِ) .

بزغَ نورُ هٰذا النَّجمِ ـ في سماءِ الغنَّاءِ (تريمِ) في (٨) ربيعِ الأَوَّلِ (١٣٢٥هـ) ـ مِنْ أَبوينِ كريمينِ ، هُما والدُهُ السَّيِّدُ المستقيمُ ذوُ الخُلُقِ الحَسَنِ : علويُّ بنُ أَبي بكرِ بنِ أَحمدَ الكافِ ، والشَّريفةُ التَّقيَّةُ : علويَّةُ بنتُ أَحمدَ بنِ عَلويٍّ السَّريِّ .

هاجرَ والدهُ إِلىٰ جنوبِ شرقيِّ (آسيا) وهوَ صغيرٌ وماتَتْ أُمُّهُ وهوَ في سنِّ ٱلصِّبا . فتربَّىٰ وترعرعَ في حضنِ جدِّهِ لأمِّه ، ٱلوليِّ ٱلصالح ، ٱلمتواضعِ ٱلنَّاسِكِ : أَحمدَ بنِ علويٍّ السَّريِّ ، فكان لَهُ ٱلأَثرُ ٱلبالَغُ في حياةِ سِبْطِهِ ٱلاجتماعيةِ وٱلعلميَّةِ ، فتأَدَّبَ بأَدبهِ ، وٱهتدىٰ بِهديِهِ ، وأَخذَ عنهُ ، فكانَ مدرستَهُ ٱلأُولىٰ ، وشيخَ فَتْحِهِ .

* * *

١ـ حياته العلمية

بدأ طلبَهُ للعلمِ بتعلُّمِ ٱلقرآنِ الكريمِ ، وٱلقراءَةِ وٱلكتابةِ في إحدىٰ كتاتيبِ (تريمِ) ٱلأَثريَّةِ : (عُلْمَة باغريب) ، ثمَّ ٱنتقلَ إلىٰ مدرسةِ جمعيَّةِ ٱلحقِّ ـ هـٰذهِ المدرسةُ ذاتُ ٱلمناهـجِ ٱلقـويَّـةِ تفـوقُ حـاليّـاً ٱلجـامعـاتِ فـي ٱلعلـومِ ٱلإسلاميَّةِ ، وٱلعلومِ ٱللُّغويَّةِ ـ ، ثمَّ ٱستكملَ دراستَهُ متنقِّلاً بينَ الأَربطةِ وٱلزَّوايا ، يتلقَّىٰ مختلفَ ٱلعلومِ مِنْ أَساطينِ ٱلعلماءِ ، ورجالاتِ ٱلأَدبِ ، مُستعيناً في ذلكَ بتقييدِ ٱلمسائلِ وسهرِ ٱلليالي في مُطالعةِ أُمَّهاتِ ٱلكتبِ ، ومحاورةِ ٱلعلماءِ ، إلىٰ أَنْ برعَ في علومٍ شتَّىٰ ـ كالنَّحوِ ، وٱلصَّرفِ ، وٱلبلاغةِ ، وٱلفقهِ ، وٱلتَّفسيرِ ، وٱلحديثِ ، وٱلتَّاريخِ ، وٱلأَنسابِ ، وٱلتَّراجمِ ـ حتَّىٰ برزَ فيها ، وٱعتلىٰ صهوتَها ، وصنَّفَ فيها ، وأَصبحَ لبعضِها ـ كالنَّحوِ وٱلصَّرفِ وٱلبلاغةِ ـ أُمّاً وأَباً ، فسُمِّيَ بسيبويهِ زمانِهِ .

أـ لَهُ شيوخٌ كثيرونَ ، منهمْ مَنْ أَخذَ عنهمْ أَخذاً تامّاً كأَمثالِ :

* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ الناسكِ ٱلمتواضعِ : أَحمدَ بنِ علويٍّ السَّريِّ .

* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ ٱلمتواضعِ أَبي بكرِ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلسَّريِّ .

* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ شيخِ ٱلشُّيوخِ : عبدِ الله بنِ عمرَ ٱلشَّاطريِّ .

* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ ٱلورعِ : أَحمدَ بنِ عمرَ الشَّاطريِّ .

* ٱلحبيبِ العلاَّمةِ الدَّاعيةِ : علويِّ بنِ عبدِ الله بنِ شهابٍ .

* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ الإمامِ : علويِّ بنِ عبدِ الرحمنِ ٱلمشهورِ .

* ٱلحبيبِ العلاَّمةِ النَّاسكِ : عليِّ بنِ عبدِ الرحمنِ ٱلمشهورِ .

* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ ذي ٱلقدرِ ٱلكبيرِ : عبدِ الله بنِ عَيدروسَ العَيدروسِ .

* ٱلحبيبِ العلاَّمةِ الدَّاعيةِ : عبدِ ٱلباري بنِ شيخِ ٱلعيدروسِ .

* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ ٱلمتواضعِ : سالمِ بنِ حفيظِ بنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ .
* ٱلشَّيخِ ٱلعلاَّمةِ الفاضلِ : أَبي بكرِ بنِ أَحمدَ ٱلخطيبِ .
* ٱلشَّيخِ ٱلعلاَّمةِ الفاضلِ : محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلخطيبِ .
* ٱلشَّيخِ ٱلعلاَّمةِ ٱلنَّحويِّ : توفيقِ فرج أَمانٍ .

كما إنَّ لَهُ شيوخَ تَبرُّكٍ كأَمثالِ :

* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ كبيرِ الأَولياءِ : عليِّ بنِ محمَّدٍ ٱلحبشيِّ .
* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ الدَّاعيةِ : أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ .
* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ ٱلمتواضعِ : أَحمدَ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ السَّقافِ .
* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ المُربِّي : محمدِ بنِ هادي ٱلسَّقَّافِ .
* ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ ٱلبليغِ : عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عُبيدِ اللهِ ٱلسَّقَّافِ .
* وغيرِهِمْ كثيرٌ . .

وقدِ ٱفتتحَ حياتَهَ ٱلتَّعليميَّةَ بالتَّدريسِ في رباطِ (تريمِ)

عامَ (١٣٤٥هـ) ، ذلكَ ٱلمعهدِ ٱلعلميِّ ٱلرَّفيعِ ٱلمستوىٰ ، وذلكَ في فترتيِ ٱلفجرِ وٱلمغربِ ، ثمَّ طُلِبَ للتَّدريسِ في مدارسِ ٱلكافِ في ٱلفترةِ ٱلصَّباحيَّةِ ، وٱستمرَّ بها حتَّىٰ دُمجتْ هٰذه ٱلمدارسُ بمدرسةِ ٱلأُخوَّةِ وٱلمُعاونةِ .

وعندَما قامَ بعضُ رجالاتِ ٱلعلمِ وٱلمهتمِّينَ بمستقبلِ ٱلحركةِ ٱلتَّعليميَّةِ بتأسيسِ ٱلمعهدِ ٱلفقهيِّ بـ (تريم) . . طُلِبَ للتَّدريسِ فيهِ ، وتولَّىٰ إدارتَهُ ، وٱستمرَّ بهِ حتَّىٰ أُقفِلَ .

كما تولَّىٰ رئاسةَ ٱلتدريسِ بِقُبَّةِ آلِ عبدِ اللهِ بنِ شيخ ٱلعَيدروسِ عامَ (١٣٧٦هـ) ، يدرِّسُ فيها ٱلنَّحوَ وٱلفقهَ وٱلتفسيرَ إلىٰ آخرِ حياتِهِ ـ رضيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ وفي أثناءِ تلكَ ٱلمدَّةِ ٱلَّتي قضاها بينَ ٱلرِّباطِ وٱلمدرسةِ كانَ بيتُهُ مفتوحاً لطلاَّبِ ٱلعلمِ ، فتراهُ طولَ يومِهِ مشغولاً بالعلمِ والتَّعليمِ ، منَ ٱلفجرِ إلىٰ ما شاءَ اللهُ منَ ٱللَّيلِ ، بينَ ٱلرِّباطِ وٱلمدرسةِ ودروسِ ٱلبيتِ ، وقدْ أمضىٰ منْ عُمُرِهِ أكثرَ مِنْ ستِّينَ عاماً ، بلْ جُلَّ حياتِهِ في بذلِ ٱلعلمِ بسخاءٍ مُحتسباً للهِ تعالىٰ .

كما بلغَ بهِ ٱلحرصُ علىٰ بذلِ ٱلعلمِ حتَّىٰ في ٱلسفرِ ،

فعندما حَجَّ عامَ (١٤١٠هـ) ٱلحجَّةَ ٱلثَّانيةَ ـ ٱلتمسَ منهُ ٱلسيِّدُ ٱلفاضلُ ٱلعالمُ ٱلأديبُ لطيفُ ٱلأخلاقِ : عبدُ ٱلقادرِ بنُ سالمِ بنِ علويٍّ ٱلخِرِدِ . . أَنْ يُلقيَ بعضَ ٱلدُّروسِ في ٱلنَّحوِ وٱلفقهِ لأَبنائِهِ وطلاَّبهِ وبعضِ طُلاَّبِ ٱلعلمِ في (جُدَّةَ) فلبَّىٰ طلبَهُ دونَ تردُّدٍ ، وعقدَ لهمْ درساً في ٱلصَّباحِ يأْتونَ إِليهِ إِلىٰ محلِّ إِقامتِهِ ، لمدةٍ تزيدُ علىٰ ثلاثةِ أَشهرٍ ، معَ أَنَّهُ كانَ في ذلكَ ٱلوقتِ في ٱلعقدِ ٱلتاسعِ مِنْ عُمُرِهِ ، فٱرتبطَ بهِ عددٌ كبيرٌ منَ ٱلعلماءِ وطُلاَّبِ ٱلعلمِ ، وأَخذوا عنهُ ٱلشيءَ ٱلكثيرَ مِنَ ٱلعلمِ والأَدبِ ـ .

وممَّا يُذْكَرُ أَنَّهُ عندما حَجَّ . . ٱستُقبلَ ٱستقبالاً كبيراً في (ٱلمملكةِ ٱلعربيةِ السُّعوديَّةِ) مِنْ قِبلِ أَعيانِ (مَكَّةَ) و (جُدَّةَ) وخاصَّةً ٱلحضارِمَ ، مِنْ بينِهِمْ صهرُهُ وٱبنُ شيخِهِ ٱلسَّيِّدُ ٱلعلاَّمَةُ وٱلبحرُ ٱلفهامَةُ فريدُ عصرِهِ ٱلحبيبُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ ٱلشَّاطريُّ ، وٱلإِمامُ ٱلعلاَّمةُ ٱلدَّاعيةُ أَحمدُ بنُ مشهورٍ ٱلحدَّادُ ، وإِمامُ ٱلخلفِ وخليفةُ ٱلسَّلفِ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ أَحمدِ ٱلسَّقَّافُ .

وقدْ أُلقيتْ في ٱلحفلِ ـ ٱلَّذي أُقيمَ في بيتِ ٱلمغفورِ لهُ ٱلسيِّدِ ٱلعلاَّمةِ يحيىٰ بنِ أَحمدَ ٱلعَيدروسِ ـ عددٌ مِنْ قصائِدِ

ٱلتَّرحيبِ لمْ أَعثرْ علىٰ شيءٍ منها ، وإِنَّما بقيَتْ في ذاكرتي مَطلعُ قصيدةٍ للشَّاعرِ ٱلأَديبِ ، ٱلعالمِ ٱلفاضلِ ، عبدِ ٱلقادرِ بنِ سالمِ خِردٍ ، يقولُ فيها :

هـٰذي (تَرِيمُ) حَلَلْنا في مَغانِيها	أَمْ صُورَةٌ قدْ حَوَتْ أَسْمَىٰ مَعانِيها
ٱلحمدُ للهِ ، بَلْ هـٰذي حَقيقتُها	وهـٰـذهِ ثَمَـرَاتٌ مِـنْ مجَـانِيهـا
هـٰذي مَجالسُها، هـٰذي مَحاضِرُها	هـٰذي مَسَامِرُها ، هـٰذي لَيَالِيها
وذاكَ عَالِمُها في ٱلصَّدْرِ مُنْتَصِبٌ	يُرِيكَ في حَاضِرِ ٱلغَنَّاءِ ماضِيها
إِذا تَكَلَّـمَ فَهْـوَ ٱلـدُّرُّ يَنْثُـرُهُ	يُبدِي لَنا مِنْ عُلومِ ٱلأَهْلِ خافِيْها
إِنْ جالَ في ٱلفِقْهِ فالإِفْتاءُ مَنْصِبُهُ	أَوْ في ٱلتَّراجِمِ أَغنىٰ حينَ يُمْلِيها
أَمَّا ٱلنُّحاةُ فقدْ أَلْقَوا ٱلزِّمامَ لَهُ	وَهُمْ يَقولونَ أَعْطِ ٱلقَوْسَ بَارِيها
لَيثُ ٱلعَـرِيـنِ بـهِ ٱلغَنَّـاءُ عـامِـرَةٌ	أَدَامَـهُ اللهُ نُـوراً سـاطِعـاً فِيهـا
أَهْلاً بِكُمْ عَالمَ ٱلغَنَّاءِ مُوفَدَها	مُـدُّوا إِلىٰ اللهِ كَفَّـاً فـي أَمـانِيهـا

* * *

وفي ٱجتماعٍ آخرَ ضمَّ عدداً مِنْ علماءِ (جُدَّةَ) وأَعيانِها وشبابِها . . قالَ ٱلحبيبُ ـ ٱلبركةُ ٱلسيِّدُ ٱلمتواضعُ أَبو بكرٍ ٱلعطَّاسُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلحبشيُّ ما معناهُ ـ (ياأَيُّها ٱلشبابُ . .

لقد أَرسلَ إِليكمْ سلفُكُمْ ٱلصالحُ بِـ(تريمٍ) نسخةً منهم هوَ ٱلحبيبُ عمرُ بنُ علويٍّ . . لِيتمتَّعَ بالنَّظرِ فيها ٱلشبابُ ٱلذينَ لمْ يسبقْ لهمُ ٱلخروجُ إِلىٰ (حَضرَمَوْتَ) ؛ لِينظُروا إِليهِ وينظرَ إِليهمْ ، ويرتبطونَ بهِ ، وقدْ أَرسلوهُ لأَجلِ هٰذهِ ٱلمهمَّةِ ـ لا ـ للحجِّ ؛ لأَنَّهُ قدْ حجَّ قبلَ سنواتٍ) .

كما زارهُ في محلِّ إِقامتِهِ بـ (جُدَّةَ) ٱلسيدُ ٱلعلاَّمَةُ ٱلدكتورُ محمَّدُ بنُ علويٍّ ٱلمالكيُّ ، وقرأَ عليهِ وأَجازَهُ .

أَمَّا أُسْلوبُه عندَإِلقاءِ ٱلدَّرسِ فيجذُبُ ٱلأَلبابَ ويشُدُّ ٱلأَذهانَ ، يتمثَّلُ بالآياتِ ٱلقرآنيَّةِ ، وٱلأَحاديثِ النبويَّةِ ، وٱلأَبياتِ ٱلشعريةِ ، وتَتَخلَّلُ تقريرَهُ ٱلنَّادرةُ ٱلعلميَّةُ والقصَّةُ المثيرةُ ، لَهُ دُرْبَةٌ في إِيصالِ المعلوماتِ إِلىٰ أَذهانِ مُريديهِ ، وعندَما تشاهدُهُ وهوَ يشرحُ « أَلفيَّةَ ٱبنِ مالكٍ » في ٱلنَّحوِ تراهُ مُستغرقاً في ٱلشرحِ ، يكادُ يسيلُ لُعابُهُ مِنْ شدَّةِ ٱلاستغراقِ ، يتحدَّثُ ٱلسَّاعةَ والسَّاعاتِ دونَ الرُّجوعِ إِلىٰ كتابٍ ، لا يُجاريهِ في هٰذا ٱلعلمِ مُجارٍ ، ولاَ يُسابقُهُ مُسابِقٌ ، وقد وصفَتْهُ بعضُ الصُّحفِ بسيبويهِ زمانِهِ .

قالَ عنهُ الأُستاذُ القديرُ ، والعالمُ النِّحريرُ ، أُستاذُ

الجيلِ ، ٱلحسينُ بنُ عَيدروسَ عَيديدُ ، في مقالٍ كتبهُ عن صاحبِ ٱلتَّرجمةِ :

(مِنَ ٱلمعلومِ أَنَّ شيخَنا سيِّدَنا عمرَ بنَ علويٍّ بنِ أَبي بكرٍ ٱلكافَ أَمضىٰ جُلَّ حياتِهِ في بذلِ ٱلعلمِ بسخاءٍ حتَّىٰ وفاتِهِ ، فجلساتُهُ كُلُّها بحوثٌ ومناقشاتٌ علميَّةٌ ، وهو بحقٍّ وحقيقةٍ مِمَّنْ يستمتعُ بأَداءِ واجبِهِ ٱلصعبِ ، إِذ هوَ مِنْ أَجَلِّ مَنْ حملَ علومَ ٱللُّغةِ العربيَّةِ بحدَّتها وصعوباتِها ، وٱستطاعَ تَذليلَها ، وتقديمَها لمريدها أطباقاً شهيةً ، حتى أُطلقَ عليه سيبويهِ عصرِهِ) .

لقدْ ضَحَّىٰ بالغالي والنَّفيسِ في سبيلِ ٱلقيامِ بمهمَّةِ ٱلتعليمِ بطريقةٍ مُثلىٰ ، لمْ يكتسبْ بها ، ولمْ يستفدْ منها مادِّيّاً ، بلْ أَنَّه يَعُدُّ طلبتَهُ في منزلهِ ضيوفاً أَكارمَ ، يقدِّمُ لهمْ شيئاً منَ القِرىٰ ، ترغيباً لهمْ في طلبِ ٱلعلمِ ، زيادةً علىٰ ما يضفيهِ علىٰ جُلاَّسِهِ منْ حكاياتٍ ونِكاتٍ ، تنشيطاً لهمْ ، وهـٰذه ٱلطَّريقةُ ٱلتَّربويَّةُ ٱلصحيحةُ .

لا شكَّ أَنَّهُ يتمتَّعُ بفراسةٍ هيَ كما يُقالُ : (اِتَّقوا فِرَاسَةَ ٱلمؤمنِ ؛ فهوَ ينظرُ بِنَظَرِ اللهِ) . فكمْ أَعادَ إِلىٰ طلاَّبهِ

وجُلاَّسهِ الثِّقةَ إلىٰ نفوسِهِمْ منَ الَّذينَ قسىٰ عليهِمْ مجتمعُهُمْ وكمْ في مجتمعِنا منْ مهضومٍ مقهورٍ ، لذا فإنَّ سيِّدَنا يُضمِّدُ جراحَهُمْ ويشفي غليلَهُمْ .

ومنْ أثناءِ قصيدةٍ عصماءَ لهُ يُرحِّبُ بصاحبِ التَّرجمةِ عندما عادَ منَ الحَجِّ تحتَ عنوانِ (عُدْتَ والعَوْدُ أحمدُ) :

هاهُنا ٱلعِلْمُ هاهُنا الفُرْسانُ ... تُرْخِي ٱلعِنانَ في حَلَبَاتِهْ

هاهُنا أَيْكةُ ٱلعلومِ وهـٰذا الرَّ ... ـوْضُ زاهٍ أمَا ترىٰ بَاسِقَاتِهْ

فَتَمَتَّعْ وٱنْهَلْ أخَا ٱلعِلْمِ كَأْساً ... عَلَّ تَرْوِيْ ٱلغليلَ مِنْ رَشَفَاتِهْ

في (تَرِيمِ) ٱلغَنَّاءِ فَيْضٌ مِنَ ٱلعِلْـ ... ـمِ سُقِينا رَحيقَهُ مِنْ سُقَاتِهْ

ورَضَعْنا لُبَانَهُ ٱلصَّافِيَ ٱلرَّقْـ ... ـرَاقَ حُلْوَ ٱلمَذاقِ مِنْ مُرْضِعَاتِهْ

(اهـ) .

* * *

ولمَّا أثقلَتْهُ الشَّيخوخَةُ . . عقدَ دُروساً في ٱلفقهِ وٱلنحوِ وٱلتَّراجمِ في بيتهِ العامرِ ، عشيَّةَ كُلِّ يومِ أَحدٍ ، يحضرُها كثيرٌ من عُلماءِ وأعيانِ وشبابِ (تريم) ، قرئَتْ فيها معظمُ كتبِهِ ، وقيلتْ فيها الأشعارُ ، أذكرُ منها ما قالهُ ٱلشاعرُ

الأديبُ الأُستاذُ محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عمرَ الجنيدُ منْ قصيدةٍ مطلَعُها :

حَدِّثْ ففي بعضِ الحديثِ شُجُونُ ... أَنا في حديثِكَ والِهٌ مفتونُ
وانْثُرْ علىٰ الأَسماعِ منكَ جواهراً ... تُحيي النُّفوسَ وللسبيلِ تُبينُ

إلىٰ أَنْ قالَ :

يَا مَدْرَسَ الأَحَدِ النَّضيرِ تَحِيَّةٌ ... منِّي فَصُبْحُكَ مُشْرِقٌ وَمُبينُ
إِنَّا لَنَنْهَلُ مِنْ دقائِقِكَ القِصا ... رِ مناهِلاً مَرْدُودُها مَضْمُونُ
فإِليكَ شيخَ الجيلِ شُكْرٌ شَابهِ ... وُدٌّ بِأَعماقِ النُّفُوسِ كَمِينُ
فَحَديثُكُمْ رَيُّ الصَّدَاةِ وَدَرْسُكُمْ ... سِفْرٌ بِهِ آيُ العُلُومِ فُنونُ
نَطَقَتْ بِفَضْلِكُمُ المَعاهِدُ مثلَمَا ... شَهِدَتْ شُرُوحٌ قبلَها وَمُتُونُ
دَرْبٌ طويلٌ سِرْتُمُوهُ مَعَ العَنَا ... يُومي بأَنَّكَ بالفَخَارِ قَمِينُ

* * *

٢ـ تواضعه وأخلاقه وحياته الاجتماعية

عندما أَصِفُ تواضعَ هـٰذا الجِهْبذِ . . أَصفُ التَّواضعَ في أَدَقِّ صفاتهِ ، وَالخمولَ في أَقصىٰ نِهايتِهِ . رجلٌ لا يحبُّ الظُّهورَ ، يرىٰ نفسَهُ أَقلَّ النَّاسِ علماً ، وأَضعفَهُمْ

عملاً ، لا يحبُّ فضولَ ٱلكلامِ ، ولا يميلُ إِلىٰ ثرثرتِهِ ، وإِذا تكلَّمَ . . لا يتكلَّمُ إِلاَّ في الكلامِ المفيدِ ، وبعبارةٍ تجذبُ ٱلمستمعينَ .

إِذا عاتَبَ . . عاتبَ بأُسلوبٍ مُهذَّبٍ ، وإِذا نصحَ . . نصحَ بطريقةٍ مقنعةٍ ، يتميَّزُ بالسَّمتِ ٱلحسنِ ، وبلسانِه الرَّطبِ بذكرِ اللهِ في منزلِهِ ، وطريقِهِ ، وممشاهُ ، فلا يُلاحَظُ إِلاَّ وهو ذاكرٌ ٱللهَ ، قالَ عنهُ الأُستاذُ القديرُ حسينٌ عيدروسُ عَيْدِيدُ : كانَ ـ رضيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ ذا أَخلاقٍ عاليةٍ ، مُربِّياً قديراً ، لا يُشعِرُ جليسَهُ أَنَّهُ الأَعلىٰ ، أَو أَنَّهُ ـ حسبَ القاعدةِ المُطَّرِدَةِ عندَ ذوي ٱلجاهِ والمنصبِ الروحيِّ ـ يحاولُ جذبَ الناسِ حولَهُ ، وحَشْدَ ٱلأَتباعِ وراءَهُ ، وهـٰذا هوَ منتهىٰ ٱلتَّواضعِ .

أَمَّا دَماثَةُ أَخلاقِهِ ، ولينُ جانبِهِ ، وطِيبُ حديثِهِ ، حتَّىٰ معَ مَنْ يختلفُ معهُ في الرَّأْيِ والمذهبِ . . فقدْ ضمَّتْني معهُ ومعَ بعضِ ٱلمتطرفينَ . . مِمَّنْ يُدعَوْنَ بـ (السَّلَفِيِّين) ـ جلسةٌ خاصةٌ ـ في بيتهِ ، ٱستقبلهُ ٱستقبالاً يليقُ بهِ لا بالضَّيفِ ، وأَدارَ معهُ أَطرافَ ٱلحديثِ بأُسلوبهِ ٱلهادئِ اللَّيِّنِ ، أَعطاهُ صورةً مُشرِّفَةً لعلماءِ (تريمٍ) ، والسَّادةِ

ٱلعَلَويِّينَ ، الذين طالما تعرَّضَ لهم هـٰذا بالنَّقدِ ، والثَّلْبِ ، والتَّقليلِ مِنْ حقِّهمْ .

وأَكبرُ مِنْ هـٰذا عندما كنتُ عندَه في بيتِهِ إِذْ فاجأَهُ أَحدُ المسؤولينَ ٱلسِّياسِيِّينَ ومعهُ عالِمٌ مستشرِقٌ أَلْمانيٌّ مُؤَرِّخٌ ، عندَهُ ٱستفساراتٌ عَنْ حياةِ ٱلإِباضيِّينَ (بتريمِ) قبلَ تديُّرِ ٱلعلويِّينَ بها فأَجابَهُ إِجاباتٍ علميةً مفيدةً ، تتميَّزُ ببراعةٍ فائِقَةٍ في علومِ اللغةِ العربيَّةِ : نحوِها وصرفِها وبلاغتِها ، كما كانَ مَرْجِعاً في ٱلتاريخِ وخاصةً في جانبِ ٱلتراجمِ لأَسلافِهِ العلويِّينَ ، وغيرهمْ ، رجالاً ونساءً ، وقدْ كتَبَ في هـٰذا الفَنِّ ٱلمتخصِّصِ فيهِ ، وكتاباتُهُ مصدرٌ ومرجعٌ للمطَّلعينَ ، لِما لَهُ مِنْ مكانةٍ عاليةٍ في مجتمعِهِ ، وبينَ ذويهِ ، وأَتباعِهِ ، إِلاَّ أَنَّه لا يصدرُ عَنْ رأْيِهِ ويستبدُّ بالأَمرِ ، بلْ ينزِلُ علىٰ رأْيِ ٱلجماعةِ ، بعدَ الاستشارةِ ، وتبَادُلِ ٱلرأْيِ .

شِعْرٌ :

أُهْـدِي ٱلْقَصِيـدَ جَـوَاهِـراً   لِلْجَـوْهَـرِيِّ ٱلأَلْمَعِـيْ

ٱلعَبْقَـرِيِّ ٱلفَـذِّ مُقْـ   ـتَعِـدِ ٱلمَحَـلِّ ٱلأَرْفَـعِ

لَبَّيْــكَ يَــارَبَّ ٱلْقَصِيـ　　ـدِ وَكَهْفَنَـا فـي ٱلْمَفْـزَعِ
عُمَـرُ ٱلَّـذي مَـلأَ ٱلمَحَـا　　فِـلَ كَـمْ لَـهُ مِـنْ مَسْمَـعِ
بِـنْ عَلَـوِيِ ٱلنِّحْـرِيْـرِ أَكْـ　　ـرِمْ بِٱلحَصِيفِ ٱللَّوْذَعِيْ
إبْنَ ٱلأَمَاجِدِ مِنْ بَنِي ٱلزْ　　ـزَهْـرَاءِ حامِـي ٱلمَـرْبَـعِ
ٱلــدُّرُّ يَنْثُــرُهُ بِمَنْـ　　ـطِقِـهِ ٱلْبَـدِيـعِ ٱلطَّيِّـعِ
وإذا تَحَــدَّثَ خِلْتَــهُ　　شُـؤْبُـوبَ غَيْـثٍ هَمِـعِ
مَلَــكَ ٱلْبيــانَ بِمِقْــوَلٍ　　سَلِــسٍ بَليــغٍ مِصْقَــعِ

* * *

والخلاصةُ : أَنَّ سيِّدَنا ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ نموذجٌ لأَهلِهِ وسلفِهِ الصالحِ في تواضعِهِ ، وحُبِّهِ لِطَلَبَةِ العلمِ ، وتشجيعِهِ لهمْ ، بلغَ بهِ أَنَّهُ يقومُ مِنْ مجلسِهِ مُرَحِّباً بالقادمينَ عليهِ ـ وإِنْ كانوا أَقلَّ منهُ قَدْراً ـ ويودِّعُهُمْ إلىٰ بابِ الدَّارِ ، ممَّا يُخجِلُ البعضَ ، وكانَ هٰذا ديدَنَهُ وعادتَهُ معَ الجميعِ ، حتَّىٰ يظنَّ البعضُ أَنَّهُ محظيٌّ بهٰذا وحدَهُ .

أَلا فَلْيَتَّخِذْ علماءُ اليومِ العظةَ والأُسوةَ مِنْ هٰذه النُّسخةِ السَّلَفِيَّةِ الَّتي أبرزَها اللهُ لنا نحنُ المتأَخِّرينَ المتخلِّفينَ (اهـ) .

وقالَ عنهُ ٱلسيدُ الفاضلُ ٱلنحريرُ ، والأُستاذُ القديرُ ، عبدُ القادرِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ الجنيدُ : عندما ترجمَ لمشايخِهِ في كتابهِ (دُرُّ العقودِ الجاهزةِ) جاعلاً صاحبَ الترجمةِ في مقدِّمةِ مشايخِهِ الذينَ قرأَ عليهمُ (ٱلمنهاجَ) في ٱلفقهِ و (الأَلفيةَ) في النَّحوِ : ولمَّا تُوفيَ أَشياخُهُ ٱنتهتْ إِليهِ ٱلزَّعامةُ ٱلدِّينيَّةُ (بتريمِ) فصارَ هوَ ٱلمتصدِّرَ في كُلِّ ٱلمجالسِ والدُّروسِ ، والمقدَّمَ في كُلِّ المحافِلِ الدِّينيَّة . (اهـ) .

كما ترجَمَ لهُ السَّيِّدُ الفاضلُ ، وٱلداعيةُ المربِّي ، أَبو بكرِ بنُ عليِّ بنِ أَبي بكرٍ ٱلمشهورُ ، ترجمةً طويلةً في كتابيهِ (لـوامـعُ ٱلنُّـورِ) و (قبسـاتُ النُّـورِ) ، جـزاهُ اللهُ خيـرَ الجزاءِ .

٣ـ نشاطه الاجتماعي

أَمَّا نشاطُهُ ٱلاجتماعيُّ . . فحدِّثْ ولا حرجَ فقدْ كانَ ـ رضـيَ اللهُ عَنـهُ ـ يقـومُ بـأَوجُـهٍ كثيـرةٍ مِـنَ ٱلنَّشـاطِ ٱلاجتمـاعـيِّ : كـإِصـلاحِ ذاتِ ٱلبيـنِ ، وٱلقيـامِ بعقـودِ

ٱلأنكحةِ ، وكتابةِ ٱلوصايا ، وقسمةِ ٱلتَّركاتِ ، وحلِّ ما ينشأُ بينَ ٱلنَّاسِ مِنْ مشاكلَ ، ونحوِها .

هٰذهِ ٱلجوانبُ ذاتُ ٱلارتباطِ ٱلوثيقِ وٱلمساسِ ٱلحساسِ بحياةِ ٱلناسِ ، فقد ٱفتقدتِ ٱلبلادُ ٱلآنَ مَنْ يقومُ بها ٱحتساباً للثَّوابِ ، ورغبةً في ٱلخيرِ ، ترأَّسَ مجلسَ الإفتاءِ (بتريم) في ٱلفترةِ منْ عامِ (١٤١٠ إلىٰ ١٤١١هـ) وكانَ لهُ دورٌ في تأسيسِهِ .

وكانَ لهُ باعٌ طويلٌ في صلةِ ٱلرَّحِمِ ، ومواساةِ ٱلمحتاجينَ ، وإغاثةِ ٱلملهوفينَ ، وعيادةِ ٱلمرضىٰ وٱلمسنِّينَ ، لا يتأخَّرُ إذا دُعيَ لملمَّةٍ أَوْ مهمَّةٍ ، مواظباً علىٰ حضورِ ٱلمدارسِ ، وٱلمجالسِ ٱلعامَّةِ ـ معَ كِبَرِ سِنِّهِ ـ يعاونُهُ في حضورِ ذلكَ نخبةٌ منْ مُريديهِ ، ومنْ علماءِ وأَعيانِ ٱلبلادِ ، ويرجعونَ إليه في مهمَّاتِهِمْ وملمَّاتهمْ ، متفانينَ في محبَّتِهِ ، ولهُ عنايةٌ خاصةٌ بهمْ ، كأَمثالِ ٱلشَّيخِ ٱلفاضلِ ، ٱلعلاَّمةِ ٱلمرحومِ : فضلِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بَافضلٍ ، وٱلسَّيِّدِ ٱلفاضلِ ، ٱلعالمِ ٱلدَّاعيةِ : عبدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ شهابٍ ، وٱلسيِّدِ ٱلفاضلِ ، ٱلعالمِ ٱلدَّاعيةِ : عليِّ ٱلمشهورِ بنِ محمَّدِ بنِ سالمِ بنِ حفيظٍ .

كما إنَّ لهُ عنايةً خاصَّةً ومحبَّةً لابنِ عمِّه السَّيِّدِ ٱلفاضلِ كريمِ ٱلأخلاقِ ٱلسَّبَّاقِ للخيرِ ٱلشَّابِّ ٱلشَّهمِ (عليِّ بنِ عمرَ ابنِ حسينِ بنِ أَبي بكرِ ٱلكاف)، حيثُ كان مِنْ صباهُ ملازماً للوالدِ، قرأَ عليهِ في ٱلنحوِ، وكتبَ لهُ مسوداتِ بعضِ مؤلفاته، وها هوَ الآنَ يعتني بطباعةِ كتبهِ ـ جزاهُ ٱللهُ عنَّا خيرَ ٱلجزاءِ، وباركَ ٱللهُ لهُ في ٱلأَهلِ وٱلمالِ وٱلأبناءِ، وجعلهُ ٱللهُ خلفاً لخيرِ سلفٍ .

٤ـ مؤلفاته

برعَ هٰذا الطَّودُ ٱلشَّامخُ في عددٍ منَ ٱلعلومِ كالنَّحوِ ، وٱلصَّرفِ ، وٱلبلاغةِ ، وٱلفقهِ ، وٱلتفسير ، وٱلحديثِ ، وٱلتَّاريخ ، وٱلأنسابِ ، وٱلتراجمِ ، أَلَّفَ فيها المؤلَّفاتِ ، وكانَ منْ أَشهرِ مؤلَّفاتِهِ :

١ـ خلاصةُ ٱلخيرِ، مخطوطٌ .

٢ـ ٱلفرائدُ ٱلجوهريَّةُ، مخطوطٌ .

٣ـ ٱلبلاغةُ، مطبوعٌ .

٤ـ تُحفةُ ٱلأَحبابِ، مخطوطٌ .

٥ـ ٱلصَّرحُ ٱلممرَّدُ وٱلفخرُ ٱلمؤبَّدُ، تحتَ الطَّبعِ .

٦ـ مواهبُ ٱلقدُّوسِ، تحتَ الطبعِ.

٧ـ ٱلخبايا في ٱلزَّوايا، وهوَ كتابنا هذا.

٨ـ إرشادُ ٱلطَّالبِ ٱلنَّبيهِ، مخطوطٌ.

٩ـ ٱلطِّيبُ ٱلعنبريُّ، مخطوطٌ.

١٠ـ تعليقاتٌ علىٰ أَلفيَّةِ ٱبنِ مالكٍ، مخطوطٌ.

٥ـ وفاته رضي الله عنه

في ظهرِ يومِ ٱلاثنينِ (٢٦) جمادىٰ الأَوَّل عامَ (١٤١٢هـ) فاضتْ روحُهُ ٱلشَّريفةُ دونَ أَنْ يسبقَ لهُ مرضٌ يذكرُ، متهيِّىءٌ لاستقبالِ ضيوفِهِ، بمناسبةِ تسميةِ أَحدِ أَحفادِهِ، بعدَ أَنْ تطهَّرَ، وتطيَّبَ، ولبسَ أَثوابَهُ، رحمهُ اللهُ وبلَّ ثراهُ، وجعلَ ٱلجنَّةَ مأْواهُ، ولقد وفَّقنيَ ٱللهُ أَنْ فاضتْ روحُهُ ورأسُهُ علىٰ ساعدي الأَيمنِ، ينطقُ بالشَّهادةِ وبذكر اللهِ، فكانَ خسارةً فادحةً علىٰ (ٱليمنِ) وٱلأُمَّةِ ٱلإسلاميَّةِ جمعاً، وقدِ ٱنهالتِ ٱلرَّسائلُ وٱلبرقياتُ علىٰ أُسرةِ ٱلفقيدِ من كُلِّ مكانٍ، وشيَّعَ جنازتَهُ ٱلجمُّ الغفيرُ، وصلَّىٰ عليهِ ٱلسَّيِّدُ ٱلبركةُ، خليفةُ ٱلسَّلفِ، ٱلوالدُ

عبدُ القادرِ بنُ أَحمدَ السَّقَّافُ ، وأَبَّنَهُ ، كما أَبَّنَهُ ـ أَيضاً ـ ٱلحبيبُ ، ٱلدَّاعيةُ ، ٱلعالمُ ، ٱلمتَّبعُ سيرةَ ٱلسَّلفِ : عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ شهابٍ ، كما أَبَّنَتْهُ (تريمُ) بعدَ مُضيِّ أَربعينَ يوماً منْ وفاتِهِ في حفلٍ مهيبٍ .

نجل المؤلّف

عيدروس بن عمر بن علوي الكاف

* * *

أولاً : معهد مسجد الشيخ حسين بن عبد الله العيدروس[1]

فأبدأُ أوَّلاً بذكرِ التدريسِ بمسجدِ الشَّيخِ حسينِ بنِ عبدِ اللهِ العيدروسِ الأكبرِ[2] ، هٰذا المسجدُ قد ذكرنا عنه في كِتابِنا « الأقمارُ والشُّموسُ » مَنْ أنشأَهُ ، وأنَّهُ كانَ منْ تلكَ المعاهدِ العلميَّةِ ، وها نحنُ نذكرُ هنا مَنْ درَّسَ فيه منَ العلماءِ الأعلامِ ، حسَبَ ما علِمْنا عنهمْ .

فنقولُ : درَّسَ فيهِ منَ العلماءِ الأعلامِ أئِمَّةٌ كرامٌ وعلماءُ أعلامٌ وفي مقدِّمتهمُ الإمامُ العلاَّمةُ حسينُ بنُ عبدِ اللهِ بلفقيه ، الذي هو والدُ الإمامِ المتفنِّنِ عبدِ اللهِ بنِ حسينٍ بلفقيه .

---

(١) ترتيبُ المساجدِ والزوايا في الكتابِ ليستْ علىٰ حَسَبِ قِدَمِها في التأسيسِ .

(٢) كانَ يقالُ لهُ مسجدُ باشعبانَ فلمَّا جَدَّدَهُ الإمامُ الحسينُ بنُ عبدِ اللهِ العيدروسُ الأكبرُ صارَ يقالُ له مسجدُ الشَّيخِ حسينٍ .

قالَ فيهِ ٱلحبيبُ ـ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ حسينٍ ٱلمشهورِ ـ ، تعليقاً عندَ ذكرِ اسمِهِ في « ٱلشجرةِ ٱلكبرىٰ ٱلعلَوِيَّةِ » : كانَ فقيهاً ، نبيهاً ، مصنِّفاً ، فاضلاً ، عالماً ، متقشِّفاً ، يحبُّ ٱلوحدةَ ، ويكرهُ ٱلشُّهرةَ ، توفِّيَ بـ (تريمٍ) سنةَ (١١٨٠هـ) ، وقُبِرَ شرقيَّ عليِّ بنِ علويٍّ خَالعِ قسمٍ لصقاً منْ شرقٍ ، وقُبِرَ في قبرِهِ حفيدُهُ محيي ٱلدِّينِ بنُ عبدِ اللهِ بلفقيه ، ٱلمُتوفَّىٰ سنة (١٣٢٣هـ) .

وَمِمَّنْ دَرَّسَ أيضاً ـ الإمامُ ٱلمُحقِّقُ ، وٱلفقيهُ ٱلمُدَقِّقُ ، علاَّمةُ دهرِهِ وأَوانِهِ ، وواحدُ أَهلِ زمانِهِ ، ذو ٱلتَّصانيفِ ٱلفريدةِ ٱلعديدةِ ، وٱلأَجوبةِ ٱلمفيدةِ ، ٱلمتضلِّعُ منْ جميعِ ٱلعلومِ ، أُصولاً وفروعاً ، ٱلآمرُ بالمعروفِ ، وٱلنَّاهي عنِ ٱلمنكرِ ، ٱلحبرُ ٱلعليمُ ، وٱلسَّيِّدُ ٱلكريمُ ـ ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ حسينِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويِّ بنِ عبدِ اللهِ بلفقيه ، ٱلمولودِ بـ (تريمٍ) وٱلمتوفَّىٰ بها سنة (١٢٦٦هـ) ، بعدَ أَنْ درَّسَ في ذلكَ ٱلمسجدِ سنواتٍ عديدةً ، بلْ وفي غيرِ هـٰذا ٱلمسجدِ منْ معاهدِ (تريمٍ) ٱلعلميَّةِ ، وبعدَ أَنْ تخرَّجَ بهِ ٱلجمُّ ٱلغفيرُ منْ أَهلِ زمانِهِ ، ممَّنْ في بلدِهِ ، وغيرِهِ منَ ٱلبلدانِ ، كما أنَّه ـ رحمةُ اللهِ عليه ـ قد أَخذَ عن كثيرينَ مِنَ

علماءِ عصرِهِ ٱلذينَ في مقدِّمتِهِمُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ بنُ علويٍّ صاحبُ ٱلبطيحةِ[1] ، وٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ شهابِ ٱلدِّينِ[2] ، وغيرُهُما ممَّنْ لا يُحصونَ عدّاً ولا حصراً ، وقَبْرُ هٰذا ٱلحبيبِ معروفٌ بـ (تريمَ) بمقبرةِ زنبلَ ، واقعٌ في ٱلجهةِ ٱلشَّرقيةِ منَ ٱلصَّفِ ٱلذي فيه قبرُ الإمامِ ٱلسَّقافِ ، ووالدِهِ مولىٰ ٱلدَّويلةِ ، وأَزيدكُمْ تعريفاً بهِ أَنَّهُ ملاصقٌ لقبرِ الإمامِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ عبدِ للهِ بلفقيه ، صاحبِ مسجدِ ٱلزَّهرةِ[3] بـ (تريمَ) ، ويليهِ قبرُ ٱبنهِ عيدروسِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ[4] ، وٱلحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ حسينٍ ، هٰذا هوَ أَحدُ ٱلعبادلةِ ٱلسَّبعةِ[5] منْ

---

(١) المتوفَّىٰ سنة ١٢١٦ هـ .

(٢) المتوفَّىٰ سنة ١٢٦٤هـ .

(٣) المتوفَّىٰ سنة ١١٦٣هـ .

(٤) المتوفَّىٰ سنة ١١٨٨هـ .

(٥) وهم ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ بنِ شهابٍ ، ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ ، ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ يحيىٰ ، ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ أَبي بكرٍ عيديدُ ، ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بن حسينٍ بلفقيه ، ٱلشَّيخُ عبدُ للهِ باسودان ، ٱلشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ سميرٍ .

علماءِ (حضرموتَ) ٱلذينَ ٱجتمعوا في عصرٍ واحدٍ ، وهوَ ٱلذي يقول ٱلقائِلُ فيهِ :

وَبَلفقيهُ ٱلَّذي في ٱلفِقْهِ كَالأَذْرَعِيْ ... وفـي ٱلتَّصَـوُّفِ وٱلآدابِ مُتَّسِعِ

وهوَ ٱلَّذي يقول :

وَفَاتَني مِنْ خِيَارِ ٱلنَّاسِ كَمْ رجلٍ ... مَا فارَقَ ٱلذِّكْرَ كُلَّ ٱلعُمْرِ وَٱلكُتُبَا

بَكَّـاءُ لَيلَتِـهِ سَجَّـادُ خَلْـوَتِـهِ ... مِنْ خَوفِ مالكِهِ يَسْتَعْذِبُ التَّعبَا

لَهُ ٱشْتِغالٌ بِحِفْظِ السِّرِّ عنْ دَخَلٍ ... لَيْثُ ٱلنِّزَالِ إذا مَا عَارَكَ ٱلرُّقَبَا

تَلْقَاهُ في ٱلجودِ كَٱلطَّائيْ وأَحْنَفِهِمْ ... في ٱلحِلْمِ قَدْ فاقَ قُسّاً حَيْثُما خَطَبَا

مِنْ آلِ بيتِ رسولِ ٱللهِ أَكْثَرُهُم ... وآلِ با فَضْلٍ ٱلأَخيارِ وَٱلخُطَبَا

هٰذا ما قدرْنا وٱستطعنا أَنْ نذكرَهُ منْ أخلاقِهِ ، وما جُبِلَ عليهِ منَ ٱلشَّمائِلِ ، ومحاسِنِ ٱلأَوصافِ ، وغيرِ ذلكَ ممَّا لمْ نذكرهُ كثيرٌ وكثيرٌ[1] .

وممَّنْ درَّسَ بذلكَ ٱلمسجدِ ـ أيضاً بعدَ ٱلإمامِ ـ ، ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ بلفقيهِ ، ٱلآنفِ ٱلذِّكرِ . ٱلإمامُ

---

(١) للمؤلِّفِ كتابٌ أسماهُ « إرشادَ ٱلطَّالبِ ٱلنَّبيهِ في مناقبِ ٱلأَفذاذِ مِنْ آلِ بلفقيه » .

ٱلفاضلُ ، ٱلعالمُ ٱلوليُّ ، ٱلصَّالحُ وٱلمنيبُ ٱلخاشعُ ، ٱلَّذي لم يألُ جهداً مُدَّةَ حياتِهِ في التنقُّلِ منْ بلادٍ إلىٰ بلادٍ ، لشأنِ ٱلدَّعوةِ إلىٰ اللهِ ، ٱلحبيبُ ، ٱلعلاَّمةُ ، محمَّدُ بنُ حسينِ بنِ شيخِ ٱلحبشيُّ ، والدُ ٱلحبيبِ عليِّ بنِ محمدِ ٱلحبشيِّ ، ٱلسَّيِّدِ ٱلعظيمِ ، ٱلشَّهيرِ بـ (سيؤُونَ) ، ٱلشَّائعِ ذكرُهُ في جميعِ ٱلأقطارِ .

كانَ للسيدِ محمَّدِ بنِ حسينٍ ٱلمذكورِ ، ٱلقَبولُ ٱلتَّامُّ عندَ ٱلخاصِّ وٱلعامِّ ، ولهُ ٱلكراماتُ ٱلخارقةُ ، وٱلأَقوالُ ٱلصادقَةُ ، تنقَّلَ في كثيرٍ من مدنِ (حضرموتَ) وقُراها بأَمرِ مشايخِهِ لنشرِ ٱلدَّعوةِ بها ، وٱلعلمِ وٱلتَّعليم ، وٱلإِرشادِ لطريقةِ خيرِ العبادِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ .

وكانَ منْ جملةِ ما تنقَّلَ إِليها مِنَ ٱلبلدانِ لأَجلِ ذلكَ ٱلقصدِ . بلدُ (تريمِ) ، وكانَ ذلكَ أيامَ ٱحتلالِ ٱلطَّوائفِ ٱليافعيَّةِ بـ (حضرموتَ) ، وعتوِّها وفسادِها بتلكَ ٱلبلدانِ ، حتَّىٰ إنَّ ذلكَ ألجأَ سكَّانَها إلىٰ ٱلخروجِ منْ بلدانِهِمْ إلىٰ ٱلقرىٰ ٱلبعيدةِ ؟ فراراً منَ ٱلَّذي كانَ يلحقُهمْ منْ جرَّاءِ ذلكَ ، وبالأَخصِّ سكَّانَ ٱلغنَّاءِ (تريمِ) بلدِ ٱلتَّقوىٰ وٱلعلمِ ، فإِنَّهمْ تفرَّقوا شَذَرَ مَذَرَ ، وخرجوا منها إلىٰ ٱلقرىٰ

ٱلتي ليسَ فيها منْ ذلكَ ، وٱلفوضىٰ وٱلفسادُ ٱلَّذي كانوا يلقونهُ في بلادِهِمْ ، حَتَّىٰ إِنَّ أُولـٰئِكَ ٱلمفسدينَ جزَّؤُوا (تريمَ) إِلىٰ ثلاثةِ أجزاءٍ ، يحكمُ كُلَّ جزءٍ منها طائفةٌ منهمْ ، وقد تباعدَ ٱلناسُ بعضهُمُ عن بعضٍ في ٱلقرىٰ ، بلْ وفي نفسِ (تريمِ) ، فقدْ بلغَ منْ تباعُدِهِمْ أَنَّ ٱلقريبَ في ٱلنَّسبِ لا يلقىٰ قريبَهُ إلاَّ بعدَ ردحٍ منَ ٱلزَّمنِ ، وقديبلغُ ٱلسَّنةَ أَوْ أكثرَ ، ولا زال سكَّانُها في ذلكَ ٱلوقتِ ينتقلونَ منها شيئاً فشيئاً ، حتَّىٰ كادت تخلو ٱلبلادُ منَ ٱلسُّكانِ ، لا سيَّما ٱلعلماءِ وٱلمعلِّمينَ .

فشكا مَنْ بقيَ بها إِلىٰ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ بن حسينِ بن طاهرٍ[1] ، قلَّةَ ـ أو عدم ـ ٱلعلماءِ وٱلمعلِّمين بالبلادِ ، وطلبُوا منهُ أَنْ يختارَ لهم أَحدَ ٱلمتَّصفينَ بٱلعلمِ وٱلتَّعلم ، وإِرشادِ ٱلعبادِ إِلىٰ طريقِ الإِرشادِ ، فما كانَ جوابُ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ لهم إِلاَّ أَنَّهُ قالَ لهمْ :

أَنا متكفِّلٌ لكم بإِيجادِ طلبِكُمْ هـٰذا مِنِّي ، وما عليكُمْ إلاَّ أَنْ تَمِلكوا لذلكَ ٱلمعلِّمِ ٱلَّذي أَجعلُهُ لكمْ حسبَ طلبِكُمْ داراً

---

(١) المتوفَّىٰ بـ (المسيلة) سنةَ ١٢٧٢هـ .

بأَركانِها ٱلأَربعةِ ، وتُؤَثّثُوها بٱلأَثاثِ ٱلمناسبِ ، وتملؤُوها بٱلنَّفقةِ لهُ ولعائِلَتِهِ ، ثمَّ تبعثُوا إِليَّ بمفتاحِ ذلكَ ٱلبيتِ ، فما تشعرونَ إِلاَّ بوصولِ ذلكَ ٱلعالمِ وٱلمعلِّمِ ، فما كانَ منْ أَمرِ أُولـٰئِكَ ٱلملتمسينَ إِلاَّ أَنَّهمْ ٱنتَدبوا لَهُ ٱلسَّيِّدَ ٱلكريمَ ، ٱلمحسنَ ٱلكبيرَ : حسينَ بنَ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ سهلٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بـ (بَنْدَرِ ٱلشَّحرِ) سنةَ (١٢٧٤هـ) ، فتكفَّلَ للحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ حسينٍ بكلِّ ما طلبهُ للمعلِّمِ ٱلمطلوبِ ، فٱشترىٰ ٱلبيتَ ، وجهَّزهُ بمثلِ ما تُؤَثَّثُ بهِ ٱلبيوتُ ، وجعلَ فيهِ ٱلنَّفقةَ ٱلكاملةَ ٱلكافيةَ ، وأَعطىٰ مفتاحَهُ ٱلحبيبَ عبدَ اللهِ بنَ حسينٍ ، فما شَعروا إِلاَّ بوصولِ ٱلحبيبِ محمَّدِ بنِ حسينِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلحبشيِّ ، فمكثَ عندهُمْ علىٰ ٱلرَّحبِ وٱلسَّعةِ ، وأَنزلوهُ هوَ وأُسرتَهُ في ذلكَ ٱلبيتِ ٱلَّذي جعلهُ ٱلحبيبُ حسينُ بنُ سهلٍ ملكاً من أَملاكِ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ ٱلحبشيِّ معَ ما فيهِ من أَمتعةٍ وأَثاثٍ ونفقةٍ ، وكانَ ذلكَ كلُّهُ منْ جيبِ ٱلحبيبِ حسينٍ لم يشاركْهُ فيهِ أَحدٌ ، وقد رأَيتُ ٱلصَّكَّ ٱلَّذي يحملُ صيغةَ ٱنتقالِ ذلكَ ٱلبيتِ منْ ورثةِ ٱلسيدِ محمَّدِ بنِ حسينٍ ٱلحبشيِّ ، ٱلَّذينَ منْ بينهمُ ٱبنُهُ ٱلحبيبُ عليُّ بنُ محمَّدٍ إِلىٰ ملكِ ٱلسيدِ حسنِ بنِ حسينٍ ٱلشَّاطريِّ ،

ولا يزالُ ذلكَ البيتُ عامراً إلىٰ يومِنا هـٰذا إلاَّ أنَّهُ مشرفٌ علىٰ ٱلخرابِ ، وهوَ : ٱلواقعُ بساحةِ مسجدِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ موسىٰ باجُرْش ، بٱلجهةِ ٱلشَّماليةِ ، ملاصقٌ لدار نوبي سنقيس ، وسكنَ فيهِ ٱلحبيبُ محمَّدُ بنُ حسينٍ طيلةَ مكثهِ بـ (تريمِ) ؛ لنشرِ العلمِ بها ، إلاَّ أنّي أجهلُ ٱلمُدَّةَ ٱلتي مكثَ فيها بـ (تريمِ) ، وقدِ ٱنتفعَ بهِ أهالي (تريمِ) ، ٱنتفاعاً عظيماً بما أَخذوهُ عنهُ منَ ٱلعلوم ، وكانَ محلَّ تدريسِهِ بـ (تريمِ) بمسجدِ ٱلشَّيخِ حسينٍ[1] ، ٱلَّذي جرَّنا ذكرُهُ آنفاً إلىٰ ذكرِ مَنْ درَّسَ بهِ منَ ٱلعلماءِ ٱلأعلامِ ، ولمَّا فتحَ ٱلتَّدريسَ بهِ ٱلسيدُ محمَّدٌ ٱلمذكورُ ٱنثالَ إليهِ ٱلطَّلبةُ منْ (تريمِ) ، ومنْ كُلِّ حدبٍ ، وجعلَ ٱلدَّرسَ في ٱلفقهِ في كتابِ « فتحِ ٱلمُعينِ » للمليباري ، وكانَ إذ ذاكَ ذلكَ الكتابُ لم يُطبعْ بعدُ ، فنسخَ منهُ نحواً من أربعينَ ، ولعلَّ مِمَّنْ كانَ يحضُرُ ٱلدَّرسَ السَّيِّدُ حسينُ بنُ سهلٍ ؛ لأنَّ دارَهُ قريبةٌ منْ ذلكَ ٱلمسجدِ ، وما بينها وبينهُ إلاَّ خطواتٌ يسيرةٌ ، ومكثَ ٱلسيدُ محمَّدُ بنُ حسينٍ ٱلمذكورُ مدَّةً

---

(١) ٱلمسمَّىٰ سابقاً مسجدَ باشعبانَ .

لا أَعلمُ قدرَها ، وقد وُلِدَ لهُ فيها ٱبنهُ شيخُ بنُ محمَّدٍ ، وغيرُهُ منَ ٱلأَولادِ ، وأُمُّهُ هيَ بنتُ ٱلشَّيخِ ٱلكُبيِّرِ[1] ، أَمَّا ٱلحبيبُ عليٌّ ٱبنُهُ[2] فإِنَّهُ وُلِدُ لهُ بقريةِ (قسمٍ) سنةَ (١٢٥٩هـ) أَيَّامَ إِقامتِهِ بها ؛ لنشرِ ٱلدَّعوةِ بها وبما جاورَها منَ ٱلبلدانِ ، ثمَّ إِنَّهُ بعدَ ذلكَ كلِّهِ توجَّهَ إِلىٰ (مكَّةَ ٱلمُكرَّمةِ) لثاني مرةٍ ، ومكثَ بها يُدرِّسُ ، ويُفتي ، إِلىٰ أَنْ تُوفِّيَ بها ، في (١٦) ذي ٱلحجَّةِ ، سنةَ (١٢٨١هـ) ، رحمهُ اللهُ وأَرضاهُ .

وكانَ مِمَّنْ درَّسَ بذلكَ ٱلمسجدِ ٱلمعظَّمِ ، الإِمامُ ٱلهمامُ ، ٱلعالمُ ٱلعلاَّمةُ ، شيخُنا ٱلحبيبُ ، علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلمشهورُ ، درَّسَ بذلكَ ٱلمسجدِ في ٱلفقهِ ـ وأَظنُّ أَنَّهُ في كتابِ « ٱلمهذَّبِ » للإِمامِ أَبي إِسحاقَ ٱلشِّيرازيِّ ـ ، وذلكَ أَيَّامَ هوَ ساكنٌ في دارهِ ٱلواقعةِ بقربِ ٱلمسجدِ ٱلمذكورِ ، أَيْ ٱلتي باعَها منَ ٱلسيدِ ٱلحسنِ بنِ علويِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ شهابٍ .

---

(١) اسمها خديجةُ بنتُ ٱلكُبيِّرِ بضمِّ الكافِ وفتحِ ٱلباءِ وتشديدِ ٱلياءِ بالكسرِ ، تصغيرُ (كبيرٍ) .

(٢) أُمُّهُ ٱلحبابةُ علويةُ بنتُ حسينِ بنِ أَحمدَ ٱلهادي ٱلجفريِّ .

ويكفي في جودةِ تدريسِهِ أَنْ نذكرَ ما وصفهُ بهِ ٱلشَّيخُ أَحمدُ بركاتِ ٱلشَّاميُّ ذو ٱلمفاكهاتِ ٱللَّطيفةِ ، وٱلنُّكاتِ ٱلبديعةِ ، وقد سألَهُ بعضُهُمْ عنْ مشاهداتِهِ ، ومَنْ لقيَهُ في خلالِ زيارتِهِ ٱلتي قامَ بها حينئذٍ إلىٰ (تريم) ، مارَّاً بحوطةِ أَحمدَ بنِ زينٍ ٱلحبشيِّ وٱلغرفةِ وسيؤُونَ ، وكانَ طوَّافاً أثناءَها علىٰ مواضعِ ٱلتَّدريسِ ، ومجالسِ ٱلعلمِ ، بٱلمعاهدِ وٱلمعالمِ ، وٱلمساجدِ ٱلتي يتولَّىٰ ٱلدَّرسَ فيها علماءُ هٰذه ٱلبلدانِ ، فقالَ :

لقدْ حضرتُ تدريسَ ٱلحبيبِ فلانٍ ، وٱلحبيبِ فلانٍ ، وٱلشَّيخِ فلانٍ ، فلمْ أَخرجْ بطائِلٍ ولا فائدةٍ ؛ لأَنَّ أَحدَهُمْ جعلني أَضيعُ بينَ ٱلحجرِ وٱلرَّملِ بقولِهِ : قالَ ٱبنُ حجرٍ ، قالَ ٱلرَّمليُّ ، وكثيراً لم أَدرِ ما يقولونَ ، لٰكِنَّ ٱلحبيبَ علويَّ بنَ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلمشهورِ ٱلَّذي كنتُ قدْ حضرتُ تدريسَهُ في مسجدِ عاشقٍ هوَ ٱلذي كنتُ قدِ ٱستفدتُ منْ تقريرِهِ ؛ إِذ كانَ يشرحُ لكَ ٱلمسألَةَ ويوضِحُها منْ جميعِ أَطرافِها ، بحيثُ يصوِّرُها في طولِها وعرضِها ، ليقرِّبَ فهمَهَا إِلىٰ ذهنِكَ ، وإِلىٰ حدِّ إِفادتِهِ للطَّالبِ كانَ يأخذُ ٱلمسألَةَ بعدَ وعيِ ٱلطَّالبِ لها ، فيلقيها في غلافٍ ؛

لينصرفَ بها في جيبِهِ ، وهٰكذا لا ينصرفُ ٱلمرءُ من تدريسِهِ إِلاَّ وهوَ قدْ وضعَ علىٰ ما يكونُ قدِ ٱحتواهُ من مسأَلةٍ أَوْ مسأَلتينِ أَو ثلاثِ مسائِلَ .

ويُؤْثَرُ عنْ هٰذا ٱلحبيبِ أَنَّهُ كانَ يقولُ : إِنَّني . أُقرِّرُ عبارةَ « فتح ٱلجوادِ » للعلاَّمةِ ٱبنِ حجرٍ ، بنفسِ ٱلعبارةِ ٱلتي كانَ يقرِّرُ بها شيخُنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أَحمدَ باسودانَ ، وكانَ شيخُنا محمَّدُ ٱلمذكورُ يقرِّرُ أَيضاً بنفسِ ٱلعبارةِ ٱلَّتي يقرِّرُ بها شيخُهُ ٱلحبيبُ ٱلعلاَّمةُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ يحيىٰ .

ولا يفوتُنا أَنْ نذكرَ ما وصفَهُ بِهِ أَحدُ علماءِ ٱلمغاربةِ ٱلجامعينَ بينَ ٱلعلومِ ٱلقديمةِ وٱلحديثةِ ، ممَّنْ ساحَ في الأَقطارِ ، وهوَ ٱلسيدُ محمَّدُ صالحٌ ٱلباجيُّ ٱلتونسيُّ ٱلمعروفُ بٱلشَّواشي ، فقدْ لقيَ ٱلسيدُ محمدٌ ٱلمذكورُ هٰذا ٱلحبيبَ علويَّ ٱلمذكورَ أَثناءَ رحلتِهِ ٱلأَخيرةِ إِلىٰ (جاوا) بقرسي ، فقالَ في أَثناءِ حديثٍ دارَ بينَ ٱلرَّاوي لهٰذا ٱلخبرِ وبينَ ٱلسَّيِّدِ محمَّدٍ ٱلمذكورِ أَنَّ هٰذا ٱلحبيبَ علويَّ ، وٱلحبيبَ محمَّدَ بنَ أَحمدِ ٱلمحضارَ كانا بينَ مَنْ لقيهُمْ من أَكابرِ وعلماءِ ٱلسَّادةِ ٱلحضرميِّينَ ممَّنْ لا أَقولُ عنهما : أَنهما يملآنِ ٱلعينَ فقط . لٰكِنِّي أَقولُ يملآنِ ٱلعينَ حتَّىٰ

نفيضَ ، وكانَ ميلادُ ٱلحبيبِ ٱلمذكورِ بـ (تريمِ) سنةَ (١٢٦٣هـ) ، ونشأَ بها ، وأخذَ عنْ علمائِها ، بعدَ أَنْ حفظَ ٱلقرآنَ ٱلعظيمَ ، ثمَّ أمرهُ والدُهُ بٱلرِّحلةِ إلىٰ (دوعنٍ) أَيْ إلىٰ (ٱلخريبةِ) ؛ للأخذِ عمَّنْ بها منَ ٱلعلماءِ معَ بعضِ إخوانِهِ ، فنزلوا علىٰ ٱلعالِمِ ٱلعلاَّمةِ ، ٱلشَّيخ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ باسودانَ ، ومكثَ ٱلحبيبُ علويٌّ ٱلمذكورُ بـ [دوعنٍ] نحواً منْ سبعِ سنينَ ، ثمَّ رحلَ إلىٰ (ٱلحجازِ) ، فتلقَّىٰ عنْ شيوخِ ٱلعلمِ هناكَ ، كالسَّيِّدِ أَحمدَ زينيٍّ دحلانَ ، وٱلحبيب حسينِ بنِ محمَّدٍ ٱلحبشيِّ .

ورحلَ إلىٰ (ٱليمنِ) وإلىٰ (مصرَ) مرَّتينِ ، وٱتصلَ بعلمائِها ، كٱلعلاَّمةِ ٱلشهيرِ أَحمدَ بك ٱلحسينيِّ شارحِ كتابِ « الأُمِّ » للشَّافعيِّ ، وتزوجَ (بمصرَ) ، ثمَّ خرجَ إلىٰ (حضرموتَ) ، ونصَّبَ نفسهُ للتَّدريسِ ، ونفعِ ٱلطَّلبةِ بـ (تريمِ) ، بمسجدِ عاشقٍ ، ٱلمعروفِ سابقاً بمسجدِ بني حاتمٍ ، ٱلذي كانَ يجلسُ علىٰ دكَّتِهِ لطلبِ ٱلعلمِ ، وقراءَةِ كتبِ ٱلسَّلفِ ٱلصَّالحِ عددٌ كثيرٌ منَ ٱلطَّلبةِ وٱلعلماءِ ، ٱلَّذينَ يقالُ : إنَّ مِنْ بينِ أولـٰئِكَ نحواً منْ أربعينَ منَ ٱلذينَ بلغوا درجةَ ٱلفتوىٰ من بني حاتمٍ ، فضلاً عنْ غيرِهِمْ .

وللسيِّدِ علويٍّ هٰذا رحلاتٌ كثيرةٌ للدَّعوةِ إلىٰ ٱللهِ ، حتَّىٰ إنَّهُ رحلَ إلىٰ (إفريقيا ٱلشَّرقيَّةِ) و(ملايا) و(أندونيسيا) و(سيلانَ) وغيرِها ، لهدايةِ ٱلباديةِ وإرشادِهِمْ ، وأَحياناً يستصحبُ معهُ ٱلعمَّالَ لحفرِ ٱلآبارِ في ٱلمناطقِ ٱلتي تشحُّ فيها ٱلمياهُ ، وقامَ بتأْسيسِ وبناءِ بعضِ ٱلمساجدِ ٱلمعروفةِ بـ (المكلا) و(ٱلشَّحرِ) وغيرِهمَا ، وبٱلجملةِ فمناقبُ هٰذا ٱلسيدِ عظيمةٌ وكثيرةٌ ، لا يطاقُ حصرُها ، ولا يُقْدَرُ قدرُها ، وقدْ كتبتُ لهُ ترجمةً واسعةً ، بأَكثرَ ممَّا هنا ، في كتابي « تحفةُ الأَحبابِ ، وتذكرةُ أُولي ٱلأَلبابِ ، بذكرِ مناقبِ ٱلحبيبِ ٱلعارفِ بٱللهِ علويِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ شهابٍ » ، فليرجعِ ٱلرَّاغبُ في ٱلاطِّلاعِ إليها إلىٰ ذلكَ ٱلكتابِ ، وإلىٰ ما يجدهُ مكتوباً فيما ترجمَ لهُ بهِ حفيدُ ٱبنهِ ، ٱلسيدُ أَبو بكرِ بنُ عليِّ بنِ أَبي بكرِ بنِ علويٍّ ٱلمشهورُ فإنِّي أَمليتُ عليهِ أَيَّامَ إقامتي (بجُدَّةَ) حينما سافرتُ إلىٰ (ٱلحجازِ) لأَداءِ ٱلنُّسكين ، وزيارةِ سيِّدِ ٱلكونينِ ، صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّهُ أَخذَ عنِّي ٱلشيءَ ٱلكثيرَ ، مما عرفتُهُ ، وأَبصرتُهُ بعينَيَّ ٱلشَّحمِيَّتَينِ ، من ٱلمناقبِ ٱلعظمىٰ ، لذلكَ الإمامِ ٱلعظيمِ ، غيرَ أَنِّي أَكتفي

بما كتبتُهُ هنا عنهُ ، وإنْ كانَ قليلاً بالنِّسبةِ لما رويتُهُ لحفيدِهِ المذكورِ ، اغتناماً للفرصةِ ، قبلَ أَنْ تحصلَ الغصَّةُ ، أَجارنا اللهُ منها .

وكانتْ وفاةُ السيدِ علويٌّ المذكورِ بـ (تريمِ) في شهرِ محرَّمٍ ، سنة (١٣٤١هـ) .

ولو سبَحْنَا في مياهِ نهرِ حياتِهِ ، وعندَ مماتِهِ ، وذكرِ تلامذتهِ ، ومَنْ أَخَذَ عنهُ منْ أَقرانِهِ ، والحكاياتِ المليحةِ التي كانَ يرويها ، أَو تُروىٰ لهُ ، لملأْنا منها سِفراً ضخماً ، ولٰكِنَّنا اكتفينا بذلكَ ، لضيقِ نطاقِ الوقتِ ، ولإِيثارِنا الاختصارَ ، عملاً بقولِهِمْ : الميسورُ لا يسقطُ بالمعسورِ ، وما لا يُدركُ كُلُّهُ لا يُتركُ جُلُّهُ .

وبهٰذا يكونُ المدرِّسونَ بهٰذا المسجدِ حسبَ الترتيبِ أَوَّلاً : الحبيبُ حسينُ بنُ عبدِ اللهِ بلفقيه ، ثمَّ الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ حسينٍ بلفقيه ، ثانياً : الحبيبُ محمَّدُ بنُ حسينٍ الحبشيُّ ، وثالثاً : الحبيبُ علويُّ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ المشهورُ .

واللهُ أَعلمُ .

* * *

ثانياً : زاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران

ومِنْ تلكَ ٱلزَّوايا زاويةُ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ أَبي بكرٍ ٱلسَّكرانِ ، فإِنَّ هٰذهِ ٱلزَّاويةَ منسوبةٌ للشيخِ عليٍّ ٱلمذكورِ ، ونسبتُها لهُ لا أَدري هل نسبتُها لكونِها بمسجدِهِ ، أَوْ أَنَّهُ هوَ ٱلذي أَسَّسها ، وبناها ، ودرَّسَ بها ، ولٰكِنْ رأَيتُ في ٱلشجرةِ ٱلعلويةِ مكتوباً تحتَ ٱسمِ سيِّدِنا ٱلإِمامِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلقاضي[1] ٱبنِ ٱلشَّيخ شهابِ ٱلدِّينِ ٱلأَكبرِ بِهٰذا ٱللَّفظِ : أَنَّهُ هوَ ٱلَّذي عمَّرَ ٱلزَّاويةَ ٱلمنسوبةَ لجدِّهِ ٱلشَّيخِ عليٍّ، بجانبِ مسجدِهِ (بتريمٍ) ، ٱلمشهورةِ بٱلفتوحِ، اهـ .

ولم تزلْ معمورةً ، ووقفَ عليها كتباً كثيرةً ، ولا زالَ ٱلدَّرسُ يُعقَدُ ظهرَ كُلِّ يومِ ٱثنينِ وخميسٍ ، في فنِّ ٱلفقهِ ، وعلومِ ٱلدِّينِ ، وٱلَّذي يتولَّىٰ ٱلدَّرسَ فيها ويتصدَّرُهُ غالباً

---

(١) ٱلمولودُ (بتريمٍ) سنةَ : (٩٤٤هـ) ، وٱلمتوفَّىٰ بها سنةَ (١٠١٤هـ) .

يكونُ ممَّنْ ينتسبُ للشيخ عليٍّ ، سواءٌ كانَ منْ آلِ شهابٍ أَو غيرِهِمْ ، كآلِ هادي ، وآلِ مشهورٍ ، أَوْ آلِ ٱلزَّاهرِ ، أَوْ غيرِهِمْ منْ بطونِ آلِ ٱلشَّيخِ عَليٍّ ، ويقالُ : إِنَّ ٱلزَّاويةَ ٱلمذكورةَ ما دامتْ تُفْتحُ للدَّرسِ . . لايزالُ ٱلعلمُ موجوداً في ٱلبلادِ ، أَو ما هـٰذا معناه. وعلَّقَ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدٍ ٱلمشهورُ علىٰ ذكرِ ٱلزاويةِ هـٰذهِ في ٱلشجرةِ فقالَ : وَحَدُّها ما قُدَّامَ ٱلمنارةِ مُقبلاً ، ثمَّ أَزادَ ٱلسيدُ عليُّ بنُ شيخِ بنِ شهابٍ[1] ساقطاً بحري ٱلمنارةِ ، ثمَّ أَزادَ السَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ عليٍّ بنِ شهابٍ[2] ساقطاً بحريه آخر ، ثم أَزادَ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدٍ المشهورِ ساقطاً شرقيَّ الساقطينِ ، ومحلاًّ للقهوة والماءِ . اهـ .

ثمَّ إِنَّ السَّيِّدَ ٱلفاضلَ أَبا بكرِ بنَ عليٍّ بنِ أَبي بكرِ بنِ عليٍّ بنِ شهابٍ أَخرَبها كلَّها ، وكانت العمارة من سنة (١٣٥٠هـ) إلى (١٣٥٥هـ) .

وٱلذي يظهرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَصدَّرَ للتَّدريسِ بِها هوَ ٱلإِمامُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلقاضي ٱلمذكورُ آنفاً .

---

(١) ٱلمتوفَّىٰ (بٱلشحرِ) ، سنةَ (١٢٠٣هـ) .

(٢) ٱلمتوفَّىٰ (بتريم) سنةَ (١٢٦٤هـ) .

وكان هٰذا ٱلسيِّدُ إِماماً فاضلاً ، وعالماً عاملاً ورعاً ، ومدقِّقاً سخيّاً عفيفاً .

ويُقالُ : إِنَّهُ وَقَفَ علىٰ ٱلزَّاويةِ ٱلمذكورةِ أَوقافاً كثيرةً ، وصدقاتٍ جمَّةً ، وكانَ ميلادُه (بتريمِ) سنةَ (٩٤٤هـ) ، وتوفِّيَ بها ، سنةً (١٠١٤هـ) .

وقُبِرَ في قبرهِ ٱلسيدُ شيخُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عيدروسَ بنِ شهابٍ ، ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (١٢٦٧هـ) .

وأُمُّ ٱلسيِّدِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلقاضي هيَ أُمُّ كلثومٍ بنتُ شيخِ بنِ عبدِ ٱللهِ بافَرَجٍ[1] .

---

(١) ولعلَّ ٱلمؤلِّفَ ٱلتزمَ بذكرِ أَسماءِ ٱلمدرِّسينَ ٱلذينَ درَّسُوا بٱلزَّوايا قبلَ فتحِ ٱلرِّباطِ ، ولٰكنْ لا يمنعُ منْ ذِكرِ بعضِ ٱلمدرِّسينَ بعدَ ذلكَ ، ما دامَ أَنَّ هٰذهِ ٱلزَّوايا لازالتْ مفتوحةً حتَّىٰ ٱلآنَ ، فنقولُ : إِنَّهُ منَ ٱلمعلومِ أَنَّ مِمَّنْ درَّسَ في بعضِ ٱلفتراتِ ـ بعدَ فتحِ ٱلرِّباطِ ـ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ ٱلمشهورُ ، وٱلحبيبُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلمشهورُ ، وٱلحبيبُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلمشهورُ .

أَمَّا ٱلمتأَخِّرونَ فأَذكرُ ممَّنْ درَّسَ في هٰذهِ ٱلزَّاويةِ قطبَ زمانِهِ ، ٱلإِمامَ ٱلمجمَعَ علىٰ إِمامتِهِ ، خليفةَ ٱلسَّلفِ ، وإِمامَ ٱلخلَفِ ، ٱلعلَّامةَ ٱلدَّاعيَ إِلىٰ ٱللهِ ، ٱلحبيبَ علويَّ بنَ عبدِ ٱللهِ بنِ =

* * *

= عيدروسَ بنِ شهابٍ ، ولدَ بمدينة (تريمٍ) ، سنةَ (١٣٠٣هـ) ، وتوفِّيَ بها ، في رمضان سنةَ(١٣٨٦هـ) .

وممَّنْ درَّسَ أيضاً بِهٰذهِ ٱلزَّاويةِ العارفُ بٱللهِ الإمامُ ٱلتَّقيُّ ، ٱلمتواضعُ ٱلعالمُ ، ٱلزَّاهِدُ ٱلنَّاسِكُ ، ٱلحبيبُ ، محمَّدُ بنُ علويٍّ بنِ شهابٍ ، ولدَ بـ (تريمٍ) ، سنةَ(١٣٣١هـ) ، وتوفِّيَ بها ، في شهرِ ربيعٍ ٱلثاني ، سنةَ(١٤٠٠هـ) .

ومِمَّنْ درَّسَ بها ٱلسيِّدُ ٱلأديبُ ، ٱلشَّاعِرُ ٱلعالمُ ، محمَّدُ بنُ محسنٍ ٱلهادِي ، المتوفَّىٰ بـ (تريمٍ) .

ويدرِّسُ فيها ٱلآنَ ٱلسيِّدُ ٱلفاضلُ ، ٱلعالمُ ٱلمتواضعُ ، عمرُ بنُ أحمدَ ٱلمشهورُ . . أمتعَ ٱللهُ بحياتِهِ .

ثالثاً : مدرسة قبة آل عبد الله بن شيخ

هيَ إحدىٰ ٱلمعاهدِ ٱلعلميَّةِ بـ (تريم) ، والمؤسِّسُ لها هوَ الإمامُ ٱلعظيمُ ، عبدُ اللهِ بنُ شيخٍ ٱلأوسطِ ابنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ ٱلأعلىٰ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلعيدروسِ ٱلأكبرِ ٱبنِ أَبي بكرٍ ٱلسَّكرانِ ، بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقافِ بَا عَلويٍّ ، صاحبُ ٱلقبَّةِ ٱلغربيَّةِ بزنبلَ مقبرةِ (تريم) ، ٱلمتوفَّىٰ وهوَ في ٱلسجُودِ مِنْ صلاةِ ٱلعصرِ وذلكَ سنةَ (١٠١٩هـ) ، ومناقبُ هـٰذا الإمامِ تنمُّ علىٰ مالَهُ منْ جلائِلِ ٱلأعمالِ ، منَ ٱلكرمِ ، وٱلشهامةِ ، وعلوِّ ٱلهمَّةِ ، إلىٰ غيرِ ذلكَ ، مِنَ ٱلنَّفعِ ٱلعامِّ لمواطنيهِ ، وغيرِهِمْ ، ويُؤْثَرُ عنهُ أَنَّهُ بنىٰ تلكَ ٱلقُبَّةَ معَ ٱلمسجدِ ٱلذي بجانبِها ٱلغربيِّ ، ٱلمسمَّىٰ بمسجدِ ٱلأبرارِ ، وٱلدَّارَ ٱلتي غربيَّ ذلكَ ٱلمسجدِ[1] بـاللَّبِنِ وٱلتُّرابِ ، ٱلَّذينِ كانَ ينقلُهُمَا علىٰ ٱلجراذيمِ ، منَ ٱلوادي

---

(١) وكلُّها خارجَ مدينةِ (تريم) ٱلقديمةِ .

ٱلذي يُقالُ لهُ : بيتُ جُبيرٍ[1] ، ٱلَّذي كانَ ٱلأُصولُ منْ أَهلِهِ آلِ أَبي علويٍّ يسكنونَهُ بعدَ انتقالِهِمْ منْ (سُمَلٍ[2]) ، وٱلدَّاعي لِنقلهِ ٱللَّبِنَ وٱلتُّرابَ لبناءِ تلكَ ٱلقُبَّةِ وٱلدَّارِ وٱلمسجدِ ٱلمذكوراتِ . . لما هوَ معلومٌ لديهِمْ منْ أَنَّ ذلكَ ٱلتُّرابَ في ٱلدَّرجةِ ٱلعلياءِ منَ ٱلقوَّةِ وٱلصَّلابَةِ ، حتَّىٰ إِنَّهُ في ٱلوقتِ ٱلأخيرِ ٱلقريبِ هُدِمَ منهُ ٱلجانبُ ٱلجنوبيُّ ٱلشَّرقيُّ ، ٱلمحتويْ علىٰ ٱلفاضلةِ ٱلواسعةِ ، ذاتِ ٱلأعمدةِ ٱلتِّسعةِ ، علىٰ عزمِ بنائِهِ منْ جديدٍ ، فلمَّا وصلُوا في ٱلهدمِ إِلىٰ سقفِ ٱلطَّبقةِ ٱلسُّفلىٰ منهُ . . قالَ ٱلبنَّاؤُونَ : إِنَّنا لا نستطيعُ ٱلبناءَ بِأَقوىٰ ممَّا هوَ موجودٌ منَ ٱلقوَّةِ في هٰذهِ ٱلطَّبقةِ ٱلسُّفلىٰ ، فعدلُوا عَنْ هدمِها ، وبنَوْا عليها ، مستكفينَ بقوَّتها ٱلموجودةِ ، حتَّىٰ إِعادةِ ذلكَ ٱلقصرِ علىٰ عادتِهِ ٱلأولىٰ ، إِلاَّ أَنَّ ٱلجانبَ ٱلغربيَّ منهُ ـ ٱلذي يملِكُهُ ٱلآنَ ٱلسَّادةُ آلُ زينِ

---

(١) منطقةٌ شرقيَّ قريةِ (ٱلرَّيضةِ) و(ٱلسويري) ، يُوجدُ بها مقبرةُ ٱلصَّومعةِ ٱلتي دُفنَ بها ٱلإمامانِ محمَّدُ بنُ علويٍّ ، وعلويُّ بنُ محمَّدٍ آلُ بَاعَلَوِي .

(٢) منطقةٌ بينَ (شرمةَ) و(قارَةِ ٱلسَّناهجِ) بـ (تاربة) ، مقبورٌ بها ٱلإمامُ علويُّ بنُ عبيدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ ٱلمهاجرُ .

العابدين بن أحمد أو : أَحمدَ بن زين ٱلعابِدينَ ـ كانَ يشرفُ علىٰ ٱلهلاكِ ؛ بسببِ عدمِ تعهُّدِهِ بٱلتَّرميمِ لمَا تشعَّثَ منهُ ، وهٰذهِ ٱلدَّارُ ، وذلكَ ٱلمسجدُ ، وتلكَ ٱلقُبَّةُ ، هنَّ أَوَّلُ بناءٍ حدثَ في ذلكَ ٱلسَّفحِ ، منَ ٱلجبلِ ٱلمسَّىٰ (ٱلنُّعَيْرَ) ، وكانتْ تلكَ ٱلأَرضُ مَواتاً ، فأَحياها بٱلبناءِ فيها ، وٱلزِّراعةِ ، وغيرِهمَا ، وصارتْ حارةً منْ حاراتِ (تريم) ، وٱمتدَّتِ ٱلبلادُ منْ جانِبِها ٱلشَّماليِّ شيئاً فشيئاً ، حتَّىٰ ٱنتهتْ بها ٱلعماراتُ في ٱلزَّمانِ ٱلقريبِ إِلىٰ أَطرافِ ٱلجبالِ ، ٱلواقعةِ شماليَّ تلكَ ٱلبلادِ ، بلْ صعدتْ ديارُها في نفسِ ٱلجبالِ ، وكانتْ تلكَ ٱلأَرضُ جبليَّةً ذاتَ أَحجارٍ وأَشجارٍ في ذلكَ ٱلعهدِ ٱلذي بنىٰ الإِمامُ عبدُ اللهِ بنُ شيخٍ ٱلأَوسطِ قبَّتَهُ ومسجدَهُ ودارَهُ ، بلْ وفي عهدِنا هٰذا ، كانَتِ ٱلسُّفوحُ لتلكَ ٱلجبالِ ـ ٱلتي تمتدُّ طولاً منْ سفحِ جبلِ (ٱلنُّعَيْرِ) إِلىٰ سفحِ ٱلجبلِ ٱلذي فيه ٱلقبرُ ٱلمعروفُ بمولىٰ ٱلعرضِ ٱلمستورِ بتلكَ ٱلمثابةِ ، وقدْ تملَّكَ هٰذهِ ٱلأَراضي ٱلسيِّدانِ حسنُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرحمٰنِ ٱلكافُ ، وعبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ علويِّ ٱلكافُ ـ منْ سلطانِ (تريم) لذلكَ ٱلعهدِ مُحسنِ بنِ غالبٍ ٱلكثيريِّ علىٰ سبيلِ ٱلإِقطاعِ

ٱلتَّمليكيِّ ، بثَمنٍ مبلغهُ ـ (٥٠٠٠) نمساويةً ـ أَو بوروم عملةُ سنقافوره ، وقدْ أَحالَ بها ٱلسُّلطانُ ٱلمذكورُ علىٰ ٱلوالدِ عَلويِّ بنِ أَبي بكرٍ ٱلكافِ حينما كانَ نَاظراً علىٰ شؤُونِ ٱلسادةِ آلِ ٱلكافِ بسنقافوره لقصدِ ٱلاتِّجارِ بها فقطَّعَها لهُمَا ٱلسيِّدُ أبو بكرٍ بنُ علويٍّ ٱلمشهورُ قِطَعاً صغيرةً للبناءِ فٱنثالَ ٱلنَّاسُ يشترونَها منهما بأَثمانٍ لا بأْسَ بها وبَنَوْا فيها دِياراً تبلغُ ٱلمِئاتِ ٱلكثيرةَ منَ ٱلدِّيارِ ، وٱتسعتْ بِها ٱلبلادُ منْ طَرفِها ٱلشَّمالي ٱتِّساعاً هائِلاً بعدَ أَنْ كانَ طرفُها ٱلمذكورُ للعهدِ ٱلذي بنىٰ فيهِ ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ شيخٍ ٱلعيدروسُ قبَّتَهُ ومسجدَهُ ودارَهُ بذلكَ ٱلسَّفحِ يحدُّهُ مسيالُ (خَيلَةَ) طولاً منَ ٱلغربِ إِلىٰ ٱلشرقِ وكانتِ ٱلدِّيارُ علىٰ حافَّتِهِ ٱلجنوبيةِ فقط وبينَ كُلِّ دارينِ منْ تلكَ الدِّيارِ سدٌّ يمنعُ ٱلاستطراقَ وهٰكذا ٱبتداً حافَّتَهُ غرباً إِلىٰ مُنتهاها شرقاً حتَّىٰ تكوَّنَ لـ (تريمِ) سورٌ منْ جهتِها ٱلشَّماليةِ لهُ أَربعةُ أَبوابٍ أَحدُها فتحةٌ صغيرةٌ غربيةٌ بٱلقربِ منْ مسجدِ باشميلة يسمِّيها ٱلعوامُّ ـ (خُلْص باشميلة) ـ وقدِ ٱتَّسعَ هٰذا ٱلخُلْصُ في هٰذا العهدِ بعدَ أَنْ كنَّا نعرفُهُ خُلْص . وٱلبابُ ٱلثاني هوَ ٱلبابُ ٱلواسعُ ٱلذي يُسمَّىٰ سُدَّهْ في عُرْفِ ٱلعامَّةِ

وهوَ ٱلواقعُ في ٱلجانبِ ٱلسُّفليِّ منَ ٱلطريقِ ٱلمسمَّاةِ ٱلآنَ بـ (مَنترَةِ هاشمٍ) ، وٱلثَّالثُ هوَ ٱلفتحةُ ٱلواقعةُ بٱلقربِ منْ ديارِ آلِ ٱلدويعني ٱلذي ينتهي إليهِمْ نسبُ بعضِ ٱلسَّادةِ آلِ بلفقيه ، ولا تزالُ تلكَ ٱلفتحةُ تسمَّىٰ (خُلص الدويعني) ، أمَّا ٱلفتحةُ ٱلرَّابعةُ ٱلتي هيَ ٱلبابُ ٱلرابعُ لذلكَ ٱلسُّورِ هوَ ٱلبابُ ٱلمعروفُ بٱلسَّدةِ[1] ٱلتي كانتْ بٱلمكانِ ٱلذي كانَ فيه دارُ الإمامِ محمَّدِ ٱلهادي بنِ ٱلشَّيخِ شهابِ ٱلدينِ ٱلأكبرِ وذلكَ ٱلمكانُ قدْ بُنيتْ فيهِ ديارٌ جديدةٌ تُعرفُ بديارِ آلِ عَدَنٍ وآلِ يانقيل لفَخِذَيْنِ منْ عَبيدِ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ٱلأخيرةِ وكان

---

(١) وَ لـ (تريم) القديمةِ فتحتانِ منَ ٱلناحيةِ ٱلشرقيةِ حيثُ يمتدُّ ٱلسُّورُ منْ غربيِّ مسجدِ ٱلصَّفاءِ ويتَّجهُ إلىٰ الجنوبِ حيثُ توجدُ ٱلفتحةُ ٱلأولىٰ جنوبَ مسجدِ ٱلسَّكرانِ في ٱلجانبِ ٱلسُّفليِّ منْ مَنترَةِ ابنِ حمدونَ ويتَّجهُ ٱلسُّورُ إلىٰ ٱلجنوبِ حيثُ توجدُ ٱلفتحةُ ٱلثَّانيةُ ٱلتي يدخلُ منها ٱلحطبُ وٱلفحمُ ٱلآتيةُ منْ حَذراء ، بينَ بيوتِ ٱلسَّادةِ آلِ بنِ حفيظٍ وبيوتِ ٱلسَّادةِ ورثةِ ٱلسيِّدِ سالمِ بنِ عمرَ بنِ أحمدَ ٱلكاف ومنْ هٰذهِ ٱلسُّدةِ يتَّجهُ ٱلسُّورُ إلىٰ ٱلجهةِ ٱلجنوبيةِ ٱلغربيةِ مارّاً بمسجدِ ٱلمحضارِ وحتَّىٰ مسجدِ بلفقيه ٱلمسمَّىٰ بمسجدِ ـ الحصاه ـ حيثُ توجدُ ٱلسُّدَّةُ ٱلجنوبيةُ لمدخلِ ٱلبلادِ ٱلرَّسميةُ ثمَّ يتَّجهُ ٱلسُّورُ إلىٰ ٱلغربِ إلىٰ جبلِ ٱلفريط .

فِي مؤَخَّرَةِ ذلكَ ٱلسُّورِ في ٱلجهةِ الشَّرقيَّةِ دارُ ٱلإمامِ ٱلعظيمِ ٱلجليلِ ٱلشَّيخِ شهابِ ٱلدِّينِ ٱلأكبرِ أحمدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمنِ بنِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ أبي بكرٍ ٱلسَّكرانِ بنِ عبدِ ٱلرحمنِ ٱلسَّقافِ بَاعَلَوِي وكانَ لهُ أخدامٌ دُورُهُمْ بِجوارِ دارِهِ وحولَ تلكَ ٱلسُّدَّةِ ٱلتي هي ٱلبابُ ٱلرَّابعُ لذلكَ ٱلسُّورِ يأخذونَ عنهُ أمورَهُمُ ٱلدِّينيَّةَ ويَخدمونَهُ عن طيبِ وحسنِ نِيَّةٍ ، وكانَ يُقالُ لهمْ آلُ ٱلسُّدَّةِ لكونِ ديارِهِمْ واقعةً بجوارِ تلكَ ٱلسُّدَّةِ وٱستمرَّ لهمْ ذلكَ ٱلاسمُ إِلىٰ ٱليومِ وبما أنَّ سيِّدَهُمْ وحَبيبَهُمُ ٱلمذكورَ ٱنتقلَ إِلىٰ رحمةِ ٱللهِ تعالىٰ وبقيَ أَولادُهُ وأحفادُهُ في ذلكَ ٱلمكانِ فإنَّهمْ بقَوْا ساكنينَ معهُ بذلك ، ولمَّا ٱنتقلَ حفيدُهُ الإمامُ أحمدُ شهابُ ٱلدِّينِ ٱلأصغرُ إِلىٰ ٱلمكانِ ٱلمعروفِ ٱلآنَ بـ (حارةِ ٱلنويدرةِ[1]) .

وحُفرَ لهُ ثلاثُ آبارٍ وبُني لهُ بها دارٌ ٱنتقلَ معهُ إِليها بعضُ ٱلجيرانِ ٱلمعروفينَ بآلِ ٱلسُّدَّةِ ، وبقيَ ٱلبعضُ بأماكنِهِمْ فصارُوا منقسمينَ بمكانَيْنِ كما كانوا عليهِ ٱليومَ .

---

(١) وهذه الحارة أيضاً خارج مدينة تريم القديمة .

ومنَ الجديرِ بالذِّكرِ الإفادةُ بأنَّ الشَّيخَ عبدَ الرَّحمـٰنِ بنَ الشَّيخِ عليِّ بنِ أَبي بكرٍ السَّكرانِ أَيْ والدَ الشَّيخِ شهابِ الدِّينِ الأكبرِ كانتْ دارهُ بذلكَ المكانِ الذي كانتْ فيها دارُ ابنهِ شهابِ الدينِ الأكبرِ وأَنَّ دارَ شهابِ الدِّينِ هيَ نفسُ دارِ الشَّيخِ عبدِ الرَّحمـٰنِ انتقلتْ إليهِ بالإرثِ منهُ ، والدَّليلُ علىٰ أَنَّها في نفسِ ذلكَ المكانِ ما رواهُ الثِّقاتُ ، منْ أنَّها وقعتْ فتنةٌ عظيمةٌ بينَ دولةِ (تريمِ) ودولةِ (الشِّحْرِ) ووقعَ اصطدامٌ بينَ الفريقينِ بالقربِ منْ مقبرةِ (بريحَ) في الجهةِ الشرقيةِ منْ (تريمِ) فلمَّا علمَ بها الشَّيخُ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عليٍّ رقىٰ سطحَ دارِهِ لينظرَ الواقعَ بينَ الدَّولتينِ فنظرَ إلىٰ المعركةِ بعينِ البصرِ أَوَّلاً ، ثمَّ بعينِ البصيرةِ فرأَىٰ الشَّيخَ عمرَ المحضارَ حاملاً لواءَ الدَّولةِ التريمية ورأَىٰ الشَّيخَ فضلَ بنَ عبدِ اللهِ بافضلَ الشِّحريَّ حاملاً لواءَ الدَّولةِ الشِّحريَّةِ فقالَ : رأَينا جبالاً تتناطحُ لا ندري مَنْ نكونُ معهُ ومنْ نُؤيِّدُهُ وخرجَ مِنَ السَّطحِ . ونستنبطُ منْ هـٰذهِ الحكايةِ أَنَّ ذلكَ الفضاءَ الذي بينَ مقبرةِ بريحَ وبينَ دارِ الشَّيخِ عبدِ الرَّحمـٰنِ الواقعةِ في المكانِ المسمَّىٰ الآنَ بالمجفِّ ، وقد رأَىٰ منْ فوقِ سطحِ دارِهِ المعركةَ المذكورةَ أَنَّ ذلكَ الفضاءَ

بينَ ذينكَ ٱلمكانينِ ٱلذي هوَ ٱلآنَ مملوءٌ بٱلنَّخيلِ وٱلدِّيارِ كانَ في ذلكَ ٱلوقتِ قاعاً صفصفاً بحيثُ لا يَرُدُّ ٱلنَّاظِرَ منْ طَرفِ أَحدِهما عنْ نظرِ ٱلطَّرفِ ٱلثَّاني ، وفي هـٰذا دليلٌ يؤيِّدُ ما يُقالُ منْ أَنَّ ٱلمكانَ ٱلذي بنىٰ فيهِ ٱلشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ شيخٍ قُبَّتَهُ ومسجدَهُ ودارَهُ كانَ مَواتاً لا مِلْكَ فيهِ لأَحَدٍ وأَنَّهُ فعلَ ذلكَ بنيَّةِ الإِحياءِ ٱلشَّرعيِّ فإِنَّ تلكَ ٱلأَراضيَ وٱلأَماكنَ كلَّها ٱلتي بسفحِ جبالِ بلدِ (تريمِ) منَ ٱلجهةِ ٱلشَّماليةِ مواتٌ ذاتُ حجارةٍ وأَشجارِ شوكٍ جبليٍّ وعِضَهٍ ، كَما سمعتُ ذلكَ منْ شيوخِ سادَتي آلِ أَبي علويٍّ هـٰكذا كانَ تحديدُ بلدةِ (تريم) في عصرِ ٱلشَّيخِ شهابِ ٱلدِّينِ ٱلأَكبرِ ، أَمَّا تحديدُها منْ جِهةِ ٱلمشرقِ ، فكانتْ تُحدُّ بِديارِ آلِ باشريف ٱلَّذي يُقالُ لهمُ ٱلآنَ آلُ مسلمٍ ، وكانتْ ديارُهُمْ إِذْ ذَاكَ شرقيَّ مسجدِ بَني عَلَويٍّ بٱلقربِ منْ دارِ عبدِ اللهِ عوض غرامه ودارِ ٱلسيِّدِ طاهرِ بنِ حسينِ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ وكانَ آلُ با شريفٍ ٱلمذكورينَ حاكةً يحوكون ٱلأَثوابَ ، وكانُوا منْ عادَتهِمْ إِذا فرغُوا منْ حياكَتِها يخرجونَ بها إِلىٰ بئرٍ خارجَ ٱلبلدِ لا أَدري أَهِيَ بئرُ ٱلشَّيخ شهابِ الدِّينِ ، أَوْ بئرٌ بقُرْبها ، فيغسِلونَ تلكَ الأَثوابَ ممَّا يعالِجونَها بهِ عندَ ٱلحياكةِ

ويجففونَها بعدَ ٱلغسلِ في ذلكَ ٱلمكانِ ٱلمُسمَّىٰ الآنَ ٱلمجفَّ ؛ أَي ٱلمحلُّ ٱلذي يُجَفَّفُ فيهِ ٱلثِّيابُ وكانَ في عهدِنا أَيَّامَ ٱلصِّغَرِ ، يَخرُجُونَ أربابُ ٱلحاراتِ منَ ٱلعوامِ في ٱليومِ ٱلذي يلي ٱليومَ ٱلذي يقدُمونَ منْ زيارةِ نبيِّ اللهِ هودٍ عليهِ ٱلصلاةُ وٱلسلامُ ، يَخرجونَ منْ ديارِهِمْ بٱلمرازحِ في ٱلطُّرقاتِ ، كلٌّ في حُدودِ حارَتِهِ لا يتعدَّوْنَها ، ويُقالُ لذلكَ ٱليومِ يومَ ٱلمجفِّ ، تغليباً لَهُ علىٰ بقيَّةِ ٱلحاراتِ التريميةِ وإلاَّ فإنَّ تلكَ المرازحَ تُفعلُ ذلك ٱليومَ في جميعِ ٱلحاراتِ بـ (تريمِ) ويدخلُ كلُّ ذَوِي حارةٍ بمرازِحِهِمْ إِلَىٰ أَحواشِ كُلِّ مَنْ يرونَ لهُ ٱلفضلَ وٱلشَّرفَ منْ مُواطِنيهِمْ في تلكَ ٱلحارةِ ، وقدْ سبحَ بِنا ٱلقلمُ حتَّىٰ عرجَ بنا عَنِ ٱلطَّريقِ ٱلتي توصِلُنا إلىٰ معرفةِ ذلكَ ٱلمعهدِ ٱلعلميِّ ٱلمسمَّىٰ بقُبَّةِ آلِ عبدِ ٱللهِ بن شيخِ ٱلعيدروسِ ٱلذي يرتادُهُ طلبةُ ٱلعلمِ منْ (تريمِ) ومن خارجِها للتَّخرُّجِ بهِ في فُنونِ العلومِ ٱلتي كانتْ تُدَرَّسُ في ذلكَ ٱلمعهدِ علىٰ فَطاحلةِ ٱلعلماءِ منْ آلِ عبدِ اللهِ بنِ شيخِ ٱلعيدروسِ وغيرِهِمْ من رِجالاتِ ٱلعلمِ ٱلنَّافعِ .

وقدِ ٱنحرَفْنا قليلاً عنْ هـٰذا ٱلموضوعِ ٱلذي نحنُ بصَددِهِ إِلىٰ مَا لا نقولُ إِنَّهُ لا فائِدَةَ منهُ بلْ نقولُ إِنَّ مِنْ كماليَّاتِ

ٱلعالِمِ أَنْ يعرِفَ ماكانَ لِبلدِهِ وبالأَخَصِّ ما جَرىٰ بِها مِنْ تقلبُّاتِ ٱلزَّمانِ ومُجريَاتِ أَحوالِها في ٱلعصورِ ٱلغابرةِ ومعرفةَ مَنْ كانَ بها منْ رجالِ ٱلعلمِ وٱلأَدبِ ومَا لَهُمْ مِنَ ٱلبَشريَّاتِ ٱلتي لا تخرجُ بِهِمْ عنْ فضلِهِمْ وما لَهُمْ مِنَ ٱلمقاماتِ ٱلعظيمةِ وٱلدَّرجاتِ ٱلرَّفيعةِ فإِنَّ لكلِّ جوادٍ كَبوةً ولكُلِّ سيفٍ نبوةً ، وكانَ حقّاً لذلكَ ٱلعالِمِ أَنْ يعرفَ أَيضاً ما لغيرِ أَهلِ بلدهِ منَ ٱلصِّفاتِ وما بلغتْ بهمْ تقلُّباتُ ٱلأَحوالِ ٱلتي يُقارِنُ بينَ مَا لأَهلِ بلدِهِ وقطرِهِ وبينَ أَهلِ ٱلأَقطارِ ٱلأُخرىٰ ، ويعرفَ ٱلفرقَ بينَ ٱلفريقينِ منَ ٱلعاداتِ وٱلتَّقاليدِ وغيرِ ذلكَ ثمَّ نرجعُ إِلىٰ ما نحنُ بصددِهِ منْ ذِكرِ ما يُدرَّسُ في ذلكَ ٱلمعهدِ منَ ٱلعلومِ ومَنْ يتولَّىٰ تدريسَها بهِ وهيئةَ ٱلتَّدريسِ . وقبلَ أَنْ نفتحَ هٰذا ٱلموضوعَ أَذكرُ لكمْ أَنَّ تلكَ ٱلبناياتِ ٱلثَّلاثَ ٱلتي هيَ ٱلقُبَّةُ وٱلمسجدُ وٱلدَّارُ ٱلآنفاتِ ٱلذِّكرِ بناها كما سبقَ ٱلإِمامُ عبدُ اللهِ بنُ شيخٍ ٱلأَوسطِ[1] ونزيدُ علىٰ هٰذا أَنَّ بناءَهُ لها بمُساعدةِ مُلوكِ

---

(١) صاحبُ ٱلجاهِ ٱلشَّاسعِ وٱلكرمِ ٱلواسعِ وٱلعلمِ ٱلنَّافعِ وكادتْ أَنْ تكونَ هٰذهِ ٱلصِّفاتُ في قبيلةِ آلِ عبدِ اللهِ بنِ شيخٍ كُلِّها .

الهندِ الَّذينَ كانَ محظِيّاً عندَهُمْ بالوجاهةِ والمحبَّةِ وقدْ سبقَ في تَرجمتِنا لهٰذا الإمامِ عندَ تَراجِمِ الأفذاذِ منْ آلِ عبدِ اللهِ بنِ شيخِ العيدروسِ أَنَّ هٰذا السيِّدَ الجليلَ سمع بأنَّ عدداً منَ العلماءِ وطلبةِ العلمِ منْ أربابِ هٰذهِ البلادِ سيُغادرُون البلادَ للارتزاقِ وقضاءِ ما عليهمْ منَ الدُّيونِ وقدْ خافَ هٰذا السيِّدُ العظيمُ أَنْ تخلوَ بُلدانُ (حضرموتَ) وبالأخصِّ بلدةِ (تريمِ) منَ العلماءِ والمعلمينَ وطلبةِ العلمِ فجمعَهُمْ وطلبَ منهمْ أَنْ لا يُغادِرُوا البلادَ وأَعلمهم بأنَّهُ سيسافرُ هوَ بنفسهِ بدلاً عنهمْ وأَنَّهُ سيسعىٰ هوَ بنفسهِ في قضاءِ حوائِجِهمْ وقدَّرَ لهم غيبتَهُ عنهم بأنَّها لا تزيدُ علىٰ ثلاثةِ أَشهرٍ فغابَ تلكَ المدَّةَ أو أقربَ منها ، ورجعَ إليهمْ مزوَّداً بثلاثِ مئةِ أَلفٍ لا أدري أهيَ فِضَّةٌ أمْ منَ الذَّهبِ وقالَ لهمْ إنَّها لِثلاثةِ أشياءَ مهمةٍ مئةُ أَلفٍ لقضاءِ ديونِ أُولٰئِكَ المدينينَ ومئةُ أَلفٍ لصلاحِ مساقِي وادِي ثبي حتَّىٰ يصلَ السَّيلُ منْ ذلكَ الوادي إلىٰ (تريم) وإلىٰ (الغويضة) قريةٌ بإحدىٰ ضواحي (تريم) والمئةُ الأَلفُ الثالثةُ لبنائِهِ القُبَّةَ والمسجدَ والدَّارَ الآنفاتِ ، أَمَّا القُبَّةُ التي فيها قبرُهُ والمسجدُ الذي بجانبِها الغربيِّ المسمَّىٰ ذلكَ المسجدُ

مسجدَ ٱلنُّورِ فإِنَّهُ هوَ ٱلذي بناهُما في حياتِهِ ولٰكنْ ما أَدري في أَيِّ سنةٍ بٱلضَّبطِ منْ سِنِيِّ ٱلتَّاريخ ٱلهجريِّ كما أَنِّي لا أَدري أَيضاً تاريخَ عِمارةِ ذلكَ ٱلمعهدِ ٱلعلميِّ مَعَ ٱلمسجدِ ٱلَّذي يُقالُ لهُ مسجدُ الأَبرارِ وٱلدَّارُ ٱلتي بجانبهِ ٱلغربيِّ ، بيدَ أَنَّا علىٰ سبيلِ ٱلعمومِ نعرفُ أَنَّهُ في حياتِهِ تولَّىٰ عِمارةَ تلكَ ٱلمباني ، وكان أَيضاً هوَ أَوَّلَ مَنْ تولَّىٰ ٱلتَّدريسَ بذلكَ ٱلمعهدِ ولا زالَ مفتوحاً لطلاَّبِ ٱلعلمِ ووزَّادِهِ كارعينَ منْ مياهِ أَنهارهِ ومضتْ عليهِ أَزمنةٌ طويلةٌ وهوَ مزدهرٌ بٱلعلماء وٱلمعلِّمينَ وٱلمتعلِّمينَ حتَّىٰ حصلتْ لهُ فترةٌ ووقفةٌ عنِ ٱلاشتغالِ فيهِ بٱلعلمِ ، ولعلَّ تلكَ ٱلفترةَ سبَّبَها حلولُ ٱلطَّوائفِ ٱليافعيَّةِ بـ (حضرموتَ) وعتوِّهِمْ فيها فتشتَّتْ أَهاليها وتفرَّقوا في أَنحاءِ ٱلبلدانِ فراراً منْ أَذاها ٱلذي لا يُطاقُ ٱلصَّبرُ معهُ ، ولعلَّ منْ جرَّاءِ ذلكَ وقعتِ ٱلفترةُ في معالمِ ٱلبلادِ وتوقفتِ ٱلتعاليمُ ٱلدينيةُ بهِ حتَّىٰ صار ذلكَ ٱلمعهدِ ٱلعيدروسيُّ خَزَّاناً يوضعُ فيهِ ٱلأَنقاضُ ٱلخشبيةُ ٱلباليةُ ومؤَنُ ٱلبناياتِ كالتِّبلِ وٱلجصِّ وٱلتُّرابِ وٱلأَحجارِ وغيرِ ذلكَ ، ومضىٰ عليهِ ردحٌ منَ ٱلزمنِ وهوَ بهٰذهِ ٱلحالةِ إِلىٰ ٱلعقدِ ٱلثَّامنِ منَ ٱلقرنِ ٱلثَّالثَ عشرَ ٱلهجريِّ ، فقيَّضَ

ٱللهُ لِهَٰذا ٱلمعهدِ مَنْ يوقِظُهُ من سِنَةِ ٱلفترةِ ٱلتي حلَّتْ بهِ بعدَ أَنْ رأَىٰ ٱلحبيبُ شيخُ بنُ عيدروسَ بنِ محمَّدٍ ٱلعيدروسِ [1] ، ٱلسيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ شيخٍ ٱلعيدروسَ نفسَهُ أَوْ هوَ أَحدٌ آخرُ منْ أَكابرِ أَهلِهِ يقولُ لهُ نَظِّفوا ٱلقُبَّةَ وجصِّصُوها ، وأَصلِحُوا ما تشعَّثَ مِنها ، وٱفتحوهَا للعلمِ وٱلتَّعليمِ بها كالسابقِ . وأَيَّدَ هٰذهِ ٱلرُّؤْيا ٱلإمامُ ٱلصُّوفيُّ ٱلوليُّ أَحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلكافُ برؤْيَا رآها بمثلِ تلكَ ٱلرُّؤْيا ، أَوْ كانَ ذلكَ منهُ بإِلهامٍ أَو سماعِ هاتفٍ ، ومَا كانَ منْ أَمرِ ٱلحبيبِ شيخٍ إِلاَّ أَنَّهُ حقَّقَ تلكَ ٱلرُّؤْيا ، وٱمتثلَ ما أَشار بهِ ٱلسيِّدُ ٱلحبيبُ أَحمدُ ٱلكَافُ ٱلمذكورُ فنظَّفَها وأَزالَ ما بها منَ ٱلأَشياءِ ٱلمستودعَةِ بها ورمَّمَ ما بِها مِنَ ٱلخرابِ حتىٰ عزمَ علىٰ أَنَّهُ يوصي بدفنِهِ فيها ولٰكنَّهُ رأَىٰ بعدَ هٰذا ٱلعزمِ مَنْ يمنعُهُ عنْ ذلكَ ويحسِّنُ لهُ ٱلدَّفنَ بجانبِ قبورِ أَهلِهِ بمقبرةِ (تريمٍ) . ورُتِّبتْ هيئةُ ٱلتَّعليمِ بها في ٱلصَّباحِ لتقريرِ عبائرِ ٱلكتبِ ٱلفقهيةِ وٱلنَّحويةِ وفي ٱلتَّفسيرِ وٱلحديثِ وما يتيسَّرُ منَ ٱلأُمورِ ٱلأُخرىٰ ، أَمَّا في ٱلمساءِ فتُعقَدُ بها

---

(1) تُوفِّي بـ (تريمٍ) في (٢٦) شعبان (١٣٣٠هـ) .

ٱلجلسةُ ٱلمسمَّاةُ بٱلرَّوحةِ في عشيَّةِ كُلِّ يومٍ ، يُقرأُ فيها في كتبِ ٱلرَّقائقِ وعلومِ ٱلصُّوفيةِ وفي كتبِ ٱلسَّلفِ ٱلصَّالحِ ، وكانَ أوَّلَ مَنْ تصدَّرَ للتَّدريسِ بها ٱلإمامُ ٱلصُّوفيُّ ٱلكبيرُ والوليُّ ٱلشَّهيرُ ٱلحبيبُ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلكافُ ٱلآنفُ ٱلذِّكرِ ، وحوَّلَ قبلَ ذلكَ ٱسمَهَا فسمِّيتْ بٱلمدرسةِ كما صرَّحَ لها بِهٰذا ٱلاسمِ ٱلإمامُ ٱلعلاَّمةُ ٱلحبيبُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلمشهورُ في قصيدةٍ يمدَحُهَا بها مطلَعُها[1] :

وكانَ ٱلحبيبُ علويٌّ ٱلمشهورُ هٰذا هوَ مِمَّنْ تصدَّرَ بها في ٱلصَّباحِ وقدْ مرَّتْ ترجمةُ هٰذا ٱلحبيبِ قريباً . أمَّا ٱلحبيبُ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلكافُ فإنَّهُ سيِّدٌ فاضلٌ

---

(١) بَارِقُ ٱلخيرِ يَلْمَعْ في سَحَائِبِهِ مُقْبِلْ ... رَعْدُهُ آياتُ تُتْلَىٰ وٱلمُهَلِّلْ يُهَلِّلْ
غَيْثُ هَاطِلْ في ٱلفَنَاءْ بَشِيرُهْ يُحَوِّلْ ... أَثبَتَ ٱلصِّدْقَ لِلإقبالِ في كُلِّ مُقْبِلْ
ذاكَ سِرُّ ٱلعِنَايَهْ لِيْ عليها نُعَوِّلْ ... أَقبَلُوا آلُ طَٰهَ وٱنجَلَىٰ كُلُّ مُشْكِلْ
وٱلمَشايخْ زُمَرْ شُفْ داعِي الحقْ يُذْهِلْ ... وٱلعِلِمْ مركَزُ ٱلإنزالِ يَا نِعْمَ مَنْزِلْ
جانبُ ٱلنَّفعِ للطُّلَّابِ ملجأْ ومَعْقِلْ ... مطلبْ أهلِ الرَّغائِبْ كُلْ مُرَبِّي ومُوْصِلْ
قِفْ علىٰ مسجِدِ ٱلأبرارِ وٱركَعْ وَبَسْمِلْ ... وٱدْخُلِ ٱلمدرسةْ وٱلزَمْ كتابَكْ وَرَتِّلْ
وٱحْضِرِ ٱلمحبرةْ عندَ ٱلمسائِلْ وحَصِّلْ ... وٱحْسِنِ ٱلظَّنْ يا مسكينُ إنْ كنتَ تَعْقِلْ

عالـمٌ عاملٌ داعٍ إِلىٰ ٱللهِ بقولـهِ وفعلِـهِ باذلٌ نفسَـهُ لنفعِ ٱلنَّاسِ وتعليمِ ٱلعوامِ لا يفترُ عنْ ذلكَ ولا يَرىٰ نفسَهُ ، مرغِّبٌ في ٱلخيرِ مُحبٌّ لهُ مقبولٌ عندَ ٱلنَّاسِ ، سليمُ ٱلبالِ ، مُلْحَقٌ بِٱلرِّجالِ ، وكانَ ملازماً للطَّيلَسانِ ، لا يمشي إِلاَّ بهِ ، أُمُّهُ ٱلشَّريفةُ رُقيَّةُ بنتُ محمَّدِ بنِ طاهرِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ ، وأُمُّهَا ٱلشَّريفةُ نُورُ بنتُ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ . وأُمُّهُ ٱلشَّريفةُ رقيَّةُ هـٰذهِ كانتْ حَديدةَ ٱلطَّبعِ جداً ، وكانَ بارّاً بها صابِراً علىٰ طَبْعِها لا يستطيعُ أَنْ يردَّ أَمرَها ولوْ كانَ علىٰ غيرِ ٱلصَّوابِ . وقدْ توفِّيتْ بعدَهُ وكانتْ وفاتُهُ بـ (تريمٍ) ، وقُبِرَ بمقبرةِ زنبلٍ وكانَ يومُ ٱلجمعةِ فيهِ وفاتُهُ (٢٠) شعبان سنةَ (١٣١٧هـ) ، وابنُهُ ٱلحسينُ بنُ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ ٱلكافُ ممَّنْ درَّسَ في ٱلصَّباحِ في ذلكَ ٱلمعهدِ في ٱلفقه وكانَ سيِّداً ذكيّاً نبيهاً فقهياً رضيّاً تولَّىٰ ٱلقضاءَ في (تريمٍ) مرَّتينِ وتوفِّيَ يومَ ٱلجمعةِ (٣) شوال سنةَ (١٣٣٣هـ) ولهُ أَخٌ ٱسمهُ أَبو بكرِ بنُ أَحمدَ ٱلكافُ كانَ منَ ٱلصَّالحينَ ٱلمنوَّرينَ ، ٱلعارفينَ باللهِ ، وكانَ ممَّنْ يدرِّسُ في هـٰذا ٱلمعهدِ ، في ٱلصَّباحِ يأتي إِليه بعضُ ٱلطلبةِ ٱلغرباءِ ٱلَّذين يطلبونَ ٱلعلمَ برباطِ (تريمٍ) ٱلآتي

ذكرُهُ فيقرأُ كلٌّ في كتابِهِ ٱلخاصِّ وكانتْ وفاةُ ٱلسيِّدِ أَبي بكرٍ ٱلمذكورِ في عامِ (١٣٤٠هـ) .

أَمَّا ٱلسيِّدُ ٱلإمامُ ٱلهُمامُ ٱلعالمُ ٱلعلاَّمةُ ، ٱلحافظُ لكتابِ اللهِ تعالىٰ ، ٱلذي كانَ ٱلقرآنُ ممزوجاً بلحمِهِ ودَمِهِ ، مِنْ كثرةِ تلاوتِهِ لهُ ومداوَمتِهِ علىٰ ذَلِكَ ، وحيدُ زمانِهِ ، ٱلحبيبُ عبدُ ٱلباري بنُ شيخٍ ٱلعيدروسُ[1] ، كانَ هٰذا ٱلإمامُ هوَ ٱلملازمُ للتَّدريسِ في ذلكَ ٱلمعهدِ صباحَ مساءَ لا يفتُرُ عنْ ذلكَ وكانَ تدريسُهُ في أَنواعِ ٱلعلومِ ، وهوَ ٱلذي يتصدَّرُ في ٱلرَّوحةِ عشيَّةً بذلكَ المعهدِ ، بعدَ وفاةِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ مُحمَّدٍ ٱلكافِ ووفاةِ والدِهِ ٱلحبيبِ شيخِ بنِ عيدروس ، ويحضرُ هٰذه ٱلرَّوحةَ كثيرٌ منَ ٱلعارفينَ ، ٱلذين همْ من كُمَّلِ ٱلرِّجالِ كالحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ شهابِ ٱلدِّينِ ، ٱلذي شهدَ لهُ بٱلمعرفةِ باللهِ كثيرٌ منَ ٱلفضلاءِ وٱلأَمجادِ ، ويحضرُ معهُ أَولادُهُ ٱلخمسةُ ، ٱلذينَ همْ : عليٌّ وأَبو بكرٍ ومحمَّدٌ وعبدُ ٱلرَّحمٰنِ وعمرُ وكلُّ هٰؤلاءِ ٱلخمسةِ رَبَّاهُمْ أَبوهمْ ٱلسيدُ عبدُ اللهِ ٱلمذكورُ

---

(١) تُوفِّي بـ (تريم) في محرم (١٣٥٨هـ) .

بموطنِ ولادَتِهِمْ (سربايه) منَ ٱلبلدانِ ٱلجاويةِ تربيةً دينيَّةً روحانيَّةً وهمْ يمشونَ وراءَهُ صفّاً واحداً كأَسنانِ ٱلمشطِ تقدَّمَهُمْ في ٱلوفاةِ أَخوهُمْ أَبو بكرٍ ثمَّ عمرُ ثمَّ أَبوهُمُ ٱلإِمامُ عبدُ اللهِ عامَ (١٣٤١هـ) ثمَّ لحقَ بِهٰؤُلاءِ ٱلثَّلاثةِ أَخوهُمْ عليٌّ ثمَّ محمَّدٌ ثمَّ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ وكلُّهُمْ وقعتْ وفاتُهُمْ في (تريمٍ) إلاَّ عبدَ ٱلرَّحمٰنِ توفِّيَ بـ (جاوة) وكانوا يُعَدُّون منْ أَساطينِ ٱلبلادِ ومنْ طلبةِ ٱلعلمِ ٱلأَعلامِ وكانَ مِمَّنْ يحضرُ ٱلرَّوحةَ ٱلمذكورةَ ٱلسيدُ ٱلكريمُ علويُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلكافُ ، ومنصبُ ٱلحدادِ ٱلحبيبُ عبدُ القادرِ بنُ حسنِ بنِ عمرَ ٱلحدادُ ، وغيرُ هٰؤُلاءِ ممَّنْ يكثرُ عدُّهُمْ ويعزُّ حصرُهُمْ[1] .

---

(١) وممَّنْ درَّسَ بهٰذهِ ٱلقُبَّةِ ٱلعظيمةِ في ٱلسِّنينِ ٱلأَخيرةِ خاصَّةً في ٱلعصريَّاتِ ـ ٱلرَّوحةِ ـ ٱلحبيبُ ٱلعلاَّمةُ أَبو بكرِ بنُ محمَّدٍ ٱلسَّريُّ ٱلمتوفَّىٰ (٢٨) ربيعِ ٱلأَوَّلِ (١٣٧٦هـ) وٱلحبيبُ ٱلعلاَّمةُ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حُسَيْنٍ ٱلعيدروسُ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (١٣٨٤هـ) ثمَّ ٱلوالدُ ٱلحبيبُ عمرُ بنُ علويٍّ ٱلكافُ مؤَلِّفُ هٰذا ٱلكتابِ درَّسَ فيها ٱلنَّحوَ وٱلتفسيرَ وٱلفقهَ وٱلتراجمَ مدَّةً طويلةً إلىٰ ما قبلَ وفاتِهِ بأَشهرٍ بسيطةٍ توفِّيَ بـ (تريمٍ) (٢٦) جمادىٰ الأُولىٰ (١٤١٢هـ) .

رابعاً : مدرسة دار القراءة بالسحيل

وها نحن ٱلآنَ نذكر ٱلمعهدَ ٱلثالثَ منْ معاهدِ (تريمِ) ٱلعلميَّةِ لذلكَ ٱلعهدِ ، وهوَ ٱلدَّارُ ٱلتي كانَ يسكنُها ٱلحبيبُ ٱلإمامُ العظيمُ والعالمُ النِّحريرُ ٱلحَبِيبُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ حُسينِ ٱلمشهور ٱلواقعةِ بسحيلِ (تريمِ) بٱلقربِ منْ قُبَّةِ آلِ عبدِ اللهِ بنِ شيخ ٱلآنفةِ ٱلذِّكرِ ، وتلكَ ٱلدَّارُ لا تزالُ عامرةً وهيَ ٱلمعروفةُ إلىٰ ٱلآنَ بدارِ ٱلقراءَةِ ، وهيَ ٱلملاصقةُ ٱلآنَ منْ جهةِ ٱلشَّمالِ للدَّارِ ٱلمعروفةِ بدارِ آلِ مشهورِ ، وبينَها وبينَ ٱلدَّارِ ٱلتي يسكنُها صادقُ بنُ مُصطفىٰ بنِ شيخِ ٱلعيدروسُ ٱلتي ٱبتاعَها ٱلسيِّدُ صادقٌ ٱلمذكورُ منْ ورثةِ ٱلسيِّدِ طاهرِ بنِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ يحيىٰ .

وتلكَ ٱلدَّارُ ٱلتي قُلنا إِنَّها كانتْ إلىٰ ٱلآنَ يقالُ لها دارُ ٱلقراءَةِ وإِنَّهُ كانَ يسكنُها أَوْ يسكنُ بجوارِها ٱلعلاَّمةُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدِ ٱلمشهورِ ، وإِنَّما قُلنا هـٰذا بصيغةِ

ٱلشَّكِ لأَنَّ في تلك ٱلمنطقةِ داراً واسعةً يُقالُ لَها (دارُ آلِ مَشهورِ ٱلسَّحيلِ ٱحترازاً منْ آلِ مشهورِ ٱلسُّوَيْريِّ) وقومَ ٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلمشهورِ ٱلآنفِ ٱلذِّكرِ .

وسَنعرِّفُكُمْ إِنْ شاءَ اللهُ بالجَدِّ ٱلذي يتَّفِقُ بهِ تَيْنِكَ ٱلبطنينِ منْ آلِ مَشهورٍ ، ومِنَ ٱلمقطوعِ بهِ أَنَّ تلكَ ٱلدَّارَ ٱلمسمَّاةَ بدارِ ٱلقراءَةِ بالسَّحيلِ هي ٱلتي كانَ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدٍ ٱلمشهورِ يعقُدُ فيها مدارسَهُ ٱلعلميَّةَ ٱلصَّباحيَّةَ والمسائيَّةَ ، أَي : قبلَ أَنْ ينتقلَ إِلىٰ دارِهِ ٱلخاصَّةِ بهِ ، ٱلتي عمَّرَها من جديدٍ بجوارِ مسجدِ مقالدِ ، بحارةِ ٱلسُّوقِ ، علىٰ أَنَّني لا أَدري بالضَّبطِ الوقتَ ٱلذي ٱنتقلَ فيهِ إِلىٰ دارِهِ ٱلجديدةِ هـٰذهِ وقبلَ أَنْ أَذكرَ لكمْ نزراً منْ مناقِبِ هـٰذا ٱلسيِّدِ ٱلعظيمِ ٱلجليلِ ، أَذكرُ لكمْ أَوَّلَ مَنْ أُطلقَ عليه لقبُ ـ ٱلمشهورِ ـ مِنْ آباءِ هـٰذا ٱلسيِّدِ ، فأَقولُ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ أُطلقَ عليهِ هـٰذا ٱللَّقبُ هوَ ٱلجَدُّ ٱلرَّابعُ لهُ وهوَ ٱلجدُّ ٱلجامِعُ للسَّادةِ آلِ مشهورٍ قاطبةً ، ٱسمُهُ محمَّدٌ ٱلمشهورُ بنُ أَحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ شهابِ ٱلدِّينِ ٱلأَصغرِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلقاضي بنِ أَحمدَ شهابِ ٱلدِّينِ ٱلأَكبرِ .

وكانَ محمَّدٌ ٱلمشهورُ هٰذا شريفاً عفيفاً وليّاً مجذوباً ، توفِّيَ بـ (تريم) آخرَ سنةِ (١١٣٠هـ) وكانَ مِنَ ٱلأَوَّابينَ وهوَ أَحدُ ٱلأَوتادِ ٱلأربعةِ ٱلذين قالَ فيهمُ ٱلقطبُ ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ علويٍّ ٱلحدادُ : وَدِدْتُ لو تفرَّقوا في أَرباعِ ٱلبلادِ كي لا يدخلَها شيطانٌ ، وٱلبقيَّةُ هـمْ جنيدُ بـنُ عليٍّ باهارونَ ، وٱلسيِّدُ محمَّدٌ ٱلصويلحُ عبدُ اللهِ بنُ حسينٍ باهارونَ ٱلصَّويلحِ ، وٱلسيِّدُ عمرُ بنُ علويِّ بنِ علويِّ بنِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدٍ عَيديدَ ولمَّا عجزَ هٰؤلاءِ ٱلأَربعةُ عنِ ٱلصَّلاةِ في مسجدِ بَا علويٍّ صارُوا يصلُّونَ في مسجدِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ ٱلحدَّادِ ٱلمسمَّىٰ بمسجدِ ٱلأَوَّابينَ ، وكانَ ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ يسمِّيهمُ ٱلأوابينَ ، وكأَنَّهُ سمَّىٰ مسجدَهُ بٱسمِهِمْ ، وكانوا متجاورينَ في حارةِ ٱلنويدرةِ بـ (تريم) ، وأُمُّ ٱلسيِّدِ محمَّدٍ ٱلمشهورِ هٰذا طفلةُ بنتُ كُوس بنِ سلمةَ مِنْ آلِ عمرانَ .

وٱشتهرَ للسيِّدِ محمَّدٍ هٰذا مِنَ ٱلأَبناءِ ٱثنانِ : علويُّ بنُ محمَّدٍ وعبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ، فأَمَّا علويُّ بنُ محمَّدٍ فهوَ ٱلذي يتَّصلُ بهِ نسبُ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلمشهورِ ٱلذينَ كانوا يسكنونَ قريةَ ٱلشُّويريِّ بقربِ (تريمَ) ٱلذينَ منهمْ ٱلحبيبُ علويُّ بنُ عبدِ

ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَبي بكرِ بنِ محمَّدِ بنِ علويٍّ بنِ محمَّدٍ ٱلمشهورِ ٱلآنفِ ٱلذِّكرِ في مَا مضىٰ منَ ٱلدُّروسِ ، وإِخوانُهُ عمرُ ومحمدٌ ٱلفاخرُ ومحمَّدٌ ٱلطَّاهرُ وعبدُ اللهِ وذراريهمْ ، وٱلسيِّدُ علويُّ بنُ محمَّدٍ ٱلمشهورُ هـٰذا إِمامٌ كاملٌ وعالمٌ عاملٌ ورعٌ مدقِّقٌ سخيٌّ كريمٌ شجاعٌ وليٌّ مكاشِفٌ صادِعٌ بالحقِّ لا يخالفُ ولا يستحي ممَّنْ كانَ ، داعٍ إِلىٰ اللهِ قولاً وفعلاً ، يُحبُّ ٱلفقراءَ ويقرِّبُهُمْ ويكرمُهُمْ ، لَهُ ذوقٌ وفهمٌ في ٱلكتابِ ٱلعزيزِ .

وُلِدَ بـ (تريم) يومَ وفاةِ والدِهِ وتوفِّيَ بها سنةَ (١٢٠٨هـ) ، ومنْ أَوصافِ هـٰذا ٱلسيِّدِ أَنَّهُ منَ ٱلعارفينَ باللهِ تعالىٰ ومنْ أَهلِ ٱلأَحوالِ ٱللَّدنيَّةِ ، ولهُ قدمٌ راسخٌ في ٱلصَّدعِ بٱلأَمرِ بٱلمعروفِ وٱلنَّهيِ عنِ ٱلمنكرِ ، وكانَ يشدِّدُ ٱلنَّكيرَ علىٰ أَهلِ ٱلباطلِ جهاراً ، وكذا علىٰ رِجالِ ٱلعلمِ وٱلجاهِ منَ ٱلسَّادةِ ٱلعلويِّينَ .

وندرَ أَنْ يعترضَ عليهِ أَحدٌ منهمْ ، فكانَ أَعلمَ علماءِ وقتِهِ كٱلحبيبِ عليِّ بنِ شيخِ بنِ شهابٍ وٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ وٱلحبيبِ حامدِ بنِ عمرَ حامدٍ وٱلحبيبِ حسينِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سهلٍ ٱلعلويِّينَ ، يقابِلونَ إِغلاظَهُ

عليهمْ بٱلصَّمتِ ، وكانَ لا يَستدلُّ إلاَّ بٱلقرآنِ ، لا منَ ٱلأخبارِ وٱلآثارِ ويؤوِّلُ ٱلقرآنَ بتأويلٍ مطابقٍ ، وقدْ بلغتْ بهِ ٱلحدَّةُ يوماً أنْ قامَ في مجمعٍ حافلٍ ضمَّ ٱلعلماءَ ٱلمذكورينَ آنفاً وغيرَهُمْ فصلَّىٰ عليهمْ أربعَ تكبيراتٍ ولمْ يعترضْ عليهِ منهمْ أحدٌ ، وقالَ وددتُ لوِ ٱعترضَ عليَّ أحدٌ فأُقابلَهُ بدليلٍ منَ ٱلقرآنِ في أربعِ آياتٍ وقدْ صلَّيتُ علىٰ قلوبهِمْ لأنَّها ميتةٌ وكانَ أهلُ بلدِهِ يرمونَهُ بٱلجذبِ ، وكانَ يجمعُ حفَّاظَ ٱلقرآنِ في البلدِ ويعملُ لهمْ ضيافةً في ٱلسَّنةِ مرَّتينِ أو ثلاثَ مرَّاتٍ وخرجَ منْ (تريمٍ) إلىٰ قريةِ اللَّسكِ ومكثَ بمسجدِها ٱلمنسوبِ للشَّيخِ أحمَدَ باعيسىٰ ثمَّ رجعَ ويعتقدُ بعضُ ٱلنَّاسِ أنَّ خروجَهُ هٰذا كانَ وقتَ ٱشتدادِ ٱلفتنةِ بينَ طوائفِ يافعٍ ٱلتي بـ (تريمٍ) وٱلحقُّ أنَّ خروجَهُ كانَ قبلَ ذلكَ وأنَّ سببَهُ كما في شرحِ قصيدةِ مدهرٍ . ٱلفتنةُ ٱلتي جرتْ بـ (تريمٍ) بينَ ٱلسيِّدِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلعيدروس صاحبِ ثِبي ويافعٍ ، ولمَّا ٱنتهتِ ٱلفتنةُ رجعَ إلىٰ بيتِهِ بـ (تريمٍ) ٱلكائنةِ بٱلقربِ منْ مسجدِ باهارونَ بٱلنُّويدرةِ وبها كانتْ وفاتُهُ .

ويؤيِّدُ ما قلناهُ أنَّ خروجَهُ منْ (تريمٍ) كانَ قبلَ ٱشتدادِ

ٱلفتنةِ بينَ ٱلطَّوائفِ ٱليافعيَّةِ وأَنَّ وفاتَهُ كانتْ في نفسِ ٱلسَّنةِ ٱلتي هاجرَ فيها منْ (تريمِ) ٱلحبيبُ حسينُ بنُ طاهرِ بنِ هاشمٍ بأَهلِهِ وأَولادِهِ إِلىٰ (ٱلمسيلةِ) وهيَ سنةُ (١٢٠٨هـ) كماسبقَ ، وقد نُقلَ عنِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ ما يُصرِّحُ بأَنَّ هجرةَ والدِهِ بهمْ إِلىٰ (ٱلمسيلةِ) كانتْ قبلَ أَنْ تعظُمَ ٱلمِحنةُ وٱلفتنةُ بـ (تريمِ) بعشرِ سنواتٍ ، فٱفْهَموا ذلكَ وقرِّرُوهُ فهٰذا هوَ ٱلحقُّ إِنْ شاءَ اللهُ . . وٱللهُ أَعلمُ .

أَمَّا الابنُ ٱلثَّاني للإِمامِ محمَّدٍ ٱلمشهورِ ٱلذي هوَ أَوَّلُ مَنْ لقِّبَ بِهٰذا ٱللَّقبِ فهوَ ٱلسيِّدُ ٱلصَّالحُ ٱلمجذوبُ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ٱلمشهورِ ، وهٰذا ٱلسيِّدُ هوَ ٱلجدُّ ٱلرَّابعُ ٱلذي يتَّصلُ بهِ نسبُ ٱلإِمامِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ محمَّدِ بنِ حسينِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ ٱلصَّالحِ بنِ محمَّدٍ ٱلمشهورِ وغيرِهِ منْ آلِ مشهورِ ٱلسَّحيلِ ، كانَ هٰذا ٱلسيِّدُ أَعني ٱلحبيبَ عبدَ اللهِ هٰذا منْ كبارِ ٱلأَولياءِ ٱلأَفرادِ ٱلذين لا يدخُلونَ تحتَ دائرَةِ ٱلقطبِ وكانَ لا يعبأُ بقولِ علماءِ ٱلظَّاهرِ ، لهُ ٱلكراماتُ ٱلكثيرةُ وٱلكشوفاتُ ٱلخارقَةُ ٱلمنيرةُ ، وكانَ يأخذُ ٱلحرامَ ٱلصِّرفَ منَ ٱلظَّلَمةِ ويقولُ : أَرىٰ مَنْ هوَ تحتَ بابِ ٱلعرشِ ونريدُ ٱلمرايةَ تتغمَّشُ بأَكلِ

ٱلحرامِ ما تغمَّشتْ ، وأَنكرَ عليهِ رجلٌ بقلبهِ في عدمِ ٱلصَّلاةِ ظاهراً فلمَّا أَتىٰ إِليهِ رشَّهُ منْ لحيتِهِ بماءٍ أَصفرَ وقالَ (وٱللهِ إِنِّي توضأْتُ مِنَ ٱلكوثرِ) وقالَ أَخوهُ علويٌّ ٱلآنِفُ ٱلذِّكرِ : لوْ كتبتُ كراماتِ أَخي عبدِ اللهِ لبلغتْ مجلَّداتٍ ، وُلِدَ بـ (تريم) وتوفِّي بها سنةَ (١١٥٣هـ) ، ترجمَ لهُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ بنُ مصطفىٰ ٱلعيدروسُ بشرحِ (هَاتِ يَا حَادي) وذكرَهُ ٱلشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ أَحمدَ باسودانَ في (فيضِ ٱلأَسرارِ) ، وأُمُّهُ ٱلشَّريفةُ أُمُّ هاني بنتُ عبدِ اللهِ بنِ ٱلقاضي أَحمدَ بنِ حسينٍ بلفقيه ، ولهُ ٱبنٌ ٱسمُهُ عمرُ بنُ عبدِ اللهِ ٱلصَّالحِ بنِ محمَّدٍ ٱلمشهورِ ، كانَ كأَبيهِ ذا كَشْفٍ وَجَذْبٍ وخوارقَ للعادةِ زاهداً مُغْفِلاً عَنْ أُمورِ ٱلدُّنيا ، ولدَ بـ (تريمِ) وتوفِّي بها سنةَ (١٢٠٤هـ) ، ولعمرَ هٰذا ٱبنانِ :

أَحدُهما : ٱسمُهُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ ٱلصَّالحِ ، وهوَ منْ كبارِ ٱلأَولياءِ ذوي ٱلكشفِ ٱلصَّادقِ وٱلبرهانِ ٱلخارقِ وٱلتَّصريفِ ٱلنَّافذِ لهُ ٱلهيبةُ عندَ ٱلخاصِّ وٱلعامِّ مقبولاً عندَ ٱلنَّاسِ توفِّيَ بـ (تريمِ) سنةَ (١٢٥٥هـ) .

وٱلثَّاني : هوَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ شريفٌ فاضلٌ عابدٌ ناسكٌ توفِّي بـ (تريمِ) سنةَ (١٢٤٨هـ) وهوَ والدُ حسينِ بنِ

محمد - بكسرِ ٱلميمِ - بنِ أَحمدَ ٱلمشهورِ ٱلمولودِ بـ (تريمِ) سنةَ (١٢٤٠هـ) وٱلمتوفَّىٰ بسحيلِ (تريمِ) سنةَ (١٣١٩هـ) .

وللسَّيِّدينِ أَحمدَ وعبدِ اللهِ ٱبني عمرَ ٱلمذكورَيْنِ أَخٌ ثالثٌ يُدعىٰ حسينُ بنُ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ ٱلمشهورِ وهوَ ٱلجدُّ ٱلأَوَّلُ للحبيبِ ٱلعلاَّمةِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمدِ بنِ حسينِ بنِ عمرَ ٱلمشهورِ ٱلمتوفَّىٰ بـ(تريمِ) سنةَ (١٢٧٨هـ) ، وقدْ جاوزَ ٱلتِّسعين سنةً ، وقُبِرَ في قبرِ والدِهِ ، وكانَ هـٰذا ٱلسيِّدُ شريفاً لطيفاً زاهداً مُغفِلاً عَنْ أُمورِ ٱلدُّنيا لا يعرفُ ٱلأُوقيَّةَ كَمْ هيَ ، ولمْ يكِلْ ولمْ يوزِنْ منذُ نشأَ قانعاً بما تيسَّرَ في كلِّ شيءٍ ، وٱبنُهُ ٱلسيِّدُ ٱلجليلُ محمَّدُ بنُ حسينِ بنِ عمرَ هوَ والدُ الإِمامِ ٱلوليِّ ٱلعلاَّمةِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدِ بنِ حسينِ بنِ عمرَ ٱلمشهورِ ، كانَ ٱلسيِّدُ محمَّدُ هـٰذا شريفاً عفيفاً ناسكاً متواضعاً وهوَ في خدمةِ أَبويهِ وأَعمامِهِ ، يفعلُ ٱلشُّغلَ بيدِهِ ويحملُ ٱلحاجةَ منَ ٱلسُّوقِ علىٰ كتفيهِ ، وكانَ ميلادُهُ بـ (تريمِ) سنةَ (١٢٣٨هـ) ووفاتُهُ بها يومَ الإِثنينِ في (١٢) ذي ٱلقَعْدَةِ سنةَ (١٣٠٧هـ) .

أَمَّا ٱبنُهُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدٍ ٱلمشهورِ ، فهوَ علاَّمةُ (حضرموتَ) وفقيهُهَا ورئيسُها ٱلدِّينيُّ وصوفيُّها ٱلكبيرُ ، وُلِدَ بـ(تريم) في (٢٩) شعبان سنةَ (١٢٥٠هـ) ، ونشأَ بِها وبعدَ أَنْ ختمَ دراسةَ ٱلقرآنِ ٱلعزيزِ جدَّ في طلبِ ٱلعلمِ ٱلشَّريفِ ، وأَخذَ عَنْ كثيرينَ مِنْ علماءِ عصرِهِ كالإمامِ عمرَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ .

وعليهِ قرأَ في ٱلفقهِ « ٱلمنهجَ » و« ٱلتُّحفةَ » وفي ٱلحديثِ « صحيحَ ٱلبخاريِّ » ، وكالعلاَّمةِ محمَّدِ بنِ إِبراهيمَ بلفقيهِ وٱلحبيبِ محسنِ بنِ علويٍّ ٱلسَّقافِ وٱلعلاَّمةِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليِّ بنِ عمرَ ٱلسَّقَّافِ وٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أَحمدَ باسودانَ ، وأَخذَ ٱلتَّصوفَ عنِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ وٱلحبيبِ حسنِ بنِ صالحٍ ٱلبحرِ ٱلجفريِّ ، وعنِ ٱلحبيبِ ٱلقطبِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلعطَّاسِ وٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ محمَّدِ ٱلمحضارِ ، أَمَّا ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ عليٍّ ٱلجنيدُ فشيخُ فتحِهِ كما لزمَهُ مدىٰ حياتِهِ ، وكانَ خليفَتَهُ في دروسِهِ وقدْ أَفردَهُ بٱلتَّرجمةِ ٱبنُهُ ٱلحبيبُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ في كتابٍ سمَّاهُ : « شرحَ ٱلصُّدورِ » .

وقدْ ذكرَ فيهِ أَنَّ والدَهُ أَيامَ طلبِهِ كانَ يقرأُ كُلَّ يومٍ علىٰ

شيوخِهِ ٱثنيْ عشرَ درساً مطالِعاً عليها ٱثنيْ عشرَ شَرْحاً وسبعاً منَ ٱلحواشي وإذا سارَ إلىٰ (سيؤونَ) علىٰ كُثْرِ ترَدُّداتِهِ إليها للأخذِ عمَّنْ بها منَ ٱلعلماءِ كانَ ذَهابُهُ ماشياً وعلىٰ كتفِهِ كتُبُهُ وزادُهُ وفَرْشُهُ .

وٱستمرَّ - رضيَ اللهُ عنه - إلىٰ مدىً بعيدٍ مِنْ سِنِيِّ شبابِهِ متلقِّياً علومَ ٱلفقهِ وٱلحديثِ وٱلتَّفسيرِ وٱلفلكِ وٱلنَّحوِ ٱلصرفِ وٱلتَّصوُّفِ وغيرِها ، مستوعِباً في تلقِّيها ٱلمتونَ وٱلشُّروحَ وٱلحواشِيَ دراسةً وحفظاً حتَّىٰ بلغَ في معلوماتِهِ إلىٰ درجةِ ٱلأَئِمَّةِ ٱلمجتهدينَ ، وصارَ نجماً يتألَّقُ في سماواتِ ٱلعلماءِ ٱلدِّينيِّينَ وٱلصُّوفيِّينَ ، وتحقَّقتْ فيه نظرياتُ ٱلمتفرِّسينَ ومُكاشفاتُ ٱلمكاشِفينَ مِنْ شيوخِهِ وغيرِهِمْ مِنْ علماءِ عصرِهِ وأَوليائِهِ .

وحينئذٍ أَذنَ لهُ شيوخُهُ في ٱلإفتاءِ وٱلتَّدريسِ ، فتفرَّغَ لذلكَ ، وأَقبلَ إليهِ ٱلطَّلبةُ وٱلمستفتونَ مِنْ مختلفِ ٱلجهاتِ وتفقَّهَ بهِ وتخرَّجَ ٱلجمُّ ٱلغفيرُ ، حتَّىٰ كانَ ٱلكثيرُ مِنْ شيوخِهِ يحضرونَ دروسَهُ ، في زاويةِ جدِّهِ ٱلشَّيخ عليِّ بنِ أَبي بكرٍ وفي سِواها مِنْ مجالسهِ ٱلخاصَّة وٱلعامَّةِ ، ورَوحاتِهِ ٱلمسائيَّةِ بعدَ ٱلعصر في ٱلتَّصوفِ وٱلحديثِ وٱلسِّيرةِ .

وبكلِّ تأكيدٍ إنَّ حياتَهُ كلَّها مصروفةٌ في منافعِ ٱلمسلمينَ ، إذا ٱستثنينا أوقاتَ عبادَتِهِ وأَذكارَهُ ونومَهُ وخلواتِهِ معَ أَهلِهِ ، فإنَّهُ إذا لمْ يكنْ مشتغلاً بٱلتَّدريسِ كانَ مشتغلاً بٱلإفتاءِ وٱلتأليفِ وٱلمطالعةِ وٱلمراجعةِ ، أَو بكتابةِ شجراتِ ٱلأَخذِ أَوِ ٱلنَّسبِ ، أَو بِعَملِ جداولَ في علمِ ٱلفلكِ لمعرفةِ أَوقاتِ ٱلصَّلواتِ ٱلمكتوبةِ إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ ٱلمنافعِ ٱلعامَّةِ غيرِ ٱلعلميَّةِ كالسَّعي في إصلاح ذاتِ ٱلبينِ وفي إصلاحِ ما تشعَّثَ أَو تخرَّبَ مِنَ الزَّوايا وٱلمعابدِ وٱلتُّربِ بـ (تريمِ) وغيرِها .

وبٱلجملةِ : فبروزُ شخصيَّةِ هٰذا ٱلسيِّدِ ٱلعظيمِ في هٰذا ٱلكونِ إنَّما هوَ لمحضِ ٱلنَّفعِ ٱلعامِّ لأَهلِ قُطرِهِ ولكافَّةِ ٱلمسلمينَ ، أَمَّا عباداتُهِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ ونُسُكُهُ وأَذكارُهُ فحدِّثْ عنها ولا حرجَ ، ولكَ أَنْ تَنسُبَهُ بكبارِ ٱلصَّحابةِ وٱلتَّابعينَ وشيوخِ « ٱلرِّسالةِ ٱلقشيريَّةِ » في زُهدِهِمْ وصَلاتِهِمْ وصيامِهِمْ وغيرِهِما مِنْ أَنواعِ عباداتِهِمْ ونُسُكِهِمْ ، وإنْ شئتُمْ أَنْ تَطَّلعوا علىٰ شيءٍ قليلٍ مِنْ عبادتِهِ ونسكِهِ فإنَّ منها قيامَهُ كُلَّ ليلةٍ ، ٱلعمرَ كُلَّهُ ، مِنْ منتصفِ ٱللَّيلِ إلىٰ ٱلفجرِ حتَّىٰ إذا أَوْتَرَ أَوْتَرَ بإِحدىٰ عشرةَ ركعةً معَ ٱلمداومَةِ علىٰ صلاةِ

ٱلضُّحىٰ وٱلأَوَّابينَ وٱلتَّسبيحِ وٱلرَّواتبِ وسائِرِ ٱلصَّلواتِ ٱلنَّافلةِ ، وكانَ يُؤَدِّي كُلَّ ذلكَ مِنْ قيامٍ علىٰ وجهِ ٱلكمالِ ٱلمبيَّنِ في كتبِ ٱلفقهِ وكانَ وردُهُ كُلَّ يومٍ مِنْ رمضانَ مئةَ ركعةٍ ، أَمَّا ٱلصَّلواتُ ٱلمكتوبةُ فكانَ يُؤَدِّيها في جماعةٍ في أَوائِلِ أَوقاتِها بحيثُ لا يُدرِكها معهُ إلاَّ مَنْ كانَ متهيِّئاً لها مِنْ قبلِ دُخولِ ٱلوقتِ ، وكانَ هوَ ٱلذي يتولَّىٰ ٱلأَذانَ وٱلإِقامةَ وٱلإِمامَةَ بمسجدِ جَدِّهِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ أَبي بكرٍ ، وقدْ واظبَ علىٰ ذلكَ نحوَ أَربعينَ سنةً وكانتْ (تريمُ) مستقرَّهُ ٱلأَبديَّ إذا أَسقطْنا سفرَهُ مرَّةً إلىٰ ٱلحرمينِ ٱلشَّريفينِ وأَوقاتَ تردُّداتِهِ إلىٰ (عَلْوَاء) للزِّياراتِ وٱلأَخذِ ، وإِلىٰ (حَذرَاء) لزيارةِ ٱلنَّبيِّ هودٍ عليهِ ٱلصلاة وٱلسلامُ وربَما أَقامَ بجوارِهِ في بعضِ ٱلسِّنينَ مُدَّةً طويلةً وقدْ تبلُغُ شهراً أَو أَكثرَ ٱلتماساً للخَلْوةِ وتفرُّغاً للعبادةِ حتَّىٰ قيلَ إنَّ كتابَهُ « بغيةَ ٱلمسترْشدينَ » أَلَّفهُ كُلَّهُ أَو معظمَهُ هناكَ . ثمَّ علىٰ ذكرِ تأليفِهِ فإِنَّهُ لمْ يكنْ لهُ « ٱلبغيةُ » فحَسْبُ ولٰكنْ لهُ مؤلَّفاتٌ عدَّةٌ كمختصرِ فتاوىٰ ٱبنِ زيادٍ ومختصراتٍ أُخرىٰ في ٱلفقهِ وغيرِهِ وكـ(ٱلشَّجرةِ ٱلعلويَّةِ ٱلكبرىٰ) في أَربعةِ مجلَّداتٍ ضخمةٍ ، ثمَّ لمَّا قَرُبَ ٱنصرامُ أَجلِهِ وحلولُ منيَّتِهِ ٱعتلَّتْ صحَّتُهُ وصارتْ في

اعتلالٍ متزايدٍ مستمرٍّ إلىٰ نحوِ سنةٍ كاملةٍ ، وفي يومِ الجمعةِ (١٥) صفرَ سنةَ (١٣٢٠هـ) وهوَ اليومُ الذي تُوفِّيَ فيهِ في مسائِهِ أسرَّ إلىٰ ابنهِ عليٍّ بحلولِ منيَّتِهِ وأوصاهُ بأشياءَ يفعلُها بعدَ وفاتِهِ . ثمَّ لمَّا دخلَ وقتُ المغربِ وأحرَمَ بالصَّلاةِ مَنْ كانَ في المجلسِ الذي كانتْ بهِ غرفتُهُ إذْا بثلاثةِ طيورٍ كبارٍ خضرٍ دخلتْ عليه فسُمِعَ لها معهُ همسٌ ، حتَّىٰ إذا خرجتْ ذاهبةً وجدوهُ محتضراً لاهجاً بذكرِ اللهِ تعالىٰ إلىٰ أَنْ سُلَّتْ روحُهُ مِنْ جسدِهِ انسلالَ الشعرةِ مِنَ العجينِ ، وذلكَ ليلةَ السبتِ (١٦) صفرَ سنةَ (١٣٢٠هـ) وشيِّعتْ جنازتُهُ عصرَ ذلكَ اليومِ في جموعٍ لا تُعَدُّ وكانَ إمامَ الصَّلاةِ عليهِ ابنُهُ عليُّ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ ، ودُفِنَ بمقبرةِ زنبلَ بـ (تريمِ) وقبرُهُ ملاصقٌ لقبرِ الإمامِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ با عَلَويٍّ صاحبِ المسجدِ الملاصقِ لدارِ صاحبِ التَّرجمةِ المسمَّىٰ ذلكَ المسجدَ ـ مقالد ـ فكَما كانَ مكانُ هٰذينِ الإمامينِ في الدُّنيا متجاوِرَيْنِ كانَ مكانُهُما في البرزخِ كذلكَ بلَّ اللهُ ثراهُما وجَعَلنا مِنَ المجاورينَ لهما في الفردوسِ الأعلىٰ إنَّهُ سميعُ الدُّعاءِ ، وللحبيبِ عبدِ الرَّحمٰنِ هٰذا أخٌ اسمهُ أحمدُ وُلِدَ بـ(تريمِ) سنةَ (١٢٥٥هـ) وتوفِّي

بـ(جاوا) ـ بسمنب ـ وذلكَ سنةَ (١٣٠٢هـ) ، وأُمُّهُ وأُمُّ أَخيهِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ المذكورِ وأَخواتِهما هيَ ٱلشَّريفةُ شَيْخةُ بنتُ السيِّدِ ٱلإمامِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليِّ بنِ علويِّ ابنِ ٱلقطبِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ علويٍّ ٱلحدادِ ، قالَ سبطُهُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ المذكورُ ، تحتَ ٱسمِهِ في ٱلشَّجرةِ ٱلكبرىٰ لآلِ أَبي علويٍّ : كانَ ـ نفعَ اللهُ بهِ وغفرَ لهُ زلَّتَهُ ـ سيِّداً فاضلاً وليّاً صالحاً كثيرَ ٱلحجِّ وٱلزِّيارةِ لجدِّهِ سيِّدِ ٱلكونينِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ، حجَّ سبعَ عشرةَ حجَّةً ، بَرّاً وكانَ سخيّاً كريماً له كراماتٌ وكشوفاتٌ ، أَخبَرني ٱلوالدُ عمرُ بنُ عبدِ اللهِ ٱلزَّاهرُ أَنَّهُ وجدَهُ يوماً سائِراً هوَ وٱبنتُهُ شيخةَ والدَتي وكانَ يحبُّها كثيراً مُتعلِّقاً بها ، مِنْ دونِ بقيَّةِ أَولادِهِ ، قالَ : فقلتُ لهُ : كيفَ هـٰذا مستأَذي منها كثيراً؟ فقالَ : ما تدري يا عمرُ عادَ بايقع لها شأنٌ وصيتٌ . اهـ .

حقَّقَ اللهُ رجاهُ وأَعطاهُ ما تمنَّاهُ ولعلَّهُ أَرادَنا بذلكَ ، ومَا أَتسمْنا بهِ مِنَ ٱلعلمِ . ربُّنا يجعلُنا هداةَ ٱلأُمَّةِ وينفَعُنا بما علَّمَنا ويجعلُهُ حُجَّةً لَنا لا عَلينا . توفِّيَ بـ (المخا) وقُبِرَ بجانبِ قُبَّةِ ٱلشَّيخِ العمودِي سنةَ (١٢٤٨هـ) .

* * *

خامساً: زاوية مسجد الأوابين

هيَ زاويةُ مسجدِ ٱلإمامِ ٱلعظيمِ وٱلشَّيخ ٱلكبير وٱلقطبِ ٱلشَّهيرِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ علويٍّ بنِ محمَّدٍ ٱلحدَّادِ ٱلذي أَسَّسَهُ وبناهُ ذلكَ الإمامُ بحارةِ نويدرة (تريمٍ) بجانبها ٱلشَّمالي وذكرَ بناءَهُ وتاريخَ بنائِهِ في قصيدَتِهِ ٱلتي هيَ قولهُ[1] . سمَّاهُ مسجدَ ٱلأَوَّابينَ ، ولم يَطْلق ٱسمَ ٱلحدَّادِ

---

(١) ٱلعبدُ قَدْ بَنَاهُ للهِ مِنْ عَطَاهُ وٱلعبدُ ليسَ يَمْلِكُ شيئاً مَعَ مولاهُ
يَا رَبَّنَا تَقَبَّلْ منهُ وَكُنْ مَعَاهُ وَكُنْ بِهِ لَطِيفاً وٱغْفِرْ لَهُ خَطَاهُ
وٱلمسجدُ ٱلمُبَارَكُ قَدْ أَرَّخُوا بِنَاهُ أَحِبَّةٌ كِرَامٌ وبِٱلمَلِيحِ فَاهُوا
وَخَيْرَ كُلِّ شيءٍ قَالُوا وَمُنْتَقَاهُ مَا قَالَهُ وَجِيهٌ ثَنَاؤُهُ دُعَاهُ
قَالُوا ونَحنُ نَرجُو (نَطْلُبْ بِهِ رِضَاهُ - ١٠٧٤ -) يَارَحْمَةَ ٱلمُهَيمِنِ بَلِّغْ لَهُ تَرَاهُ .

وقدْ أَرَّخَهُ جماعةٌ مِنَ ٱلسَّادَةِ آلِ أَبي عَلَويٍّ وغيرِهِم منهمُ ٱلسيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمنِ ٱلحبشيُّ وإيَّاهُ عنىٰ بقولهِ وجيهٌ .(ديوان الإمام الحداد) .

قصداً ، وكانَ هٰذا ٱللَّقبُ ملازماً لهُ حتَّىٰ ٱليومِ ، وكانَ بعضُ ٱلعامَّةِ بلْ وٱلخاصَّةِ إذا أَرادَ ٱلصَّلاةَ فيه يقولُ : أُصلِّي في ٱلأَوَّابينَ ، بحذفِ ٱلمسجديَّةِ ، وذلكَ لشدَّةِ معرفتِهِ بذلكَ ٱللَّقبِ عندَ ٱلإطلاقِ ويقالُ : إِنَّما أَطلقَ ٱلإمامُ ٱلحدَّادُ عليهِ هٰذا ٱللَّقبَ دونَ أَنْ يسمِّيَهُ بٱسمِهِ لأَنَّهُ كانَ أَربعةٌ[1] مِنَ ٱلسَّادةِ ٱلأَقطابِ مقيمينَ بـ (نويدرةِ تريمٍ) . وكانوا يصلُّونَ في مسجدِ بَاعَلويٍّ ، فلمَّا ضَعُفُوا عَنِ ٱلذَّهابِ إِليهِ ، صارُوا يصلُّونَ في هٰذا ٱلمسجدِ مُلازمينَ لَهُ في كُلِّ صلاةٍ ، وكانَ يُقالُ لهمُ ٱلأَوَّابينَ ـ جمعُ أَوَّابٍ ـ وهوَ ٱلرَّجَّاعُ إِلىٰ ٱلخيرِ يعني كثيرَ ٱلرُّجوعِ إِلىٰ فِعلِ ٱلخيرِ أَيْ كلَّما ٱنفلتَ مِنْ خيرٍ رجعَ إِليهِ ، أَو إِلىٰ أَخيرَ منهُ ، كما قالَ اللهُ في حقِّ داودَ عليهِ ٱلصَّلاةُ وٱلسَّلامُ : إِنَّهُ أَوَّابٌ .

وكانَ ٱلإمامُ ٱلحدَّادُ يقولُ في حقِّ أُولٰئِكَ ٱلأَئِمَّةِ ٱلأَربعةِ : أَودُّ لو تفرَّقُوا في أَرباعِ بلدةِ (تريم) لكانَ لها بهمُ ٱلحفظُ مِنْ كلِّ شيطانٍ فيها ، وهٰؤلاءِ ٱلأَربعةُ ٱلأَوتادُ همْ :

---

(1) مَرَّ ذكرُ هٰؤلاءِ ٱلأَربعةِ ٱلأَوَّابينَ فيما قبلُ ، وإِنَّما ذُكِرُوا هنا مرَّةً أُخرىٰ لأَنَّ لِذكرِ كُلٍّ منهم مناسبةً غيرَ ٱلأُخرىٰ .

الإمامُ : محمَّدُ ٱلمشهورُ بنُ أَحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ شهابِ ٱلأَصغرِ ٱلمتوفَّىٰ بـ(تريمِ) آخرَ سنةِ (١١٣٠هـ) ومِنْ سُلالَةِ آلِ ٱلمشهورِ مِنْ ذريَّةِ ٱلإمامِ أَحمدَ شهابِ ٱلدِّينِ ٱلأَصغرِ ثمَّ شهابِ ٱلدِّينِ ٱلأَكبرِ .

والثَّاني : وهوَ ٱلسيِّدُ ٱلعَظيمُ ٱلمبجَّلُ ٱلجنيدُ بنُ عليِّ بنِ أَبي بكرِ ٱلجنيدِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ ٱلصَّالحِ بَاهَارونَ ، وهوَ سيِّدٌ فاضلٌ وليٌّ صالحٌ عالمٌ عاملٌ ناسكٌ كثيرُ ٱلزِّيارةِ للقبورِ كلَّ مساءٍ بعدَ ٱلعصرِ ، وُلِدَ بـ(روغةَ) قُربَ (تريمِ) وتوفِّيَ يومَ ٱلجمعةِ بـ(روغةَ) أَيضاً ولُحِدَ بـ(تريمِ) سنةَ (١١١٧هـ) .

والثَّالثُ : هوَ ٱلسيِّدُ عمرُ بنُ علويِّ بنِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ عَيديدُ وهوَ سيِّدٌ شريفٌ فاضلٌ ذو ورعٍ وزهدٍ ، توفِّيَ بـ(تريمِ) بعدَ أَنْ عاشَ في عصرِ ٱلإمامِ ٱلحدَّادِ ، غيرَ أَنِّي لا أَعرفُ تاريخَ ميلادِهِ ولا وفاتِهِ بٱلضَّبطِ ، وكانتْ وفاتُهُ بـ(تريمِ) .

والرَّابعُ : هوَ ٱلسيِّدُ محمَّدُ ٱلصُّويلحُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلصُّويلحِ بنِ عليِّ بَاهَارُونَ ، كانَ مِنَ

ٱلصَّالحينَ ٱلأَخيارِ ، لمْ أَقفْ علىٰ تاريخِ ميلادِهِ ولا وفاتِهِ .
غيرَ أَنَّا نعرفُ ما يقرِّبُنا إِلىٰ معرفةِ تاريخِ وفاتِهِ من أَنَّهُ كانَ يعيشُ في عصرِ ٱلإِمامِ ٱلحدَّادِ ، وليسَ هوَ صاحبُ مسجدِ باهارونَ بـ(نويدرةَ تريمٍ) بلْ إِنَّ صاحبَ هٰذا ٱلمسجدِ ٱسمُهُ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ٱلصُّويلحُ بنِ عليِّ بنِ هارون بَاهَارونَ ، وكانَ هٰذا ٱلسيِّدُ رجلاً فاضلاً وليّاً زاهداً يحبُّ ٱلخمولَ ، تاركاً للشُّهرةِ وٱلفضولِ ، نُقِلَ عنْ بعضِ ٱلسَّلفِ ٱلصَّالحِ أَنَّهُ قالَ : « حالُ هٰذا ٱلسيِّدِ كحالِ ٱلشَّيخِ عمرَ ٱلمحضارِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلسَّقَّافِ » ، ويقولُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ ٱلمشهورُ في حقِّهِ : سمِعْنَا أَنَّهُ حفرَ بئْرَ مسجدِهِ بيدِهِ . اهـ .

وقدْ سمعتُ مِنَ ٱلوالدِ محمَّدِ عبدِ ٱلمولىٰ بنِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ أَحمدَ بنِ طاهرٍ ، ممَّا يُروىٰ لهُ عَنِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ أَنَّهُ كانَ يستشفي بماءِ هٰذه ٱلبئرِ ، أَعني بئْرَ مسجدِ بَاهارونَ ٱلآنفةِ ٱلذِّكرِ ، فيبعثُ مَنْ يأْتيهِ بدلْوٍ مِنْ مائِها ويسقيهِ للمريضِ ٱلَّذي كانَ عندهُ بـ(ٱلمَسيلةِ) ، قالَ ٱلسيِّدُ عبدُ ٱلمولىٰ ٱلمذكورُ إِنَّهُ يقالُ لِهٰذا ٱلبئرِ بئْرَ ٱلسَّعادةِ . اهـ .

ولـٰكنَّني أَسمعُ أَنَّ هـٰذا ٱلاسمَ يُطلقُ علىٰ بئرِ مسجدِ ٱلزَّاهرِ بٱلنُّويدرةِ وكذا علىٰ بئرِ مسجدِ ٱلماسِ ، أَمَّا بئرُ مسجدِ شهابِ ٱلدِّينِ ٱلذي بٱلنُّويدرةِ بجانبِها ٱلشَّماليِّ ٱلذي أَنشأَهُ وبناهُ ٱلسيِّدُ ٱلفاضلُ أَحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ شهابٍ ، فإِنَّها موجودةٌ بذلكَ ٱلمكانِ مِنْ قبلِ بناءِ هـٰذا ٱلمسجدِ ويُقالُ : إِنَّها إِحدىٰ ٱلحفائرِ ٱلثَّلاثِ ٱلتي حَفَرَها الإِمامُ أَحمدُ شهابُ ٱلدِّينِ ٱلأَصغرُ بٱلنُّويدرةِ حينَما سكنَ ٱلنُّويدرةَ ، ويقالُ إِنَّهُ لمَّا حفرَها قالَ : سَيَبْني بجانبِها مسجداً أَحدٌ مِمَّنْ يُنسَبُ إِليَّ ٱسمُهُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ كٱسمي وٱسمُ أَبيهِ كٱسمِ أَبي .

وقدْ أَشارَ إِلىٰ ذلكَ سيِّدي ٱلجَدُّ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ شهابٍ في قصيدتِهِ ٱلتي نظمَ فيها مساجدَ (تريمٍ) ، فإِنَّهُ قالَ مشيراً إِلىٰ تلكَ ٱلبئرِ :

بئرُ ٱلسَّعادةِ جَاتْ بعدَ ساعهْ	تَشْكي بقومٍ عندَهُمْ وَدَاعَهْ
مُرَادُهَا مَسْجِدْ كَمَا ٱلجماعهْ	شَيْخي شِهابُ ٱلدِّينِ بِهْ يُوَاعِدْ[1]

---

(١) كثرتِ ٱلاستفساراتُ عنْ عددِ مساجدِ (تريمٍ) في ٱلآونَةِ ٱلأَخيرةِ وٱختلفتِ ٱلآراءُ حولَ تبيانِها فقامَ ٱلمؤلِّفُ ـ رحمه اللهُ ـ بحصرِ =

مساجدِ (تريمِ) وضواحِيها عامَ (١٤٠٧هـ) فوصلتْ إلىٰ (١١٩) مسجدٍ إليكَ أسماءَها أوّلاً :

مساجدُ ٱلنّويدرةِ :

١ـ مسجدُ مولىٰ ٱلعَرضِ ، ٢ـ ٱلزُّهرةُ ، ٣ـ ٱلأوّابينَ ، ٤ـ دَحمانُ ، ٥ـ ٱلزَّاهِرُ ، ٦ـ شهابُ ٱلدِّينِ ، ٧ـ شيخُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ عَيديدُ ، ٨ـ بَاهَارونَ ، ٩ـ سرورُ بنُ مساعدٍ ، ١٠ـ ٱلماسُ ، ١١ـ با زْغيفانَ ، ١٢ـ بافقيهْ ، ١٣ـ با حبلِيل .

مساجدُ ٱلسَّحيلِ :

١٤ـ حسنُ بنُ عبدِ اللهِ ٱلكافُ ، ١٥ـ عبدُ اللهِ بنُ شيخٍ ، ١٦ـ درويش ، ١٧ـ أحمدُ بلفقيه ، ١٨ـ ٱلكَافُ ، ١٩ـ سَرْجِيْس .

مساجدُ ٱلرُّضَيْمةِ وٱلسُّوقِ :

٢٠ـ بَاشُميلة ، ٢١ـ بلفقيه ، ٢٢ـ جملُ ٱللَّيلِ ، ٢٣ـ ٱلرِّباطُ ، ٢٤ـ ٱلشَّيخُ فضلُ بنُ محمَّدٍ ، ٢٥ـ مولىٰ خيلةَ ، ٢٦ـ ٱلحدَّادُ بَالحاوي ، ٢٧ـ ٱلحدَّادُ بٱلمحيضرةِ ، ٢٨ـ عمرُ بنُ شيخِ ٱلكافُ ، ٢٩ـ عاشقٌ ، ٣٠ـ ٱلمحضارُ ، ٣١ـ ٱلهُجَيرةُ ، ٣٢ـ بنْ سدّ ، ٣٣ـ ٱلجامعُ ، ٣٤ـ أبو بكرٍ ٱلحبشيُّ ، ٣٥ـ زينُ بنُ عبيد ، ٣٦ـ مدنِجج ، ٣٧ـ باجْذِيْع ، ٣٨ـ مسعودٌ ، ٣٩ـ با عَلوي ، ٤٠ـ ٱلخَلْعُ ، ٤١ـ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ أبي بكرٍ ، ٤٢ـ ٱلعَيدروسُ ، ٤٣ـ باخطفانُ ، ٤٤ـ برُومُ ، ٤٥ـ ٱلشَّيخُ حسينُ ٱلعَيدروسُ ،=

٤٦ـ بَاجُرْش ، ٤٧ـ ٱلسَّقَّافُ مولىٰ ٱلرَّاتب ، ٤٨ـ ٱلخميسُ ، ٤٩ـ ٱلسَّقافُ لزرا ، ٥٠ـ ٱلحَصاه ، ٥١ـ مَذين ، ٥٢ـ بَابَطِينه ، ٥٣ـ عَلَوي ٱلسَّمين ، ٥٤ـ ٱلحبُوظِي ، ٥٥ـ ٱلسُّلطانُ ٱلأَوَّلُ ، ٥٦ـ حمَّامُ بَاجحدَب ، ٥٧ـ بَاحميد ، ٥٨ـ ٱلجوهريُّ ، ٥٩ـ ٱلصَّفاءُ ، ٦٠ـ با يعقوبُ ، ٦١ـ ٱلسَّكرانُ ، ٦٢ـ مَقَالد .

مساجدُ ٱلخَليفِ :

٦٣ـ مسجدُ شكره ، ٦٤ـ سخيمه ، ٦٥ـ ٱلوعلُ ، ٦٦ـ فضلْ بامَقَاصير ، ٦٧ـ نُفيعُ بنُ ٱلحارثِ ، ٦٨ـ سوَيَّه ، ٦٩ـ جمالْ ، ٧٠ـ عزيزه ٱلصغرىٰ ، ٧١ـ عزيزه ٱلكبرىٰ قسيمي ، ٧٢ـ بازْشيْد ٱلأَوَّل ، ٧٣ـ بازْشيْد ٱلثَّاني ، ٧٤ـ ٱلجبَّانَه ، ٧٥ـ حسنُ بنُ ٱلسَّقَّاف ، ٧٦ـ ٱلخِرِدْ ، ٧٧ـ ٱلدُّوَيْلَهْ ، ٧٨ـ بامصباحُ ، ٧٩ـ ٱلسُّلطانُ ٱلثَّاني ، ٨٠ـ ٱلنُّورُ في ٱلتُّربةِ ، ٨١ـ صبيع بالتربة ، ٨٢ـ با حرمي ، ٨٣ـ بن عتيق .

مساجد تريم :

٨٤ـ حسن عبدُ الله ٱلكاف ، ٨٥ـ عَطاس ٱلحبشي ، ٨٦ـ ٱلنُّورُ ٱلثَّاني ، ٨٧ـ مولىٰ عيديد ٱلقبَّةِ ، ٨٨ـ مولىٰ عيديد ٱلكُودَة ، ٨٩ـ أحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ عيديد .

ٱلمساجدُ ٱلدَّائِرَةُ :

٩٠ـ مسجدُ ٱلبطيحاءِ ، ٩١ـ باسويدانَ ، ٩٢ـ با صاع .

وحيثُ أنَّنا خرجْنا عَنْ طريقِ ٱلسَّيرِ فيما يتعلَّقُ بمسجدِ ٱلأوَّابينَ وإقامةِ ٱلدُّروسِ بهِ وعرَّجْنا عَنْ ذلكَ بذكرِ ٱلآبارِ بـ(نويدرةِ تريمٍ) ٱلتي كانَ بعضُ ٱلسَّلفِ يتبرَّكونَ بمائِها ، تذليلاً لترجمةِ ٱلإمامِ محمَّدِ ٱلصُّويلحِ باهارون ، مِنْ أنَّهُ حفرَ بئرَ مسجدِهِ بنفسهِ ، وأنَّ لِهٰذهِ ٱلبئرِ ٱلذِّكرَ ٱلحسنَ ،

= ٱلمساجدُ ٱلمتداخِله :

ٱلشَّيخُ عليٌّ يحوي علىٰ ٣ (٩٣ـ٩٤ـ٩٥) ، سرجيس يحوي علىٰ ٣ (٩٦ـ٩٧ـ٩٨) ، إلىٰ غيرِ ذلكَ ممَّا لا أقطعُ بهِ .

ٱلمساجدُ ٱلتي في ضواحي (تريم) ٱلتي تعدُّ مِنْ نَفْسِ (تريمِ) بحَسَبِ تحديدِها مِنْ قديمٍ وهي كما يلي :

٩٩ـ مسجِدُ بلفقيه بدمُّونَ ، ١٠٠ـ مشهور ، ١٠١ـ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ شهابِ ٱلدِّينِ ، ١٠٢ـ ٱلسَّكرانُ لأبي بكرِ بنِ عليٍّ ، ١٠٣ـ ٱلشَّجرة ، ١٠٤ـ ٱلفجير ، ١٠٥ـ ٱلغويضة ، ١٠٦ـ ٱلحدَّادُ بالسبير ، ١٠٧ـ إبراهيمُ بنُ ٱلسَّقَّاف ، ١٠٨ـ حِصْنُ فَلُّوْقَةَ ، ١٠٩ـ ٱلعَيدروس بالرَّملةِ ، ١١٠ـ ٱلمستخرِطُ قُربَ ٱلبَدعْ ، ١١١ـ ٱلبدع ، ١١٢ـ با مَخسونُ ، ١١٣ـ باجلحَبان ، ١١٤ـ مسجدُ عَلوي بثِبِي ، ١١٥ـ ٱلمُقْطبْ بثِبِي ، ١١٦ـ بلحاج بافضل ، ١١٧ـ حِصْنُ ٱلعزِّ ، ١١٨ـ آل عمهر ، ١١٩ـ آلُ ٱلشُّعيرة اهـ « مواهب ٱلقُدُّوس ».

والاستشفاءُ بمائِها لدىٰ أَهلِ الفضلِ والولايةِ ، كالحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ وغيرِهِ . ثمَّ إِلىٰ ذكرِ الآبارِ بـ(النويدرةِ) التي تشارِكُها في الاسمِ ، والتبرُّكِ بها علىٰ أَنَّ تعريجَنا هـٰذا لابدَّ لهُ مِنْ فائدةٍ ثمَّ إِنَّنا الآنَ نرجعُ إِلىٰ بقيَّةِ الكلامِ فيما يتعلَّقُ بالأَوَّابينَ ، ثمَّ إِلىٰ ذكرِ مَنْ كانَ يَدْرُسُ بذلكَ المسجدِ وهيئَةِ التَّدريسِ بِهِ .

فنقولُ : إِنَّهُ بقيَ ممَّا يتعلَّقُ بالأَربعةِ الأَوَّابينَ ما وصفَهُمُ الإِمامُ الحدَّادُ علاوةً عمَّا تقدَّمَ عنهُ فيهِمْ أَنَّهُ في حقِّهِمْ يقولُ : إِنْ أَردتمُ الهلالَ فعليكمْ بِهـٰؤلاءِ الأَربعةِ ، وقبلَ أَنْ نذكرَ أَوَّلاً شيئاً مِنْ مناقبِ مُنشِئِهِ وعَامرِهِ نقدِّمُ لكم أَوَّلاً اسمَهُ المعروفَ ، ثمَّ نسبَهُ المسلسلَ إِلىٰ أَوَّلِ مَنْ سُمِّيَ بالحدَّادِ ثمَّ إِلىٰ صاحبِ مرباطٍ .

فنقـولُ : هـوَ الحبيـبُ القطـبُ الشَّيـخُ عبـدُ اللهِ بـنُ علويِّ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ عَلويِّ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ الحدَّادِ . فأَحمدُ هـٰذا هوَ أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بالحدَّادِ لقضيةٍ جرتْ مشهورةٍ بينَ النَّاسِ[1]

---

(١) وقدْ سُمِّيَ بذلكَ لكثرةِ جلوسِهِ عندَ بعضِ الحدَّادينَ في مِخدادَتِهِ ، =

لا نُطيلُ بذكرِها، وأحمدُ هٰذا ٱبنُ أَبي بكرِ ٱلطويلِ بنِ أَحمدَ ابنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ علويٍّ بنِ محمَّدٍ صاحبِ مرباطٍ . . إلخ .

وٱلحبيبُ عبدُ اللهِ هٰذا مِنْ أَهلِ ٱلطَّبقةِ ٱلحاديةِ وٱلثَّلاثينَ بٱلنِّسبةِ لاتصالِهِ بالإمامِ أميرِ ٱلمؤمنينَ عليٍّ بنِ أَبي طالبٍ وفاطمةَ ٱلزَّهراءِ ، ووالدِها سيِّدِ ٱلكائناتِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَمَّا مِنْ جهةِ ٱتصالِهِ بٱلإمامِ محمَّدٍ صاحبِ مرباطٍ فهوَ مِنْ أَهلِ ٱلطَّبقةِ ٱلسَّادسَةَ عَشْرَةَ . وكانَ هٰذا ٱلسيِّدُ إمامَ زمانِهِ بٱلاتفاقِ وداعياً إِلىٰ اللهِ في سرِّهِ وعلانيَّتِهِ بلا تعسُّفٍ ولا نِفاقٍ ، مناضلاً عَنِ ٱلدِّينِ ٱلحنيفيِّ بقلمِهِ ولسانِهِ علىٰ الإطلاقِ ، مشاراً إليهِ بٱلبَنانِ في جميعِ ٱلعلومِ وٱلأَسرارِ وٱلعرفانِ ، جامعاً بينَ ٱلحقيقةِ وٱلشَّريعةِ ، واصلاً إِلىٰ مراتبِ ٱلكمالِ بأَوفَقِ ذَريعةٍ .

---

* وهناكَ أَحمدُ آخرُ مِنَ ٱلعلويِّينَ لهُ شهرةٌ وأَتباعٌ فَلامَهُ ٱلحدَّادُ ٱلذي يجلسُ في محدادتِهِ علىٰ خمولِهِ وكثرةِ جلوسِهِ عندَهُ معرِّضاً بما لأَحمدَ ٱلآخرِ مِنْ جاهٍ فقالَ لهُ مَنْ لُقِّبَ ٱلحدَّادَ : سترىٰ ما يسؤُكَ مِنِّي . فيما بعدُ صارتْ لهُ وجاهةٌ حتَّىٰ ضاقتْ محدادةُ ٱلحدَّادِ بٱلملتمسينَ بركتَهُ . فقالَ لهُ ٱلحدَّادُ : كفىٰ فقدِ ٱقتنعتُ بحسنِ ظنِّي فيكَ . (المعجم اللطيف) .

كراماتُهُ كثيرةٌ نقلَ الإمامُ ٱلسيِّدُ ٱلهمامُ محمَّدُ بنُ زينِ بنِ سميطٍ في مناقبِهِ نحوَ مئَتي حكايةٍ . ومناقبُهُ شهيرةٌ ومشهورةٌ عندَ ٱلخاصِّ وٱلعامِّ ، كنارٍ علىٰ أَعلامٍ ، عمَّ بهِ ٱلنَّفعُ جميعَ ٱلأَنامِ . ومكثَ في (ٱلقطبية ٱلكبرىٰ) أَكثرَ مِنْ ستِّينَ سنةً كما يقولُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ ٱلمشهورُ ، علومُهُ غزيرةٌ كثيرةٌ لا يحملُها إِلاَّ ٱلمهديُّ كما قالَ ، وعباداتُهُ كبيرةٌ لا يُطيقُها إِلاَّ قليلٌ مِنَ ٱلرِّجالِ . كانَ في أَيَّامِ صباهُ ، وردُهُ وقتَ ٱلضُّحىٰ مئَتي ركعةٍ ، لهُ ٱلكشفُ ٱلجليُّ وٱلعقلُ ٱلكاملُ ٱلوفيُّ .

وقدْ بلغَ في ٱلعلمِ ٱلظَّاهرِ مقامَ ٱلاجتهادِ ٱلمطلقِ ، لهُ ٱلتَّصانيفُ ٱلمفيدةُ وٱلمواعظُ وٱلمكاتباتُ ٱلعديدةُ وٱلشِّعرُ ٱلحسنُ ٱلذي لمْ يُسبَقْ إِلىٰ مثلِهِ حسّاً ومعنىً ، معَ ما جمعَ مِنْ عذوبةِ ٱللَّفظِ وَغرابةِ ٱلمعنىٰ ، وُلِدَ بـ(تريمِ) ليلةَ الاثنين (٥) صفرَ (١٠٤٤هـ) وتوفِّيَ بـ(حاويها) سنةَ (١١٣٢هـ) ودُفِنَ بـ(زنبلَ) وقبرُهُ أَشهرُ مِنَ ٱلشَّمسِ في رابعةِ ٱلنَّهارِ ، لائحةٌ عليهِ الأَنوارُ ، فمَنْ قصَدَهُ بنيَّةٍ صادقةٍ حصلَ مقصودُهُ .

ورأَىٰ بعضُ أَهلِ ٱليمنِ ٱلنبيَّ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

بعاتبهُ في عدمِ زيارتِهِ ، وقالَ لهُ : أما علمتَ أنَّ مَنْ زارَ عبدَ اللهِ ٱلحدَّادَ قُضِيَتْ لهُ سبعونَ حاجةً فكيفَ مَنْ زارَنا .
وكانَتْ تراجمُ هٰذا ٱلحبيبِ طافحةً بها كتبُ ٱلتاريخِ والتَّراجمِ . وأفردَهُ بالتَّرجمةِ تلميذُهُ ٱلسيِّدُ الإمامُ محمَّدُ بنُ زينِ بنِ سميطٍ بكتابٍ حافلٍ سمَّاهُ ـ « غايةُ ٱلقصدِ والمرادِ » ـ ثمَّ ٱختصرهُ في نصفِ حجمِهِ وسمَّاهُ ـ « بهجةَ ٱلفؤادِ » ـ كما ترجمَ لهُ أيضاً في حياتِهِ صاحبُ « المَشرَعِ » وصاحبُ « فيضِ ٱلأسرار » الإمامُ ٱلشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ باسودان .

وغيرُ هٰؤلاءِ ٱلمترجِمينَ لهُ كثيرٌ ، وأُمُّهُ وأُمُّ إخوانِهِ إلاَّ أحمدَ ٱلشَّريفةُ سلمىٰ بنتُ عيدروسَ بنِ أحمدَ ٱلحبشيِّ صاحبِ ٱلشِّعبِ!

ولهُ مِنَ ٱلبنينِ ستَّةٌ :

أَحدُهُمْ : علويٌّ ٱلمولودُ بـ (تريمِ) والمُتوفَّىٰ بـ(مكَّةَ) ٱلمشرَّفةِ في شهرِ صفرٍ سنةَ (١١٥٣هـ) ودُفِنَ بٱلمعلاةِ ، ومِنْ ذرِّيَّتِهِ ٱلإمامُ محمَّدُ بنُ طاهرِ بنِ عمرَ بنِ أبي بكرِ بنِ عليِّ بنِ علويِّ بنِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ ، وأخويهِ

عمرَ وأَحمدَ ٱبنَيْ طاهرٍ ومحمَّدٌ هـٰذا يقالُ لـهُ غلامُ ٱلسَّاعتينِ ، ولهُ مناقبُ كبيرةٌ وكثيرةٌ في ٱلعلمِ وٱلعملِ وٱلكرمِ ، تُوفِّيَ بـ(جاوة) في (١٣) شعبان سنةَ (١٣٣١هـ) .

وٱلثَّاني : مِنْ أَبناءِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ ٱلحدَّادِ هوَ الإمامُ الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ ، كانَ هـٰذا السَّيِّدُ أَحدَ ٱلعلماءِ ٱلعاملينَ وٱلأَئِمَّةِ ٱلمهتدينَ وٱلأَولياءِ ٱلصَّالحينَ وٱلزُّهادِ ٱلعابدينَ وٱلصُّدورِ ٱلمجتهدينَ ، مناقبُهُ شهيرةٌ وكانَ زاهداً في ٱلدُّنيا بٱلكليَّةِ مُتقشِّفاً يلبسُ قميصاً وخوذَةً دائِمَ ٱلوقتِ لا يعبأُ بأَحدٍ ، حافظاً وقتَهُ عَنِ ٱلضَّياعِ ، صارفاً زمانَهُ للنَّفعِ وٱلانتفاعِ يحبُّ ٱلعلمَ ومُذاكَرَتَهُ ومطالعَتَهُ ، قرأَ الإحياءَ نحواً مِنْ سبعينَ مرَّةً ، كرمُهُ عميمٌ ، وكَشْفُهُ عظيمٌ ، وُلِدَ بـ(تريمِ) سنة (١٠٩٩هـ) وتوفِّي بها في (٢٧) رمضانَ سنةَ (١١٨٨هـ) وأَفردَهُ بـٱلترجمةِ حفيدُهُ علويُّ بنُ أَحمدَ بنِ حسنٍ بكتابٍ سمَّاهُ ـ « ٱلمواهبُ وٱلمننُ في مناقبِ جدِّي ٱلحسنِ » ـ وممَّنْ ينتسبُ إِلىٰ الإمامِ ٱلحسنِ هـٰذا ٱلموجودون ٱلآنَ منَ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلحدَّادِ في (حاوي تريمِ) غيرَ ٱلسيِّدِ علويِّ بنِ عبيدِ بنِ محمَّدِ بنِ علويٍّ

ٱلحدَّادِ ، فإِنَّهُ إِنَّما ينتسبُ إِلىٰ ٱلحبيبِ علويِّ بنِ عبدِ اللهِ ٱلآنفِ ٱلذِّكرِ .

ومثلَه ٱلسيِّدُ ٱلأَديبُ ٱلمنيبُ علويُّ بنُ عمرَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ حسينِ بنِ محمَّدِ بنِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ ٱلحدَّادِ ، فإِنَّهُ ينتسبُ إِلىٰ ٱلحبيبِ محمَّدِ بنِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ ٱلحدَّادِ ، وٱلحبيبُ محمَّدٌ هٰذا توفِّيَ بـ(ذمار) وكانَ أَبوهُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱللهِ يقولُ إِنَّ ٱبني محمَّداً علىٰ ٱلفطرةِ ٱلكاملةِ .

وأَمَّا ٱلحبيبُ ٱلحسينُ بنُ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ كانَ شريفاً فاضِلاً وليَّاً ناسكاً ، توفِّيَ بـ(تريمِ) سنةَ (١١٣٩هـ) .

وأَمَّا ٱلحبيبُ زينُ ٱلعابدِ بنُ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ ، فكانَ سيِّداً أَديباً لهُ شعرٌ حسنٌ ، كثيرُ ٱلتَّغزُّلِ ، توفِّيَ منقرضاً بعمانَ ببَلدةٍ يقالُ لَها (صير) سنةَ (١١٥٧هـ) وبُنيتْ لهُ قُبَّةٌ ، ولأَهلِ عمانَ فيهِ ٱعتقادٌ تامٌّ .

وأَخوهُ ٱلسادسُ سالمُ بنُ عبدِ ٱللهِ أُمُّهُ أُمُّ وَلدٍ ، وكانَ شَريفاً فاضِلاً عَابِداً زاهداً في ٱلدُّنيا جاهاً ومالاً ، توفِّيَ بـ(تريمِ) سنةَ(١١٦٥هـ) .

وكانَ في آلِ حدَّادٍ مَنْ لا يَنتسبُ إِلىٰ الإمامِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ ٱلحدَّادِ بلْ إِلىٰ أَحدِ أَخويهِ حامدٍ وعمرَ ٱبنَيْ علويِّ بنِ محمَّدٍ ٱلحدَّادِ ، كٱلإمامِ ٱلعلاَّمةِ ٱلمؤرِّخِ علويِّ بنِ طاهرٍ ٱلحدَّادِ ، ، وأَخيهِ عبدِ اللهِ ، فإِنَّما ينتسبانِ إِلىٰ عمرَ بنِ علويِّ ، وكذا ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ حسنِ بنِ أَحمدَ ٱلحدَّادِ ، ٱلمتوفَّىٰ بٱلغرفةِ قريباً .

ولِهٰؤلاءِ آلِ ٱلحدَّادِ ٱلشُّهرةُ في ٱلمجتمعِ وفيهمُ ٱلعلماءُ وٱلأَولياءُ وٱلكرماءُ ، وشهرتُهُمْ أَشهرُ مما يشهرُ عنهمْ بٱلكتابةِ وٱلتَّقييدِ ولِهٰذا نحنُ ٱلآنَ نكتفي بما ذكرناهُ ، ومَنْ أَرادَ ٱلمنهلَ ٱلرَّويَّ عنهُمْ فليُطالعِ ٱلكتبَ ٱلتي أُلِّفَتْ في مناقبِهِمْ ، كـ« ٱلمننِ » و « غايةِ ٱلقصدِ وٱلمرادِ » و« بهجةِ ٱلفؤادِ » وغيرِ ذلكَ فإِنَّها ملأَىٰ بما يشرحُ ٱلصُّدورَ عن أَخلاقِهِمْ ومَالِهِمْ :

وإِذا ٱستطالَ ٱلشيءُ قامَ بنفسِهِ
وصفاتُ ضوءِ ٱلشمسِ تذهَبُ باطلاً

ثمَّ نرجعُ إِلىٰ ذكرِ ٱلتَّدريسِ بذلكَ ٱلمسجدِ فإِنَّني لم أُوفَّقْ علىٰ الإِطِّلاعِ علىٰ مَنْ كانَ قد درَّسَ بهِ مِنْ غيرِ آلِ

ٱلحدَّادِ إِلاَّ ٱلشَّيخ ٱلفقيهِ ٱلمتفَنِّنِ في أَنواعِ ٱلعلومِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ سالمٍ ٱلخطيبِ علىٰ أَنِّي لمْ أَعرفْ هيئةَ تدريسِهِ بهِ وقتاً وقتاً ، ولا علىٰ مَنْ يحضرُ درسَهُ فيهِ ، وٱلتَّحقيقُ أَنَّهُ واقعٌ علىٰ كُلِّ حالٍ كما رواهُ ٱلثِّقاتُ ، أَمَّا مَنْ درَّسَ بِهِ مِنْ آلِ ٱلحدَّادِ فنذكرُ مَنْ عرفناهُ منهمْ فيما يأْتي إِنْ شاءَ اللهُ .

وأَمَّا ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ ٱلخطيبُ ٱلآنفُ ٱلذِّكرِ فإِنِّي أَعرفُهُ أَخلاقاً وجِسماً وعِلماً ، ومَنْ يدرسُ عندهُ في غيرِ هٰذا ٱلمسجدِ مِنْ مدارسِهِ الأُخرىٰ وخُطبِهِ ٱلجُمَعيَّةِ وغيرِ ذلكَ ممَّا صارَ إِليهِ حتَّىٰ توفِّيَ رحمهُ اللهُ ، وأَنا أَذكرُ لكمْ شيئاً ممَّا عرفتهُ عنهُ ، فأَقولُ : كانَ هٰذا ٱلشَّيخُ مِنْ مواليدِ بلدةِ (تريمٍ) سنةَ (١٢٨٤هـ) وبها كانتْ نشأَتُهُ وبِها تتلمذَ على الكثيرِ مِنْ علماءِ هٰذهِ ٱلبلدةِ وغيرِها حتَّىٰ كانَ علاَّمةً نحريراً وفقيهاً مدرِّساً ومفتياً حاذقاً وهوَ ممَّنْ أَخذَ عنِ ٱلسيِّدِ ٱلعلاَّمةِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ محمَّدٍ ٱلمشهورِ ، عالمِ (تريمٍ) ومفتيها ، وعنِ ٱلسيِّدِ ٱلعلاَّمةِ ٱلآخرِ مِنْ آلِ ٱلمشهورِ وهوَ ٱلإمامُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلمشهورِ وعنْ مشايخَ آخرينَ كثيرينَ مِنْ خارجِ (تريمٍ) كالحبيبِ ٱلإمامِ عيدروسَ بنِ عمرَ ٱلحبشيِّ ، وٱلحبيبِ

ٱلقدوةِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ حسينٍ ٱلحبشيِّ ، وٱلحبيبِ ٱلعلاَّمةِ ٱلبصيرِ أحمدَ بنِ حسنِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلعطَّاسِ وغيرِهِمْ ، وقد تلقَّىٰ ٱلفقهَ عنهُ كثيرونَ خلالَ تدريسِهِ في زاويةِ مسجدِ ٱلأَوَّابينَ ثمَّ في رباطِ (تريمِ) ، ثمَّ في زاويةِ مسجدِ سِزجِيس بالسَّحيلِ ، ثمَّ في زاويةِ مسجدِ بروم ، كما ستتكلَّمُ ونشرحُ مَنْ كانَ يدرسُ عليهِ في هٰذا ٱلمدرسِ ٱلأَخير ـ أَيْ في زاويةِ مسجدِ برومٍ ـ وهيئَةَ تدريسِهِ به ، وكانَ يحضرُ درسَهُ كثيرٌ مِنْ أعيانِ ٱلطَّلبةِ مِنْ أَهالي (تريمِ) وغيرِهِمْ ، وممَّنْ لازمَ درسَهُ ٱلإِمامُ ٱلعظيمُ وٱلسيِّدُ ٱلجليلُ علويُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عيدروسَ بنِ شيخِ شهابِ ٱلدِّينِ ، وكذلكَ ٱلفقيهُ ٱلعلاَّمةُ عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ ٱلسَّقَّافُ ، وٱلسيِّدُ ٱلعابدُ ٱلصَّالحُ أَبو بكرِ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ بلفقيه ، وٱلسيِّدُ ٱلأديبُ ٱلعلاَّمةُ ٱلحسنُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلكافُ ، وٱلسيِّدُ ٱلعلاَّمةُ أَبو بكرِ بنُ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلسَّريِّ ، وٱلسيِّدُ ٱلعلاَّمةُ عليُّ بنُ زينِ بنِ محسنٍ ٱلهادي ، وٱلسيِّدُ ٱلفقيهُ ٱلعلاَّمةُ سالمُ بنُ علويٍّ ٱلسَّري ، وٱلسيِّدُ ٱلأَديبُ ٱللَّطيفُ محمَّدُ بنُ هاشمِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ طاهرٍ ، وٱلسيِّدُ ٱلأَديبُ ٱلفقيهُ محمَّدُ بنُ ٱلحسنِ بنِ

شهابٍ ، والشَّيخُ الفقيهُ الصَّالحُ عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سالمٍ الخطيبُ ، والشَّيخُ الفاضلُ العلاَّمةُ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ فضلٍ بَافَضْلَ وغيرُهُم ، وممَّنْ يحضرُ دروسَهُ السيِّدُ محسنُ بنُ سالمٍ السَّريُّ . والحبيبُ حسينُ بنُ زينِ بنِ أَحمدَ العيدروسِ ، والحبيبُ عبدُ القادرِ بنُ محيي الدِّينِ بنِ الإمامِ عبدِ اللهِ بنِ حسينٍ بلفقيه ، وكانَ مِنْ مُجالِسيهِ السيِّدُ الفاضلُ ذو السيرةِ الحسنةِ الحسينُ بنُ شيخٍ الكافُ ، وقدْ تولَّىٰ الخطابةَ يومَ الجمعةِ بجامعِ (تريم) مدَّةً طويلةً وكانَ يخشعُ ويبكي أَثناءَ الخطابةِ حتَّىٰ لا يكادُ يتبيَّنُ كلامُهُ ، لاسيَّما عندَ المواعِظِ وتلاوةِ الآياتِ القَوارِعِ والزَّواجرِ .

وذهبَ في آخرِ حياتِهِ لزيارةِ نبيِّ اللهِ هودٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فسقطَ مِنْ فوقِ البعيرِ ، فمالتْ رجلُهُ مِنْ مَفْصِلِ الوركِ فكانَ ذلكَ سببَ تركِهِ للخُطبةِ ، وأَصابَهُ بعدَ ذلكَ خَرَفٌ قليلٌ ، فمكثَ في بيتِهِ لا يخرجُ حتَّىٰ ماتَ رحمهُ اللهُ بـ(تريم) عامَ(١٣٥٠هـ) وقبرُهُ معروفٌ بمقبرةِ الفريطِ بجوارِ قبورِ آبائِهِ آلِ الخطيبِ .

وكانَ الشَّيخُ المذكورُ يتولَّىٰ التَّدريسَ في ذلكَ المسجدِ

ويحضرُ درسَهُ ٱلجمُّ ٱلغفيرُ مِنْ آلِ ٱلحدَّادِ وغيرِهِم مِنْ طلبةِ ٱلعلمِ بـ(تريم) .

وإنَّنا لا نَنسىٰ أَنَّهُ كانَ يُعقدُ فيهِ مَدْرَسٌ أيضاً يومَ ٱلثُّلاثاءِ بعدَ ٱلظُّهرِ مِنْ آخرِ كُلِّ شهرٍ ، يتصدَّرُهُ منصبُ ٱلحدَّادِ ويحضرُهُ غيرُهُ مِنْ آلِ ٱلحدَّادِ وغيرِهِمْ يأتونَ إليهِ مِنْ أَقصىٰ ٱلبلادِ وأَدناهَا ، وكانَ ممَّنْ يحضرُهُ مِنَ ٱلعلماءِ وٱلأَولياءِ ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ ٱلشَّاطريُّ ، وكذا ٱلحبيبُ علويُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ شهابٍ بلْ وغيرُ هٰذينِ ممَّنْ لمْ تحضُرْني أَسماؤُهم ، بلْ ومَنْ كانَ مِنَ ٱلطَّلبةِ في ٱلرِّباطِ وهُناكَ يُفتتحُ ٱلمجلسُ بٱلقراءَةِ في شيءٍ مِنْ كُتبِ الإمامِ ٱلقطبِ ٱلإمامِ عبدِ اللهِ بنِ علويٍّ ٱلحدَّادِ كـ « ٱلنصائِحِ ٱلدِّينيَّةِ » ، و« ٱلدَّعوةِ ٱلتَّامةِ » و« رسالةِ ٱلمعاونةِ » و« ٱلفصولُ ٱلعلميَّةِ » ، ونحوِ ذلكَ حتَّىٰ إِذا ما دخلَ وقتُ ٱلعصرِ . . أُذِّنَ لها ، وأُقيمتِ ٱلصلاةُ يؤمُّهمُ ٱلمنصِبُ .

ثمَّ بعدَ ٱلصلاةِ يقرأُ ٱلجمعُ سورةَ (يسٓ) وبعدَ ٱلمصافحةِ يُقرأُ في ٱلكتبِ ٱلتي أُلِّفتْ في مَناقبِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ ككتابِ « غايةُ ٱلقصدِ وٱلمرادِ » ، ومختصرِهِ « بهجةُ ٱلفؤادِ » كِلاهُما للحبيبِ محمَّدِ بنِ زينِ بنِ سُميطٍ .

وذلكَ بعدَ أَنْ يقرأَ أَوَّلاً حصَّةً وافرةً مِنْ كتابِ « تثبيتُ ٱلفؤادِ » مِنْ كلامِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ ٱلحدَّادِ ٱلمنثورِ ، ٱلذي ٱختصرَهُ الإمامُ أَحمدُ بنُ حسنِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلحدَّادُ . ممَّا جمعَهُ مِنْ كلامِهِ ٱلشَّيخُ أَحمدُ ٱلشَّجارُ وهـٰذا ٱلمختصَرُ هوَ ٱلموجودُ بينَ ٱلنَّاسِ مِنْ كلامِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ ، أَمَّا ٱلأَصلُ فقدْ قيلَ كانَ موجوداً بمكتبةِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ حسينِ ٱلعطَّاسِ[1] .

وقدْ نقلَ لَنا منهُ ٱلعلاَّمةُ علويُّ بنُ طاهرٍ ٱلحدادُ في كتابِهِ « عُقودُ ٱلماسِ » ، قضيةً منهُ حكَاها لهُ ٱلسيِّدُ ٱلعلاَّمةُ ٱلمؤرِّخُ صالحُ بنُ عليِّ بنِ صالحِ بنِ ٱلحامدِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ . وقالَ إِنَّهُ ٱطَّلعَ عليها مِنْ ذلكَ ٱلأَصلِ ، وهيَ علىٰ خلافِ ماهوَ ٱلمتعارفُ بينَ ٱلمؤرِّخينَ ، مِنْ أَنَّ ٱلذي سافرَ مِنْ « حَضرموتَ » إِلىٰ « ٱلعراقِ » ثمَّ إِلىٰ « ٱلحجاز » لإِثباتِ نسبِ بني ٱلمهاجرِ أَحمدَ بنِ عيسىٰ هوَ ٱلإمامُ ٱلعالمُ ٱلعلاَّمةُ ٱلمحدِّثُ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ جديدٍ ٱلمولودُ بـ(تريمٍ) وٱلمتوفَّىٰ بـ(مكةَ ٱلمكرَّمةِ) عامَ (٦٢٠هـ) .

---

(١) بحريضة .

والحكايةُ ٱلتي نقلها ٱلسيِّدُ صالحُ بنُ عليٍّ مِنْ كَلامِ ٱلإمامِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ ٱلأصلِ يقولُ فيها : إنَّ ٱلَّذي ذهبَ لذلكَ هوَ ٱلإمامُ عبيدُ اللهِ بنُ ٱلمهاجرِ حينَ نزلَ ٱلمهاجرُ بـ (حضرموتَ) ، قالَ ٱلحبيبُ علويُّ بنُ طاهرٍ بعدَ أَنْ روىٰ هـٰذهِ ٱلحكايةَ ـ فلعلَّ ذلكَ تكرَّرَ مرَّتينِ ـ .

وَلْنرجعْ إلىٰ بقيَّةِ ٱلكلامِ علىٰ هيئةِ ٱلتَّدريسِ بمسجدِ ٱلأَوَّابينَ بـ(تريمٍ) ، فنقولُ إنَّهُ بعدَ ٱلفراغِ منَ ٱلقراءَةِ في « تثبيتِ ٱلفؤادِ » يُقرأُ في كتابِ « ٱلمواهبِ والمننِ في مَناقبِ ٱلحسنِ » ، يعني الإمامَ ٱلحسنَ بنَ عبدِ اللهِ ٱلحدَّادَ ثمَّ في « الفوائدِ ٱلسَّنيَّةِ » ثمَّ يُنشدُ ٱلحادي مِنْ آلِ بَاحَرْمي في حضراتِ ومجالسِ آلِ ٱلحدَّادِ بقصيدةٍ للحبيبِ عبدِ اللهِ نفسِهِ ، وبعدَ أَن يوزَّعَ ٱلماءُ والقهوةُ علىٰ ٱلحاضرينَ يرتِّبُ ٱلمنصبُ قراءَةَ الفاتحةِ ٱلتي يكونُ بها وَبالدُّعاءِ بعدَها ختامُ ذلكَ ٱلدَّرسِ ٱلمُبَجَّلِ ، ومِنْ جرَّاءِ توزيعِ ٱلماءِ وٱلقهوةِ في ذلكَ ٱلدَّرسِ وقعَ تعطيلُ ذلكَ ٱلمدرسِ لمدَّةٍ قدْ تزيدُ علىٰ عامٍ كاملٍ ، وذلكَ أنَّهُ في سابقِ ٱلزَّمنِ كانتِ ٱلقهوةُ والماءُ يُديرُها علىٰ ٱلحاضرينَ في هـٰذا ٱلدَّرسِ شخصٌ واحدٌ مِنْ آلِ ٱلحاوي ، خدَّام آلِ ٱلحدَّادِ كما إنَّهما يُداران ليلةَ ٱلختمِ

في (٢٣) رمضان بذلكَ ٱلمسجدِ علىٰ أَيدي آلِ ٱلحاوي كَثُروا أَمْ قلُّوا .

وكانَ ذلكَ لهمْ بخُصوصِ ٱلختمِ في رمضانَ وفي أَيَّامِ ٱلسِّتِّ بعدَهُ ، أَما في بقيَّةِ مَا يُعقدُ في ذلكَ مِنَ ٱلجلساتِ ٱلأُخرىٰ فإِنَّما ينفردُ بها أَهلُ ٱلحارةِ ، فلمَّا تكاثرَ ٱلحاضرونَ في ذلكَ ٱلدَّرسِ وصارتِ ٱلحالةُ تحتاجُ إِلىٰ أَكثرَ مِنْ واحدٍ يُديرُ ٱلماءَ وٱلقهوةَ . صارَ يقومُ ٱلثَّاني وٱلثَّالثُ وٱلرَّابعُ مِنْ آلِ ٱلحاوي ، باعتقادِ أَنَّ ذلكَ جائزٌ لهمْ تَبعاً لختمِ رمضانَ وٱلسِّتِّ ، فَمَنعهُمْ أَهلُ ٱلحارةِ مِنْ ذلكَ وٱشتدَّ ٱلنِّزاعُ بينَ ٱلفريقينِ حتَّىٰ آلَ ٱلأَمرُ إِلىٰ توقيفِ ٱلدَّرسِ لنحوِ عامٍ أَوْ عامينِ تقريباً .

ثمَّ حصلَ ٱلاتِّفاقُ بينَ ٱلفَريقينِ علىٰ يَدِ بعضِ ٱلوُجَهاءِ مِنْ أَهلِ ٱلخيرِ علىٰ أَنْ يكونَ ٱلدَّيرُ في ذلكَ ٱلدَّرسِ بخصوصِهِ مناصفةً نصفاً مِنْ هـٰؤُلاءِ ونصفاً مِنَ ٱلآخرينَ .

ثمَّ بعدَ هـٰذا ٱستمرَّ ٱلدَّرسُ علىٰ ذلكَ وعادَ ٱلماءُ لمجراهُ ، وٱستمرَّ كذلكَ لمدَّةٍ طويلةٍ لا أُقدِّرُ قَدْرَها . ثمَّ ٱنقطعَ في هـٰذهِ ٱلسِّنينِ ٱلأَخيرةِ لسببٍ لا أَعلمُ كُنهَهُ ،

ونرجو مِنَ ٱلمولىٰ سبحانَهُ وتعالىٰ أَنْ يقيِّضَ مَنْ يُزيلُ ٱلعائِقَ لِهٰذا ٱلدَّرسِ ، ولسائِرِ ٱلدُّروسِ وٱلحضراتِ ٱلمنسوبةِ لمقامِ ٱلإمامِ ٱلقطبِ ٱلحدادِ ، ٱلتي ٱنقطعتْ في هٰذهِ ٱلأَوقاتِ ٱلأَخيرةِ ، فيَالها مِنْ مجامعَ ويالَها مِنْ حضراتٍ كانْ تُعقدُ منذُ عَهدِهِ رضيَ اللهُ عنهُ ، ولمْ تنقطعْ إلاَّ في هٰذهِ ٱلأَوقاتِ ، وَلكنَّنا نَقولُ : للهِ ٱلمرادُ فيمَا أَرادَ ، ونفوِّضُ ٱلأَمرَ إِلىٰ اللهِ تعالىٰ .

وٱللهُ أَعلمُ[1] .

* * *

---

(1) أمّا الآنَ فقدْ أُعِيدتْ هٰذهِ ٱلحَضراتُ وهٰذهِ ٱلمجامعُ بعدَ ٱلوحدةِ ٱليمنيّةِ ٱلمُباركةِ .

سادساً : زاوية مسجد سرجيس

ثمَّ ننتقلُ بكمْ إلىٰ ذكرِ ٱلزَّاويةِ ٱلسَّادسةِ مِنْ زَوايا ٱلتَّعليمِ بـ(تريمِ) ، في أثناءِ ٱلمئةِ ٱلثَّالثةَ عشرةَ للهجرةِ ٱلنَّبويَّةِ علىٰ صاحبِها أفضلُ ٱلصلاةِ وٱلسلامِ ، فنقولُ إنَّ تلكَ ٱلزَّاويةَ هيَ ٱلواقعةُ في مسجدِ سرجِيسَ ، ٱلواقعِ في حارةِ ٱلسَّحيلِ بـ(تريمِ) في جهتِها ٱلغربيَّةِ ٱلشَّماليةِ ، وجرجس بتقديمِ ٱلجيمِ وتكريرِها ثانياً بينَ راءٍ وسينٍ ، هٰكذا يُقالُ أَصلُ هٰذهِ ٱلكلمةِ ، ثمَّ صُحِّفَتْ بسينٍ أوَّلاً ثمَّ راءٍ ثمَّ جيمٍ ثمَّ ياءٍ مثناةٍ ثمَّ سينٍ ، يُقالُ إنَّ هٰذهِ ٱلكلمةَ علَمٌ أعجميٌّ لنبيٍّ مِنَ ٱلأنبياءِ أَو رَسولٍ مِنَ ٱلرُّسلِ كانَ قبرُهُ بجانبِ مسجدٍ يُسمَّىٰ بٱسمِ ذلكَ ٱلنبيِّ أَوِ ٱلرَّسولِ ، واقعٌ ذلكَ ٱلقبرُ وراءَ ذلكَ ٱلمسجدِ منَ ٱلجهةِ ٱلشَّماليةِ .

وكانَ بعضُ ٱلسَّلفِ يقرأُ لهُ ٱلفاتحةَ حينما يمرُّونَ بهِ ومِنْ بينهمْ ٱلإمامُ أحمدُ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ وٱلإمامُ عليُّ بنُ محمَّدٍ ٱلحبشيُّ وغيرُهُمْ مِنْ أَهلِ ٱلسِّرِّ وٱلنُّورِ ، وهٰذا ٱلخبرُ

إنَّما عرفناهُ بالتَّلقي عَنِ ٱلمشايخِ ٱلأَعلامِ ، وكانَ يُقالُ إنَّ في ٱلعهدِ ٱلقَديمِ بجانبِ ذلكَ ٱلمسجدِ سقايةً مسبَّلةً للشُربِ ، ويقَالُ أَيضاً إنَّ ٱلشَّيخَ ٱلإمامَ شيخَ بنَ ٱلشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ أَبي بكرٍ ٱلسَّكرانَ[1] ، ٱلمتوفَّىٰ بـ(تريم) سنةَ(٩٧٦هـ) ، كانَ إذا خرجَ مِنْ معبدِهِ بجبلِ خيلةَ ومرَّ بتلكَ ٱلسِّقايةِ هوَ في حَالةِ ٱلوجدِ يَشرَبُ مَا فِيها مِنَ ٱلماءِ أَوْ كُلَّهُ ، ويُقالُ إنَّ هٰذا ٱلمسجدَ مكوَّنٌ مِنْ مجموعِ عدَّةِ مساجدَ ٱشتهرَ مِنها ٱثنانِ : ٱلأَوَّلُ مسجدٌ يُنسبُ للشيخِ ٱلإمامِ حسنٍ ٱلملقَّبِ بٱلوَرِعِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدٍ مولىٰ (ٱلدَّويلةِ) ، وفي « ٱلشَّجرةِ ٱلعلويَّةِ » إنَّهُ هوَ ٱلذي عمرَ مسجدَ سِرجيسَ ٱلآنفَ ٱلذِّكرِ .

وكانَ مِنْ كِبارِ ٱلأَولياءِ وٱلمشايخِ ٱلعارفينَ وٱلأَئمَّةِ ٱلمحقِّقينَ وٱلصُّوفيَّةِ ٱلمدقِّقينَ وٱلورعينَ ، شَديدَ ٱلاحترازِ وٱلحزمِ ، قويَّ ٱلنَّفسِ صارمَ ٱلعزمِ ، كثيرَ ٱلمجاهداتِ غزيرَ ٱلمكاشفاتِ ، عَزَّ أَنْ يُوجدَ مثلُهُ أَو يُرىٰ شكلُهُ في زهدِهِ ووَرَعِهِ غَزيرَ ٱلدَّمعةِ دائِمَ ٱلفكرةِ .

---

(١) لعلَّ ٱلاسمَ مُشَيَّخٌ ، وهوَ صاحبُ سقايةِ مشيَّخٍ في مَفرقِ طَريقِ ٱلسُّويريِّ .

كراماتُهُ خارقةٌ وأَنفاسُهُ صادقةٌ ، توفِّيَ بـ(تريم) سنةَ(٧٨٩هـ) وقُبِرَ شرقيَّ والدِهِ مُلاصقاً قبرُهُ لقبرِ عمِّهِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ غرباً .

وَأُمُّهُ زينبُ بنتُ حسنِ ٱبنِ أَبي بكرٍ ٱلورعِ بنِ أَحمدَ بن ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ، ووالدُهُ ٱلإمامُ عليُّ بنُ محمَّدٍ مولىٰ (ٱلدَّويلةِ) سيِّدٌ عالمٌ فاضلٌ عاملٌ سخيُّ ٱلنَّفسِ ، رَضيُّ ٱلأَخلاقِ كثيرُ ٱلمودَّةِ وٱلإِيثارِ صاحبُ كراماتٍ جليلةٍ وصنائِعَ جميلةٍ . وكانَ أَخوهُ ٱلإمامُ ٱلسَّقَّافُ يُثني عليهِ ويَقولُ في حقِّهِ : أَولادُ أَخي عليٍّ مَحفوظونَ .

وَلمَّا توفِّيَ عليٌّ ٱلمذكورُ حَزِنَ عليهِ ٱلسَّقَّافُ وأَرادَ إِبطالَ ٱلحضـرةِ ٱلمشهـورةِ ثـمَّ لـم يُبطلْهـا ، وقـالَ : بـانتركهـا ماترَكونا ، قالوا لنا : إِنْ لمْ تفعَلْها نَزلتِ ٱلملائكةُ مِنَ ٱلسَّماءِ وفعلوهَا ، توفِّيَ بـ(تريم) سنةَ(٧٧٥هـ) وقُبِرَ غربيَّ ٱبنِهِ حسنٍ ، وقُبِرَ في قبرِهِ ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ أَحمدَ بنِ عمرَ ٱلهندوان ، ثمَّ ٱبنُهُ أَبو بكرٍ بنُ عبدِ اللهِ .

قالَ ٱلإِمامُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدٍ ٱلمشهورِ : أَخبرَني مَنْ حفَرَ قبرَ أَبي بكرٍ هـٰذا ، قالَ : لمَّا حفرتُ ٱلقبرَ

وأتممتُ حفرَهُ ، رأيتُ لَبِنَةً مرتفعةً في قعرِهِ فرفَعْتُها فظهرَ لي رجلٌ جالسٌ مُحتَبي وعليهِ عِمامةٌ وأَثوابٌ والمصحفُ في حجرِهِ فبُهِتُّ مِنْ ذلكَ وغِبْتُ عنْ حِسِّي ومرضتُ مدَّةً .

ثمَّ قُبِرَ في قبرِ أَبي بكرٍ هذا ، الإمامُ الوليُّ علويُّ بنُ عليٍّ الهندوانُ ، المتوفَّىٰ بـ(روغةَ) والمدفونُ بـ(تريم) سنةَ(١٣٣٥هـ) كما أَنَّهُ وُلِدَ بـ(روغةَ) سنةَ(١٢٦٩هـ).

وكانَ هذا السيِّدُ مِنْ عُظماءِ الرِّجالِ شَريفاً فاضلاً ناسكاً سالكاً ، يحبُّ العلمَ وأَهلَهُ . لهُ مرائيَ حسنةٌ ، وكراماتٌ جمَّةٌ معتَقَداً عندَ الناسِ زاهداً فاضلاً قرأَ القرآنَ مِنْ غيرِ تعلُّمٍ بلْ موهبةً مِنَ اللهِ تعالىٰ ، ولهُ دربةٌ في إِصلاحِ القبائِلِ وتَسكينِ الفتنِ ، إِلىٰ غيرِ ذلكَ منَ الأَيادي الحسنةِ فَيا له مِنْ قبرٍ ضمَّ هؤلاءِ الأَربعةَ الأَمجادَ الأَبطالَ المتحلِّينَ بأَجملِ الصِّفاتِ وكُلُّ آلِ الهندوان يرجعونَ بنسبِهِمْ إِلىٰ الإمامِ حسنٍ الورعِ المذكورِ .

وللإمامِ حسنٍ الوَرِعِ هذا أَخوانٌ عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ وشيخُ بنُ عليٍّ ، جدُّ السَّادةِ آلِ باعَبُود خَربشاني ، الذين منهمُ السيِّدُ الأَديبُ العالمُ الواعظُ هاشمُ بنُ علويِّ بنِ شيخ

باعبودَ ، وأَخوهُ صالحُ وعمُّهُ زينُ بنُ شيخٍ وغيرُهُم مِنْ أُولـٰئِكَ ٱلقبيلةِ وقدْ مَرَّ ٱلتَّعريفُ بالسَّيِّدَينِ علويٍّ وزَينِ ٱبنَي شيخ باعبود .

وكانَ ممَّا مرَّ أَيضاً في غيرِ هـٰذا ٱلدَّرسِ عَنْ هـٰؤُلاءِ ٱلسَّادةِ آلِ باعبودَ ذِكرُ شخصٍ مِنْ فُضَلائِهِمْ ، يُؤخذُ مِنْ تاريخِ وفاتِهِ ، تاريخُ حادثةٍ لَها قيمتُها في ٱلتاريخِ وهوَ ٱلسيِّدُ يوسفُ بنُ إِسحاقَ بنِ عثمانَ بنِ عيدروسَ بنِ محسنٍ باعبودَ خربشاني ، فإِنَّ هـٰذا ٱلسيِّدَ كانَ ميلادُهُ بـ(شربونَ) مِنْ أَرضِ (جاوا) وخرجَ إِلىٰ (حضرموتَ) وطلبَ ٱلعلمَ بـ(تريم) ، وكانَ علىٰ سيرةٍ حسنةٍ وعبادةٍ وسمتٍ حسنٍ وقضىٰ ٱللهُ عليهِ وهوَ ساجدٌ في صلاةِ ٱلعشاءِ ٱنهدمَ عليهِ جدارٌ معَ غيرِهِ ليلةَ ٱلخميسِ في (٣) مِنْ شهرِ ذِي ٱلقعدةِ سنةَ(١٣٠٩هـ) ، ودُفنَ بمسيلةِ آلِ شيخٍ ، وهـٰذهِ ٱلحادثةُ هيَ ٱلحادثةُ ٱلتي وقعتْ للحبيب عيدروسَ بنِ عمرَ ٱلحبشيِّ صاحبِ ٱلغرفةِ[1] ، حينما نزلَ بالمسيلةِ في بيتِ أَحدِ ٱلسَّادةِ آلِ يحيىٰ ، فلمَّا كانوا في صلاةِ ٱلعشاءِ في سطحِ تلكَ

---

(١) ٱلمتوفَّىٰ بالغرفةِ سنةَ (١٣١٤هـ) .

ٱلدَّارِ ٱنخسفَ بهمُ ٱلسَّقْفُ فكانتِ ٱلسَّلامةُ للأكثرينَ منهمْ ، وكانَ ٱلحبيبُ عيدروسُ ٱلمذكورُ مِنَ ٱلسَّالمينَ ، ولمْ يُصَبْ منهمْ إلاَّ سبعةٌ سلمَ منهمْ أَربعةٌ وماتَ ثلاثةٌ منهمُ ٱلسيِّدُ يوسفُ ٱلمذكورُ .

ومنْ ترجمتِنا لهـٰذا السَّيِّدِ الشَّهيدِ يُؤخذُ تاريخُ تلكَ ٱلحادثةِ ٱلفظيعةِ لأنَّه ربَّما يكونُ تاريخُها مجهولاً عندَ بعضِ ٱلحاضرينَ كما يؤخذُ منهمْ صِحَّةُ ٱلقولِ بأنَّ ٱلسيِّدَ علويَّ بنَ شيخٍ باعبودَ قدْ عُمِّرَ عُمراً طويلاً يُناهزُ ما فوقَ ٱلتِّسعينَ وذلكَ لأنَّهُ لمْ يُعرفْ تاريخُ ميلادِهِ وإنَّما أنا كنتُ ممَّنْ يفطنُ لِهـٰذا ٱلحادثةِ[1] ، وأنَّهُ خرجَ وهوَ طفلٌ معَ مَنْ خَرجَ للإنقاذِ مِنَ ٱلغُرَفِ إلىٰ ٱلمسيلةِ ، ومِنْ هُنا يُعرَفُ أنَّهُ كانَ مِنَ ٱلمعمَّرينَ .

أمَّا ٱلسيِّدُ شيخُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ مولىٰ (ٱلدّويلةِ) ، فقدْ مرَّ أنَّهُ أخوهُ ٱلشَّيخُ ٱلسيِّدُ حسنٌ ٱلوَرِعُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ مولىٰ (ٱلدويلةِ) ، وإليه ينتهي نسبُ ٱلسَّادةِ آلِ محجوبٍ ،

---

(١) ويقال إن ممن حضر هـٰذه ٱلحادثة ٱلأُستاذُ محمدُ بنُ هاشمِ بنِ طاهرٍ .

وكانَ منْ سِماتِهِ أنَّهُ كانَ رحمهُ اللهُ إماماً فاضلاً وعالماً عاملاً مجذوباً ومُجاهداً عابداً ، يمكثُ سنينَ عديدةً ومدَّةً مديدةً في ٱلفلواتِ وٱلخلواتِ يأتي عليهِ ٱلحرُّ وٱلبردُ وهوَ في ٱلصَّحراءِ لا يُبالي بذلكَ ولا يُحِسُّ بهِ ، زاهداً لا يأخذُ مِنْ أحدٍ شيئاً قانعاً بما يتيسَّرُ وغالبُ قوتِهِ ٱلتَّمرُ فقط ، إلىٰ آخرِ ما قيلَ في ترجمتِهِ ، توفِّيَ بـ(تريمِ) سنةَ(٨١٣هـ)

وٱلثالثُ مِنَ ٱلمساجدِ ٱلمتداخلةِ بمسجدِ سَرجيسَ ، خلوةُ ٱلشَّيخِ سعدِ بنِ عليٍّ مدحج وٱلمَشاهدُ مِنْ هـٰذهِ ٱلخلوةِ كانتْ تتَّسعُ لكلِّ مَنْ يدخُلُها قلُّوا أوْ كثُروا ، ولعلَّ ٱلشَّيخَ سعداً وقَفَها مَسجداً لـٰكنْ ليسَ ذلكَ بمحقَّقٍ عندي .

ثمَّ إنَّ ممَّنْ درَّسَ بزاويةِ هـٰذا ٱلمسجدِ يطلقُ عليهِ ٱسمُ سَرجيسَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ سالمٍ ٱلخطيبِ ، وقدْ سبقتْ ترجمتُهُ عندَ ذكرِ تدريسِهِ بزاويةِ مسجدِ ٱلأوَّابين بـ(نويدرةِ تريمِ) .

أمَّا تدريسُهُ بزاويةِ سَرجيس فإنَّهُ بعدَ ذلكَ ، وكانَ قدْ طلبَ منهُ ٱلسيِّدُ ٱلمسنُّ ٱلكبيرُ وٱلجوادُ ٱلكريمُ شيخُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أحمدَ ٱلكافُ وٱبنُهُ ٱلسيِّدُ ٱلحسينُ بنُ شيخِ

ٱلمذكورِ أَنْ يعقدَ دَرساً لأَولادهِ وأَولادِ أَخيهِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلكافُ وأَحفادِهما وغيرِهِمْ ممَّنْ يُريدُ ٱلحضورَ مِنْ غيرِهمْ ، فأَجابهما إِلىٰ ذلكَ وصارَ يعلِّمُهم كلَّ يومٍ في ٱلفقهِ ، يتدَّرجُ بهمْ في كتبِ ٱلفقهِ وٱلأَخلاقِ علىٰ حسبِ ما عندَهم مِنَ ٱلمعرفةِ وٱلذَّكاءِ حتَّىٰ تخرَّجَ منهمُ ٱلحسنُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلكافُ وأَخوهُ علويٌّ وٱلسيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ شيخٍ ، كما شاركَ أَيضاً في ٱلدَّرسِ عليهِ إِخوانُهُ أَبو بكرٍ وحسنٌ وعبدُ ٱلقادرِ ، وٱلسيِّدُ أَبو بكرِ بنُ حسينِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلكافُ وأَخوهُ عبدُ ٱللهِ وعبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ، وغيرُ هـٰؤُلاءِ ممَّنْ لمْ تَحضُرْني أَسماؤُهمْ .

وكانَ ٱلسيِّدُ ٱلحسينُ بنُ شيخٍ هوَ ٱلمشرفَ علىٰ تعليمهمْ وتهذيبِهمْ ، وكانتْ لهُ ٱلهيبةُ عليهِمْ ، ويخافونَهُ وكانَ هـٰذا ٱلسيِّدُ أَخلاقُهُ فاضلةٌ ولا يجالسُ إِلاَّ ٱلعلماءَ وٱلفضلاءَ ، وليسَ لهُ ٱختلاطٌ بٱلسُّفَهاءِ وٱلحمقىٰ . بلْ كانَ في صباحِ ٱليومِ ٱلذي توفِّيَ فيهِ غداؤُهُ عندَ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلخطيبِ ٱلمذكورِ .

وفي ذلكَ ٱلمسجدِ غرفةٌ بجانبِهِ ٱلشَّرقيِّ تُنسبُ إِلىٰ ٱلشَّيخِ سعدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ ٱلحضرميِّ ٱلتريميِّ ، كانَ

يختلي فيها بعبادتِهِ ، يُطلَقُ عليها خلوةَ ٱلشَّيخ سعدٍ ٱلمعروفِ بٱلسُّوينيِّ ، وهٰذا الإمامُ أَوْحَدُ أَهلِ زمانِهِ علماً وحالاً ومعرفةً ومقاماً وورعاً وزُهداً وٱجتهاداً وعِبادةً ، وهوَ أَحدُ ٱلمشايخِ ٱلكبارِ وٱلأَولياءِ ٱلأَخيارِ .

قالَ ٱلعلاَّمةُ محمَّدُ بنُ عمرَ بحرقُ ٱلحضرميُّ : ويدلُّ علىٰ عظيمِ ٱعتناءِ ٱلشَّيخ ٱلعَيدروسِ ٱلأكبرِ عبدِ اللهِ بنِ أَبي بكرٍ بٱلتَّصنيفِ ، فيما لهُ مِنَ ٱلمقاماتِ وجلائِلِ ٱلأَحوالِ ، فإِنَّ ٱلعظيمَ لا يعظُمُ في عينِهِ إِلاَّ ٱلعظيمُ ، ولا يَعرفُ ٱلفضلَ لأَهلِ ٱلفَضلِ إِلاَّ أَهلُ ٱلفَضلِ ، وإِذا وصفَ ٱلعيدروسُ مناقِبَهُ ٱلجليلةَ ، ٱعتناءً بأَحوالهِ ٱلجميلةِ ، فقدْ أَغنىٰ ثناؤُهُ عَنْ كُلِّ وصفٍ وٱلشَّهادةُ منهُ خيرٌ مِنْ شهادةِ أَلفِ أَلفٍ ، وخُذْ مِنْ مناقبِهِ شيئاً يسيراً ممَّا ذكرَهُ ٱلعَيدروسُ ، فإِنَّهُ قالَ فيهِ : كانَ عالماً بٱللهِ وبأَمرِ اللهِ علىٰ ٱلشَّريعةِ وٱلحقيقةِ وٱلطَّريقةِ . أَدرَكناهُ وصَحبناهُ وحَفظْنَا منهُ كراماتٍ كثيرةً ووقائِعَ عظيمةً لا يُمكنُ شرحُها ، وقدْ أَظهَرْنا بعضَها قالَ : وتعلَّمَ ٱلقرآنَ وحَفِظَهُ وقرأَ في ٱلفقهِ « ٱلتَّنبيهَ » و« ٱلمنهاجَ » وفي ٱلتفسيرِ تفسيرَ ٱلواحدِيِّ وٱلبغويِّ و« تأويلَ ٱلقرآنِ » للسُّلميِّ ، وفي ٱلطَّريقةِ « بدايةَ ٱلهدايةِ » و« منهاجَ

ٱلعابدينَ » و« ٱلأربعينَ ٱلأَصلَ » ، و « إِحياءَ علومِ ٱلدِّينِ » للغزاليِّ ، وأَخذَ خِرقةَ ٱلصُّوفيَّةِ مِنَ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ . وأَكثرُ مقروءَاتِهِ علىٰ ولدِهِ ٱلعارفِ باللهِ شيخِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ، وكانَ شيخُهُ يحبُّهُ حُبّاً شديداً ، ويُثني عليهِ ثناءً جميلاً ، ويُشهِرُ أَحوالَهُ إِلىٰ ٱلغايةِ ، وكانَ يأمرُهُ أَنْ يَرْفُقَ بنفسِهِ في ٱلمُجاهدةِ فيعتذرُ إِليهِ بأَنَّهُ لا يجدُ لها كلفةً ولا مشقَّةً بإِعانةِ اللهِ لهُ ، وأَوَّلُ شيْءٍ بدأَ به أَنَّهُ كانَ نائِماً بمسجدِ سرجيسَ أَي بسينٍ مكرَّرةٍ مُهملةٍ بينَهُما راءٌ ساكنةٌ ثمَّ جيم مكسورةٍ ثمَّ ياءٍ تحتيَّةٍ ، فدخلَ عليهِ رجلٌ مِنْ رجالِ ٱلغيبِ فأَقامَهُ مِنْ نومِهِ وقالَ لهُ : مَا لِهـٰذا خُلقتَ . فَشمَّرَ بعونِ اللهِ مِنْ وقتِهِ في ٱلمجاهداتِ وٱلمكَابداتِ وٱلخَلواتِ، فكانَ يصومُ ٱلدَّهرَ وَيقومُ اللَّيلَ كُلَّهُ ، مِنْ حينَ بلغَ ٱلحُلُمَ وكانَ مُلازماً لِتلاوةِ ٱلقرآنِ وربَما قرأَهُ باللَّيلِ في صلاةٍ وختَمَهُ بالنَّهارِ بالتَّرتيلِ .

وكانَ متورِّعاً إِلىٰ ٱلغايةِ مُلتزماً أَنْ لا يأْكُلَ إِلاَّ ٱلحلالَ ٱلمحضَ ولا يأْكُلُ إِلاَّ ٱلبسرَ ، وغالبُ قوتِهِ مِنَ ٱلمطعوماتِ ٱلمباحةِ في ٱلأَشجارِ كالبربرِ وهوَ ثمرُ ٱلأَراكِ وٱلعشرقِ ، وهوَ ثمرُ ٱلسَّناءِ وٱلنَّبقِ وهوَ ثمرُ ٱلسِّدرِ وٱلبُسرِ ٱلفاسي ٱلمتساقطِ مِنَ ٱلنَّخيلِ .

وإذا سافرَ إلىٰ ٱلشَّحرِ ٱقتصرَ علىٰ ٱلسَّمكِ ٱلصِّرفِ .
هٰذا كُلُّهُ في بدايتِهِ ثمَّ كانَ في آخرِ عُمرِهِ يَطوي ٱلأَربعينَ فأكثرَ علىٰ ٱلماءِ وحدَهُ ، ومكثَ مدَّةً مِنَ ٱلسِّنينَ لا يَنامُ ليلاً ولا نهاراً ، وكانَ يُؤْثِرُ ٱلخلوةَ كثيراً في (تريمِ) وٱلمجاورةَ عندَ قبرِ نبيِّ اللهِ هُودٍ عليهِ ٱلصَّلاةُ وٱلسَّلامُ ، وكانَ يظهرُ لهُ في خَلواتِهِ ومجاوراتِهِ أُمورٌ عظيمةٌ لا نُطيلُ بذكرِها ، ونُحيلُ ٱلقارىءَ بمعرفَتِها علىٰ كتابِ « ٱلنُّورِ ٱلسَّافرِ » ، فإنَّ مؤَلِّفَهُ ذكرَ شيئاً كثيراً عظيماً منها نقلاً ممَّا ذكرَهُ ٱلإِمامُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَبي بكرٍ ٱلعَيدروسُ ، بخطِّهِ في كتابِهِ ٱلمخصوصِ بترجمةِ ٱلشَّيخِ سعدٍ هٰذا .

وكانَ آخرَ ما قالهُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ ٱلعيدروسُ في كتابهِ عنهُ ، أَنَّهُ كانَ لهُ معرفةٌ بأَحوالِ ٱلقومِ وشرحِ مقاماتِهِمْ ودقائِقِ مُعاملاتِهِمْ يشرَحُها شرحاً حسناً شافياً معَ كَشْفٍ وذَوْقٍ ومُشاهدةٍ ووصولٍ وتخلُّقٍ وتحقُّقٍ معَ دوامِ ٱلصَّفاءِ بدوامِ ٱلجوعِ وٱلسَّهرِ وٱلذِّكرِ وشدَّةِ ٱلافتقارِ وٱلذُّلِ وٱلانكسارِ وٱلتَّواضعِ وٱلخمولِ وقطعِ ٱلعلائِقِ بٱلكليَّةِ .

فلمْ تكنْ لهُ صَبوةٌ في صِغرِهِ ولا تزوَّجَ في كِبَرِهِ رضيَ ٱللهُ

عنهُ ، حَتَّىٰ توفَّاهُ ٱللهُ تاسعَ رجبَ ٱلفردَ سنةَ(٨٥٧هـ) .

قالَ : ومِنْ غريبِ ٱلاتِّفاقِ أَنَّ تاريخَ وفاتِهِ جاءَ : منوَّر للجنَّةِ ، اهـ .

وقدْ أَطالَ ٱللهُ عمرَ هٰذا ٱلشَّيخِ ٱلعظيمِ ٱلحالِ فهوَ مِنَ ٱلمعمَّرينَ ويُقالُ إِنَّهُ أَدركَ شيئاً مِنْ حياةِ ٱلشَّيخِ محمَّدٍ مَولىٰ (ٱلدَّويلةَ) .

وعلىٰ هٰذا يكونُ قدْ أَدركَ خمسَ طبقاتٍ مِنْ طبقاتِ ٱلسَّادةِ آلِ أَبي علويٍّ فيكونُ قدْ أَدركَ ٱلشَّيخَ محمَّداً مولىٰ (ٱلدَّويلةِ) ومَنْ في طبقتِهِ ، ثمَّ الإِمامَ ٱلسَّقَّافَ ومَنْ في طبقتِهِ ، ثمَّ أَولادَ ٱلإِمامِ ٱلسَّقَّافِ ومَنْ في طبقتِهِمْ ، ثمَّ ٱلشَّيخَ عبدَ اللهِ ٱلعَيدروسَ وأَخاهُ ٱلشَّيخَ علياً ومَنْ في طبقتِهِما ، ثمَّ ٱلإِمامَ أَبا بكرٍ العدنيَّ وٱلشَّيخَ عبدَ ٱلرَّحمٰنِ بنَ عليٍّ ومَنْ في طبقتِهِما . وهٰذهِ هيَ ٱلطَّبقةُ ٱلخامسةُ ، وماتَ في حياةِ ٱلإمامِ أَبي بكرٍ ٱلعدنيِّ ٱبنِ ٱلشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلعَيدروسَ ، وكانتْ وفاتُهُ قبلَ وفاةِ ٱلعدنيِّ سنةَ(٨٥٧هـ) .

وممَّنْ درَّسَ بذلكَ ٱلمسجدِ أَعني مسجدَ سرجيسَ

-الإمامُ ٱلعلاَّمةُ ٱلحبيبُ أَبو بكرِ بنُ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ علويٍّ بنِ أَحمدَ ٱلسَّريِّ وكانَ هـٰذا ٱلسيِّدُ جهبذاً مِنْ جهابذةِ ٱلعلمِ وٱلمعرفةِ بوادي حضرموتَ ٱلمباركِ ، وإماماً مِنْ أَئِمَّةِ ٱلفقهِ وٱلنَّحوِ ، وٱلصَّرفِ وٱلتَّاريخِ وٱلسِّيرِ ، عُرفَ مِنْ بينِ أَقرانِهِ وتلامذتِهِ ومريديهِ بطولِ باعِهِ في ٱلمعرفةِ بأَنواعِ ٱلعلومِ بدقةٍ وتحقيقٍ ، وُلدَ بـ(تريم) في آخرِ ذي ٱلحِجَّةِ سنةَ(١٣٠٩هـ) ونشأَ بها وقرأَ ٱلقرآنَ ٱلعظيمَ علىٰ ٱلمعلِّمِ عمرَ بنِ أَبي بكرٍ با غريبَ وٱبنِهِ ٱلشَّيخِ سعيدٍ ثمَّ حفظَهُ بدونِ قصدٍ لحفظِهِ ، وإِنَّما ذلكَ بمجرَّدِ كثرةِ تلاوتِهِ لهُ حتَّىٰ صارَ يحفظُهُ عَنْ ظهرِ قلبٍ ، ثمَّ أَخذَ يطلبُ ٱلعلومَ ويتلقَّاها مِنْ ذويهما بـ(تريم) و(سيؤُونَ) وغيرِهما ، وفي مقدِّمةِ مَنْ أَخذَ عنهمُ ٱلإِمامُ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ وٱلحبيبُ عليُّ بنُ محمَّدٍ ٱلحبشيُّ وٱلحبيبُ سقَّافُ بنُ حسنٍ ٱلعَيدروسُ وٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عَيدروسَ ٱلعَيدروسُ وٱلحبيبُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلمشهورُ وٱلحبيبُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدٍ ٱلمشهورُ وٱلحبيبُ شيخُ بنُ عَيدروسَ بنِ محمَّدٍ ٱلعَيدروسُ وٱبنُهُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلباري وٱلحبيبُ ٱلحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ إِبراهيمَ

بلفقيهِ والحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ الشَّاطريُّ والحبيبُ محمَّدُ بنُ سالمِ السَّريُّ[1] ، وغيرُهُمْ ممَّنْ لا يحضُرُني ذكرُهُمْ ولا يُضبَطُ عدُّهُمْ ، ولا ننسىٰ مِنْ بينِهِمْ الشَّيخَ العلاَّمةَ محمَّدَ بنَ أَحمدَ بنِ سالمِ الخطيبَ فإِنَّهُ كانَ يحضرُ درسَهُ بعدَ المغربِ في زاويةِ (برومَ) . وكذا الشَّيخَ أَبا بكرِ بنَ أَحمدَ الخطيبَ ، وكانَ أَخذُهُ هٰذا عنْ أُولئكَ المذكورينَ بعدَ أَنْ تضلَّعَ مِنْ معارفِ جدِّهِ الأَوَّلِ العارفِ باللهِ الوليِّ النّويرِ أَحمدَ بنِ علويِّ بنِ أَحمدَ السَّريِّ[2] ، وانغمسَ في أَنوارِهِ وذلك لأَنَّ والدَهُ السيِّدَ محمَّدَ بنَ أَحمدَ توفِّيَ بـ(سنغافورةَ) عام(١٣١٧هـ) .

وابنُهُ أَبو بكرٍ هٰذا لا يُجاوزُ سِنُّهُ ثمانَ سنواتٍ فكفلَهُ جدُّهُ أَحمدُ الآنفُ الذِّكرِ ، فربَّاهُ تربيةً دينيَّةً أَخلاقيةً حتَّىٰ صارَ بتواضعِهِ ومعارِفِهِ وأَخلاقِهِ الفاضلةِ ممَّنْ تنطبقُ عليهِ آيةُ : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] إِلىٰ آخرِ الآياتِ .

---

(١) للمؤلِّف كتابٌ مخطوطٌ اسمُهُ الطِّيبُ العنبريُّ في تراجمِ الأَفذاذِ مِنَ السّادةِ آلِ السَّري .

(٢) وهوَ جدُّ المؤلِّفِ لأُمِّهِ وشيخُ فتحِهِ .

فصارَ بذلكَ أحدَ صدورِ (تريمِ) وشيخاً مِنْ شيوخِ ٱلعلمِ وٱلتَّعليمِ ، فكانَ يواظِبُ علىٰ حضورِ مجالسهِ ٱلعلميَّةِ كثيرٌ مِنْ طلبةِ ٱلعلمِ ، وروَّادُهُ وخاصَّةً مجلسِهِ ٱلذي يتصدَّرهُ بمسجدِ سرجيسَ بعدَ صلاةِ ٱلصُّبحِ مِنْ كُلِّ يومٍ ، وكانَ مجلساً يغصُّ بطلبةِ ٱلعلمِ وروَّادِ ٱلمعرفةِ ، يتبادلُ فيهِ ٱلعلماءُ أَلوانَ ٱلعلمِ ٱلغريبةِ وٱلعجيبةِ ، ويحلُّونَ عويصَ ٱلمشاكلِ ٱلفقهيةِ واللُّغويةِ وٱلأَدبيةِ ، وكانَ ممَّنْ يحضرُ ذلكَ ٱلدَّرسَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عوضٍ با فضلُ وٱلسيِّدُ أَبو بكرِ بنُ صادقٍ ٱلكافُ وٱلسيِّدُ ٱلأَدِيبُ ٱلنَّجيبُ طاهرُ بنُ حسينِ بنُ أَحمدَ ٱلكافُ وغيرُهُم كثيرونَ ممَّنْ لم يحضُرني ذكرُهُمْ بأَسمائِهِمْ وكانَ ينوبُ ٱلحبيبَ علويَّ بنَ عبدِ ٱللهِ بنِ شهابِ ٱلدِّينِ إذا حصل معهُ عذرٌ يمنعُهُ مِنَ ٱلتَّصدرِ في مَدارسِ ٱلرِّباطِ بـ(تريمِ) صباحَ يومَي ٱلسَّبتِ وٱلأَربعاءِ مِنْ كُلِّ أُسبوعٍ . فكانَ ٱلسيِّدُ أَبو بكرٍ هٰذا يقومُ مقامَهُ في ذلكَ ، كما كانَ قدْ قامَ أَيضاً مقامَ ٱلحبيبِ عبدِ ٱلباري بنِ شيخ ٱلعيدروسِ بعدَ ذلك بسحيلِ (تريمِ) ، بعدَ موتِهِ في ٱلتَّصدُّرِ في ٱلرَّوحةِ عشيَّةَ كُلِّ يومٍ ٱلتي يعقُدُهَا ٱلحبيبُ عبدُ ٱلباري في ٱلفقهِ يقرأُ فيها شيئاً مِنْ كتبِ ٱلتَّصوفِ وأَخلاقِ ٱلسَّلفِ ٱلصَّالحِ .

وقدْ قامَ بها ٱلحبيبُ أبو بكرٍ منْ بعدِ موتِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱلباري إلىٰ أنْ فاجأتهُ ٱلمنيَّةُ ، وكانَ يحضرُ هٰذهِ ٱلجلسةَ ناسٌ مِنْ فضلاءِ ٱلعلويِّينَ وكثيرٌ منْ عوامِ ٱلبلادِ ، وكانَ أيضاً قد تولَّىٰ ٱلتَّدريسَ بمدرسةِ جمعيَّةِ ٱلحقِّ بـ(تريمٍ) ٱلواقعةِ بالجانبِ ٱلغربيِّ منْ مسجدِ (برومَ) ، وكانَ تولِّيهِ ٱلتَّدريسَ بها لمدَّةٍ لا تقلُّ عَنْ خمسِ سنينَ وأخذَ يدرِّسُ فيها ٱلفقهَ وٱلنَّحوَ وٱلآدابَ في ٱلصُّفوفِ ٱلعليا مِنْ تلكَ ٱلمدرسةِ ، وقرَّرَ للطَّلبةِ « ٱلعمدةَ » لابنِ ٱلنَّقيبِ و« ٱلمنهاجَ » للنَّوويِّ في ٱلفقهِ و« المتمِّمةَ » وألفيَّةَ ٱبنِ مالكٍ وملحةَ ٱلحريري في ٱلنَّحوِ و« بدايةَ ٱلهدايةِ » للغزاليِّ في ٱلتَّصوفِ و« مقاماتِ ٱلحريريِّ » في ٱللُّغةِ ٱلعربيَّة وغيرَ ذلك ، وكنتُ أنا مِنْ أُولٰئكَ ٱلطَّلبةِ ٱلذين أخذوا عنهُ بتلكَ ٱلمدرسةِ وكنتُ ممَّنْ قرأ عليهِ كتابَ « عمدةِ ٱلسالكِ » و« ٱلمنهاجِ » .

وأذكرُ مِنْ أُولٰئكَ ٱلطَّلبةِ ٱلذينَ أخذُوا عنهُ بتلكَ ٱلمدرسةِ ٱلسيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ عليٍّ ٱلمشهورَ وٱلسيِّدَ عليَّ بنَ محمَّدِ بنِ طاهرِ بنِ أبي بكرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ يحيىٰ وٱلسيِّدَ ٱلمرحومَ حسنَ بنَ حسينٍ ٱلكافُ وٱلسيِّدَ هارونَ بنَ حسنٍ ٱلجنيدَ وٱلشَّيخَ عمرَ بنَ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلخطيبَ

والسيِّدَ زينَ بنَ سقَّافٍ الهادي ، وممَّنْ درَسَ عندَهُ السيِّدُ محمَّدُ بنُ عقيلِ بنِ عثمانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يحيىٰ وأخوهُ الحسينُ بنُ عقيلٍ ومحمَّدُ بنِ حسينِ بنِ عبدِ اللهِ وعطَّاسُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ اللهِ الكافُ وعلويُّ بنُ عمرَ بنِ أبي بكرٍ العيدروسُ ، والسيِّدُ الشَّاعرُ الأديبُ سالمُ بنُ عبدِ القادرِ العيدروسُ صاحبُ بورٍ وعليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ هارونَ بنِ شهابِ الدِّينِ ، وغيرُ هـٰؤلاءِ كثيرونَ ممَّنْ لم تحضرْني أسماؤُهُمْ ولا أنسىٰ كونَهُ قدْ تولَّىٰ التَّدريسَ في الفقهِ بالمكانِ الذي يُنسبُ لسيِّدِنا الفقيهِ المقدَّمِ الواقعِ غربيَّ مسجدِ بَا علويٍّ بـ(تريمِ) ، وكانَ يحضرُ درسَهُ فيهِ كثيرٌ مِنَ الطَّلبةِ والعلماءِ ، بالجملةِ فإنَّ هـٰذا السيِّدَ العظيمَ الحالِ والقدرِ قدْ نفعَ هـٰذهِ البلادَ وانتفعَ بها فيَا لَهُ مِنْ سيِّدٍ ويَا لَهُ مِنْ مُعلِّمٍ ومتعلِّمٍ جَازاهُ اللهُ خيراً وأعظمَ لهُ أجراً ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ اتِّساعِهِ في العلمِ ومعرفَتِهِ باللهِ لا يزالُ مثابراً علىٰ طلبِ العلمِ وحضورِ المدارسِ الأُخرىٰ التي تُعقدُ بـ(تريمِ) وغيرِ (تريمِ) إذا تمكَّنَ من حضورها لا يفترُ عنْ ذلكَ . ولمْ يزلْ كذلكَ حتَّىٰ وافَتْهُ المنيَّةُ بـ(تريم) يومَ الجمعةِ حينَ طلوعِ الفجرِ ، وذلكَ اليومُ هوَ الثَّامِنُ

والعشرونَ مِنْ شهرِ ربيعِ الأوَّلِ عامَ(١٣٧٦هـ) .
رحمهُ اللهُ رحمةَ الأبرارِ وأسكنهُ جنَّاتٍ تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ وشُيِّعَتْ جنازتُهُ عشيَّةَ ذلكَ اليومِ وهوَ آخرُ يومِ جمعةٍ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ ، وكانَ يُقامُ فيهِ عادةً ذكرىٰ المولِدِ النَّبويِّ عشيَّةً بمسجدِ الشَّيخِ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدٍ السَّقَّافِ بـ(تريم) ، لا يؤخَّرُ ولا يُقدَّمُ عنْ ذلكَ الوقتِ في كُلِّ سنةٍ ، ولا أذكرُ أنَّهُ قُدِّمَ أو أُخِّرَ عَنْ وقتِهِ المذكورِ إلاَّ لموتِ ذلكَ السيِّدِ العظيمِ فإنَّهُ أُخِّرَ إلىٰ اليومِ التَّالي لهُ وهو يومُ السَّبتِ بعدَهُ وذلكَ بإشارةٍ مِنَ السيِّدِ الإمامِ علويِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ شهابٍ ، وأُمُّ السيِّدِ أبي بكرٍ صاحبِ هـٰذهِ التَّرجمةِ هيَ الشَّريفةُ بهيَّةُ بنتُ السيِّدِ الحسينِ بنِ سالمِ بنِ علويٍّ السَّريِّ .

* * *

سابعًا : زاوية مسجد نُفَيع

إِنَّ أَوَّلَ مَنِ ٱفتتحَ ٱلتَّدريسَ بتلكَ ٱلزَّاويةِ هوَ ٱلسيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بنِ عمرَ بلفقيه ، ٱلمتوفَّىٰ بـ(تريمِ) سنةَ(١٢٩٩هـ) ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ سيِّداً فاضلاً عالِماً عاملاً لطيفاً مُحبّاً للخيرِ وأَهلِهِ ، ويُقالُ إِنَّهُ ٱلذي أَنشأَ تلكَ ٱلزَّاويةَ وعمَّرها وٱفتتحَ ٱلتَّدريسَ بِها وهوَ ٱلجدُّ ٱلأَوَّلُ للسيِّدِ ٱلأَديبِ ٱلنَّبيلِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أَحمدِ بلفقيه ، ٱلمولودِ بـ(تريمِ) سنةَ(١٣٢٦هـ) وٱلمتوفى سنة ١٤٠٣هـ كما أَنَّه أخو ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ أَحمدَ وٱلمتوفَّىٰ بـ(تريمِ) سنةَ(١٣٦٨هـ) ، وعمَرُ هٰذا والدُ ٱلسيِّدِ محمَّدِ بنِ عمرَ ٱلمتوفَّىٰ بـ(عدنَ) ، ومحمَّدٌ هٰذا والدُ ٱلسيِّدِ ٱلفاضلِ ٱلفقيهِ ٱلنَّحويِّ ٱلمتواضعِ ٱلذَّاكرِ ٱلخاشعِ ٱلبكَّاءِ عند سَماعِ ٱلمواعظِ مِنْ كُلِّ واعِظٍ ، لا سيَّما مواعظِ ٱلإِمامِ ٱلدَّاعي إِلَىٰ ٱللهِ ٱلحبيبِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ حسينٍ ٱلحبشيِّ أَعني بهِ ٱلسيِّدَ أَبا بكرِ بنَ محمَّدِ بنِ عمرَ بلفقيه

ٱلمولودَ بـ(تريمٍ) سنةَ(١٢٨٢هـ) وٱلمتوفَّىٰ في شعبانَ سنةَ(١٣٦٢هـ) .

وللسيِّدِ أَبي بكرٍ هـٰذا أَبناءٌ ثلاثةٌ كلُّهُمْ أَذكياءُ أَنجابٌ ، وهمْ : محمَّدٌ ٱلملقَّبُ عبادٌ وعمرُ وأَحمدُ وقدْ توفِّيَ الأَوَّلُ ليلةَ عيدِ ٱلمولدِ ٱلنَّبويِّ سنةَ(١٣٤٠هـ) وعمرُ توفِّيَ في شعبانَ سنةَ(١٣٩٧هـ) يومَ وفاةِ ٱلسيِّدِ ٱلفاضلِ علويِّ بنِ محمَّدِ بنِ حسنِ بنِ أَحمدَ ٱلعيدروسِ .

أَمَّا ٱلسيِّدُ أَحمدُ بنُ أَبي بكرٍ فلا يزالُ حيّاً مقيماً بينَ أَولادِهِ بـ(تريمٍ) أَديباً نجيباً عالماً عاملاً خاضعاً للهِ خاشعاً ملازِماً لقيامِ ٱللَّيلِ ، مؤثِراً للخمولِ وعدمِ ٱلشُّهرةِ أَطالَ اللهُ عمرَهُ ، وكانَ ميلادُهُ سنةَ(١٣٢٧هـ) هوَ ٱلذي يتصدَّرُ ٱلآنَ ٱلرَّوحةَ بتلكَ ٱلزَّاويةِ[1] ، كما كانَ والدُهُ ٱلسيِّدُ أَبو بكرٍ يتصدَّرُها حينَما يكونُ مقيماً بـ(تريمٍ) وكانَ قدْ تصدَّرَها في ٱلوقتِ ٱلأَخيرِ ٱلسيِّدُ ٱلقانتُ ٱلأَوَّابُ ٱلحبيبُ علويُّ بنُ محمَّدِ بنِ حسنٍ ٱلعيدروسُ ٱلآنِفُ ٱلذِّكرِ ، بمعيَّةِ ٱلحبيبِ ٱلفاضِلِ ٱلدَّاعي إِلىٰ ٱللهِ ٱلعارفِ باللهِ أَبي بكرِ بنِ عليِّ بنِ

(١) وكانتْ وفاةُ ٱلسيِّدِ أَحمدَ بنِ أَبي بكرٍ ٱلمذكورِ سنةَ(١٤١١هـ) .

أَحمدَ بلفقيهِ ٱلمتوفَّىٰ بـ(تريمٍ) سنةَ(١٣٩٩هـ) ، وبقيَ مستمرّاً بعدَ وفاةِ ٱلسيِّدِ علويٍّ ٱلمذكورِ حتَّىٰ أَدركَتْهُ ٱلمنيَّةُ رحمهُ ٱللهُ تعالىٰ ، هـٰؤلاءِ كلُّهُمْ قدْ تولَّوا ٱلصَّدارةَ بها علىٰ عهدِنا عدا مُنشئِها ٱلأَوَّلِ أَعني ٱلسيِّدَ عبدَ اللهِ بنَ أَحمدَ الآنفَ ٱلذِّكرِ ، فإِنَّنا لمْ نُدركْ تصدُّرَهُ بِها وكذا مَنْ تولاَّها مِنْ بعدِهِ مباشرةً وهوَ ٱلسيِّدُ ٱلعالِمُ ٱلعلاَّمةُ ٱلحبيبُ أَبو بكرِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلخِردُ ٱلمولودُ بـ(تريمٍ) سنةَ(١٢٣٩هـ) وٱلمتوفَّىٰ بها سَلْخَ ٱلحجَّةَ سنةَ(١٣١٢هـ) فقدْ باشرَ ٱلتَّدريسَ بتلكَ ٱلزَّاويةِ إِلىٰ أَنْ ماتَ وكانَ شريفاً عالماً عاملاً ناسكاً لطيفاً ، حسنَ ٱلخُلُقِ آمراً بالخيرِ ناهياً عنِ ٱلشَّرِّ ، لهُ تعلُّقٌ كثيرٌ بزيارةِ تربِ (تريمٍ) ، لا ينفكُّ عَنْ زيارَتِها كُلَّ يومٍ ولهُ ٱلمعرفةُ ٱلتَّامةُ بقبورِها إِلاَّ أَنَّهُ يرىٰ أَنْ لا داعيَ لبناءِ ٱلسَّقيفةِ علىٰ قبرِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ومَنْ جاورَهُ ولا علىٰ قبرِ ٱلإِمامِ عبدِ اللهِ ٱلحدَّادِ ومَنْ جاورَهُ . وكانَ يعتقدُ أنَّ ذلكَ بدعةٌ كما كانَ ينكرُ بناءَ ٱلرِّباطِ بـ(تريمٍ) ، وذلكَ لأَنَّ معاهدَ (تريمٍ) ٱلعلميَّةَ فيما مَضىٰ إِنَّما تكونُ هي ٱلمساجدَ وٱلزَّوايا ٱلتي بها ، فصارَ لمَّا بُنِيَ ٱلرِّباطُ بـ(تريمٍ) لا يدخلُهُ حتَّىٰ ماتَ ، وكذا ٱلسَّقيفتانِ

علىٰ قبرَيِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ[1] وٱلإمامِ ٱلحدَّادِ[2] صارَ بدلاً مِنْ أَنْ تكونَ زيارتُهُ لأَهلِ بشار بالخروجِ إِليهم كلَّ يومٍ صارَ يرتِّبُ لهمْ قراءَةَ ٱلفاتحةِ مِنْ طاقةِ بيتِهِ لأَنَّ بيتَهُ ٱلواقعَ بجنوبِ زاويةِ ٱلشَّيخِ سَالم با فضلَ كانَ عالياً بحيثُ يمكنُهُ أَنْ يرىٰ ٱلقبورَ منهُ ، وهٰكذا كانَ إِذْ ذاكَ كثيرٌ مِنْ علماءِ (تريم) وشيوخِها يُنكرونَ بنايةَ ٱلرِّباطِ وبنايةَ ٱلسَّقيفتينِ وصارتْ عقيدَتُهُمْ في ذلكَ كَعقيدةِ ٱلسيِّدِ أَبي بكرِ ٱلخِردِ ٱلمذكورِ .

وقدْ أَخبرَني بذلكَ سيِّدي وحبيبي وشيخي ٱلإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ أَحمدَ ٱلشَّاطريُّ ثمَّ قالَ لي : إِنَّ ٱلحبيبَ أَحمدَ بنَ حسنٍ ٱلعطَّاسَ أَخبرَهُ أَنَّ أَهلَ ٱلبرزخِ قدْ أَنكرَ بعضُهُمْ ذلكَ كالسَّيِّدِ ٱلخِردِ ، وٱفترقوا في ذلكَ فرقتينِ وكانَ أَكثرُهُمْ لا يرونَ بأْساً بذلكَ ، وذلكَ منْ هٰذا ٱلنَّوعِ كثيرٌ كالشَّيخِ أَبي بكرِ بن سالمٍ وٱلإمامِ ٱلقطبِ عبدِ اللهِ ٱلحدَّادِ وغيرِ هٰذينِ ممَّنْ عَزبَ عنِّي حفظُ أَسمائِهِمْ ، إِلاَّ أَنَّ ٱلحزبَ ٱلثَّانيَ كانَ قليلاً ولكلٍّ مِنَ ٱلحزبينِ مشربٌ ، وكانَ ٱلسيِّدُ

---

(1) بناها الحبيبُ عبدُ الرحمن بنُ محمدٍ ٱلمشهورِ .
(2) بناها الحبيب عبدُ القادرِ بنُ أَحمدَ الحدَّاد .

أَبو بكرٍ ٱلخُردِ هٰذا حادَّ ٱلطَّبعِ لا يصبرُ علىٰ ما يراهُ مُخالفاً لمعتقَدِهِ .

ويُحكىٰ عنهُ مِنْ هٰذا ٱلقبيلِ ما وقعَ لهُ معَ ٱلحَبيبِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ محمَّدِ بنِ حسينٍ ٱلمشهورِ ليلةَ ٱلسَّابعِ والعشرينَ مِنْ رمضانَ في إِحدىٰ ٱلسِّنينَ في مسجدِ بَا عَلويٍّ وهيَ ٱللَّيلةُ ٱلتي يكونُ فيها ٱلختمُ فيهِ ، وكانَ إِذْ ذاكَ يكونُ ٱلختمُ فيهِ أَوَّلَ ٱللَّيلِ كبعضِ ٱلمساجدِ ٱلأُخرىٰ ، ولا يكونُ فيها ٱلذِّكرُ ٱلمعتادُ في غيرِها مِنَ ٱلمساجدِ ٱلأُخرىٰ . قالَ ٱلرَّاوي ولمَّا ٱنتهىٰ ٱلختمُ وخرجَ ٱلنَّاسُ مِنَ ٱلمسجدِ ولمْ يبقَ بهِ إِلاَّ ٱلقليلُ ، فجعلَ ٱلسيِّدُ أَبو بكرِ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلخردُ ٱلمذكورُ يطوفُ ويدورُ بالأُسطوانةِ ٱلتي في ٱلمسجدِ ٱلمسمَّاةِ ٱلمعصورةَ ، فقامَ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ ٱلمشهورُ ليسأَلَهُ عَنْ طوافِهِ بها هلْ كانَ فيهِ أَثرٌ يحفظُهُ عَنْ أَحدٍ مِنَ ٱلسَّلف أَوْ لسببٍ آخرَ ، وكانَ قيامُهُ لهُ هٰذا كالمُنكِرِ عليهِ فلمَّا رآهُ ٱلسيِّدُ أَبو بكرٍ ٱلمذكورُ أَخذَ يسأَلُهُ ، فما كانَ مِنَ أَمرِ ٱلسيِّدِ أَبي بكرٍ إِلاَّ أَنَّهُ نظرَ إِليهِ شزراً ، وقالَ لهُ ٱلمنكرُ إِنَّما هوَ ٱلكتابةُ علىٰ ظهرِ مؤلَّفاتِكَ (أَلَّفَهُ مفتي ٱلدِّيارِ ٱلحضرميَّةِ) ، وجعلَ يتبعُهُ بعصاهُ ليخزقَهُ بزقِّ ٱلحديدِ

ٱلذي في رأسِها ، فهربَ ٱلسيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ إِلىٰ خارجِ ٱلمسجدِ ولمْ يستطعْ أَنْ يقفَ عنهُ بأَيِّ فائِدَةٍ عنْ طوافِهِ بتلكَ ٱلاسطوانةِ .

وقدْ جرتْ مثلُ هـٰذهِ ٱلحكايةِ أَوْ ما هوَ قريبٌ مِنها للحبيبِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ نفسِهِ معَ ٱلحبيبِ علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلمشهورِ ، وهي أَنَّ ٱلحبيبَ أَحمدَ بنَ محمَّـدِ بـنِ عبـدِ ٱللهِ ٱلكـافَ ٱلمتـوفَّـىٰ بـ(تـريـمٍ) سنةَ(١٣١٦هـ) أَمرَ أَوصِياهُ إِذا خرجتْ جنازتُهُ مِنْ دارِهِ ٱلمعروفةِ أَنْ يعرِّجَ بها عَنِ ٱلطَّريقِ ٱلجادَّةِ ، إِلىٰ حيثُ يُمَرُّ بها في حَوشِ آلِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخ ٱلعيدروسِ بالسَّحيلِ للتَّبرُّكِ بهمْ ، ورجاءُ إِغاثَتِهِمْ لهُ وذلكَ لِمَا كانَ لهُ بهمْ مِنَ ٱلتَّعلُّقِ ٱلحسِّيِّ وٱلمعنويِّ أَيَّامَ حياتِهِ بأَحيائِهِمْ وبأَمواتِهِمْ ، فأَخبرَ أَوصياهُ ٱلحبيبَ عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمشهورَ بذلك ، وسأَلوهُ هلْ في إِمكانِهِ تنفيذَ هـٰذهِ ٱلوصيَّةِ أَمْ لاَ لأَنَّهُ إِذْ ذاكَ هوَ ٱلمستشارُ للعلويِّينَ بـ(تريمٍ) بلْ وبغيرِها ، فما كانَ مِنْ أَمرِهِ إِلاَّ أَنَّهُ أَجابَهُمْ إِلىٰ ذلك معَ أَنَّهُ كانَ شرعيّاً عظيماً لا يوافِقُ إِلاَّ علىٰ ما تقتضيهِ ٱلشَّريعةُ ٱلسَّمحاءُ ٱلمطهَّرَةُ ، فِعلاً وتركاً وقالَ لهمْ : كيفَ لا تُنفَّذُ وصيَّةُ هـٰذا ٱلسيِّدِ

ٱلعظيمِ والوليِّ ٱلكبيرِ . فلمَّا أُخرجَتِ ٱلجنازةُ وتُوُجِّهَ بها إِلىٰ ٱلجهةِ ٱلغربيَّةِ ومعَ أَنَّ الاتِّجاهَ بها يقتضي أَنْ يكونَ إِلىٰ ٱلجهةِ ٱلشَّرقيَّةِ كالجنائزِ ٱلأُخرىٰ ٱلتي تكونُ مِنْ ذلكَ ٱلمكانِ تنفيذاً لوصيَّةِ هٰذا ٱلحبيبِ ، ولمَّا عرفَ ٱلحبيبُ علويٌّ ٱلمشهورُ أَنَّ ٱلجنازةَ تُوُجِّهَ بِها إِلىٰ غيرِ طريقِها ٱلمعتادةِ ذهبَ مهرولاً إِلىٰ ٱلحبيبِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ وكانَ في ٱلمقدِّمةِ لينكرَ عليهِ إِذْنَهُ لهمْ بذلكَ ، فأَخذَ ينكرُ عليهِ ويقولُ : إِنَّ فعلَكُمْ هٰذا بدعةٌ في ٱلشَّريعةِ ٱلمطهرَّةِ ، فٱلتفت إِليهِ مريداً ضربَهُ بعصاهُ وقالَ لهُ : إِنَّما ٱلبدعةُ هيَ ٱلكشاري ٱلتي ٱتَّخذتَها ببيتِكَ ٱلتي لمْ يتَّخِذْها أَحدٌ قبلَكَ مِنْ أَهالي (تريمٍ) وأَخذَ يوجِّهُ عصاهُ إِليهِ ليضربَهُ بها ، فذهبَ ٱلحبيبُ هارباً إِلىٰ حيثُ لا يستطيعُ ٱلوصولَ إِليهِ بعصاهُ ثمَّ صارَ بقيَّةُ أَولادِ ٱلحبيبِ أَحمدَ ٱلكافِ يُوصونَ وصيَّةً شفهيَّةً أَو كتابياً بأَنْ يُمَرَّ بجنائزِهِمْ في ذلكَ ٱلحوشِ ، وقدْ مُرَّ بِهِمْ فعلاً فيهِ إِلاَّ أَنِّي لا أَذكرُ أَنَّ جنازةَ ٱلإِمامِ ٱلعالمِ ٱلعلاَّمةِ ٱلواعظِ ٱلقاضي ٱلمرشدِ ٱلحسينِ بنِ أَحمدَ ٱلمذكورِ ٱلمتوفَّىٰ في شوَّالَ سنة (١٣٣٣ هـ) ، هلْ مُرَّ بجنازتِهِ في ذلكَ ٱلحوشِ أَمْ لا مع أَنِّي كنتُ مِنَ ٱلمُشيِّعينَ لجنازتِهِ ولٰكِنْ غلبَ عليَّ في ذلكَ

ٱلنِّسيانُ وهٰكذا تقعُ بينَ شيبانِنَا مثلُ هٰذهِ ٱلوقائِعِ إلاَّ أَنَّ ٱلأَصغرَ منهمْ سنّاً يتواضعُ للكبيرِ ويخضعُ لهُ ويُغضي عنهُ صفحاً مَهْما كانَ ٱلخلافُ بينهما لا يمسُّ بالحكمِ ٱلشَّرعيِّ فعلاً وتركاً .

أَمَّا إِذا كانَ مُخالفاً فلا يستطيعُ ٱلسُّكوتَ عليهِ وٱلإِغضاءَ عَنْ مرتكبيهِ ، شابّاً أَوْ كهلاً أَوْ شيخاً ، إلاَّ إِنْ كانَ لمرتَكبِهِ عذرٌ شرعيٌّ ، يُبيحُ لهُ ٱرتكابَهُ فعلاً أَو تركاً . وإِذا عَرَفَ أَحدُ ٱلمختلفينَ ٱلغلطَ عندَهُ جاءَ إِلىٰ ٱلآخرِ معترفاً وطالباً للعفوِ منهُ ، بلْ قدْ يظنُّ كلٌّ منهما ٱلغلطَ عندَهُ ، فيعزمُ كلٌّ مِنَ ٱلطَّرفينِ علىٰ ٱلذَّهابِ إلىٰ ٱلآخرِ لطلبِ ٱلعفوِ منهُ فيلتَقيانِ في ٱلطَّريقِ فيُخبرُ كلٌّ منهما ٱلآخرَ بأَنَّ مسيرَهُ هٰذا لطلبِ ٱلعفوِ منهُ ، عمَّا جرىٰ منهُ معهُ غلطاً فيتبادَلانِ ٱلعفوَ بينَهُما في نفسِ ٱلطَّريقِ ٱلتي ٱلتقيا بها .

وقدْ حُكيَ بمثلِ هٰذا في كثيرٍ مِنَ ٱلوقائِعِ ٱلجاريةِ بينَ شيبانِنَا رحمَهُمُ اللهُ تعالىٰ وغيرِهِمْ ممَّا لا نُطيلُ بذكرِها معَ أَنّني ٱلآنَ أَظُنُّ قدْ خرجتُ بكمْ عنْ جادَّةِ ٱلطريقِ إِلىٰ ٱلتَّعريفِ بتلكَ ٱلزاويةِ ، وممَّنْ درَّسَ فيها مِنَ ٱلعلماءِ ٱلأَعلامِ إِلىٰ ذكرِ قَضايا رُبَما تقولونَ إِنَّها خارجةٌ عنِ ٱلموضوعِ معَ أَنَّكُمْ تعرفونَها ولكنَّنا ندَّخِرُها للجيلِ ٱلذي

بعدَكُمْ ليعرِفوا ما لِسلفِهِمْ مِنَ ٱلتَّعاضُدِ وٱلتَّكاتُفِ علىٰ ٱلخيرِ فيما بينَهُمْ ، وٱلاحتمالِ وٱلتَّسامحِ مِنْ بعضِهِمْ مِنْ بعضٍ .

وَلْنَرجعْ إِلىٰ مَا كُنَّا فيهِ مِنْ ذكرِ مَا يتعلَّقُ بالسَّيِّدُ ٱلفاضلِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلخِردِ ٱلذي هوَ ٱلمدرِّسُ ٱلثاني بتلكَ ٱلزَّاويةِ أَعني زاويةَ نُفيعٍ بعدَ مُدرِّسِها ٱلأَوَّلِ ومُنشِئِها ٱلسيِّدِ ٱلعلاَّمةِ (عبدِ اللهِ بلفقيه) فَنقولُ : وَللسيِّدِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلمذكورِ مِنَ ٱلبنينَ ٱثنانِ ، أَصغرُهما هوَ ٱلسيِّدُ ٱلفاضلُ ٱلمتواضعُ عبدُ اللهِ بنُ أَبي بكرٍ ٱلمتوفَّىٰ[1] ، وٱلثاني وهوَ ٱلأَكبرُ ٱلسيِّدُ ٱلفاضِلُ ٱلعالمُ ٱلعلاَّمةُ ٱلمتفَنِّنُ ٱلحبيبُ علويُّ بنُ أَبي بكرٍ ، كانَ هـٰذا ٱلسيِّدُ أَحدَ ٱلعلماءِ ٱلمتخرِّجينَ في كثيرٍ مِنَ ٱلعلومِ لا سيَّما ٱلفقهِ وعلومِ ٱلآلَةِ وكانَ علىٰ غايةٍ مِنَ ٱلتَّقشُّفِ وٱلزُّهدِ لا يُجالسُ غالباً إِلاَّ ٱلفقراءَ وٱلمساكينَ وٱلعلماءَ وٱلعامَّةَ ويدعوهُمْ إِلىٰ اللهِ تعالىٰ ويعرِّفُهُمْ طُرُقَ ٱلخيرِ وَلا يُعرَفُ أَنَّهُ متوغِّلٌ في أَنواعِ ٱلعلومِ ، إِلاَّ عندَ ٱلمُباحثةِ معهُ وٱلنِّقاشِ في بعضِ ٱلمسائلِ

---

(١) لم يعرف تاريخ وفاة السيد أبو بكر خرد ، وإنما المعروف أنه عاش في أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري .

ٱلعَويصةِ ٱلإدراكِ ، وَلا ينفلتُ عَنِ ٱلبحثِ إلاَّ بعدَ أَنْ يَحلَّ ٱلمسأَلَةَ مِنْ جميعِ أَطرافِهَا وهوَ قرينُ ٱلسيِّدِ ٱلعلاَّمةِ عليِّ بنِ زينِ بنِ محسنٍ ٱلهادي في طلبِ ٱلعلمِ ، وٱلجلوسِ بينَ يدي ٱلمشايخِ ٱلعارفينَ باللهِ وبما جاءَ عَنِ ٱللهِ وعنْ رسولِ ٱللهِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

وهٰؤلاءِ ٱلمشايخُ كالإمامِ ٱلعلاَّمةِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ محمَّدٍ ٱلمشهورِ ومَنْ علىٰ شكلِهِ ومثلِهِ مِنْ علماءِ (تريمٍ) وغيرِ (تريمٍ) كالحبيبِ عليِّ بنِ محمَّدٍ ٱلحبشيِّ وٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ وغيرِهما ممَّنْ كانَ مُشاكلاً لَهما ، إلاَّ أَنَّ ٱلسيِّدَ علويَّ هٰذا لا يبرزُ بدروسٍ خاصَّةٍ للتعليمِ كالسَّيِّدِ عليِّ بنِ زينِ ٱلهادي علىٰ أَنَّهُ فحلٌ مِنْ فحولِ ٱلعلماءِ غيرَ أَنَّهُ يُؤْثِرُ ٱلخمولَ وٱلشُّهرةَ وٱلنُّصحَ للأُمَّةِ مِنْ طرْفٍ خَفِيٍّ وهٰكذا كانَ ديدَنُهُ .

نعمْ أَذكرُ أَنَّهُ قدِ ٱنتظمَ في سِلكِ ٱلمعلِّمينَ وٱلأَساتذةِ بمدرسةِ جمعيَّةِ ٱلحقِّ ٱلواقعةِ غربيَّ مسجدِ برومَ بـ(تريمٍ) ، ٱلتي ٱفتُتِحتْ سنةَ(١٣٣٤هـ) وكانَ ٱلإنفاقُ علىٰ تلكَ ٱلمدرسةِ مِنْ خيراتِ ٱلسيِّدِ شيخ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلكافِ مِنَ ٱلقسمِ ٱلموصىٰ بهِ منهُ لطلبةِ ٱلعلمِ بـ(تريمٍ) ،

وكانَ ٱفتتاحُ هٰذهِ ٱلمدرسةِ قدْ حضرَهُ كثيرٌ مِنْ شيوخِ (تريمٍ) ٱلعارفينَ كالحبيبِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ وٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ علويٍّ بنِ أَحمدَ ٱلسَّريِّ وٱبنِ أَخيهِ ٱلحبيبِ محمَّدِ بنِ سالمِ بنِ علويٍّ ٱلسَّريِّ وٱلحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ٱلشَّاطريِّ وغيرِهِمْ مِنْ مثلِ هٰؤلاءِ كثيرٌ كالسَّيِّدِ حسنِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلكافِ وكغيرِهِ مِنْ طلبةِ ٱلعلمِ كالسَّيِّدِ حامدِ بنِ محمَّدِ ٱلسَّريِّ وٱلسيِّدِ أَحمدَ بنِ عُمرَ ٱلشَّاطريِّ .

وقدِ ٱنتظمَ في سلكِ معلِّمي تلكَ ٱلمدرسةِ هٰذانِ ٱلأخيرانِ بعدَ مُضيٍّ نحوِ سنةٍ مِنِ ٱفتتاحِها وقاما فِيها بتدريسِ ٱلنَّحوِ وٱلفقهِ ، وقدْ أَلقىٰ ٱلسيِّدُ ٱلعلاَّمةُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ ٱلشَّاطريُّ كلمةً نظماً ونثراً في مدحِ تلكَ ٱلمدرسةِ وتلكَ ٱلجمعيَّةِ ، وقدْ تخرَّجَ مِنْ هٰذهِ ٱلمدرسةِ طلبةٌ كثيرونَ يُنتفَعُ بهمُ ٱلآنَ في ٱلتَّعليمِ وغيرِ ٱلتعليمِ في نفسِ (تريمٍ) وخارجِها .

وقدِ ٱنجررْنا إِلىٰ ذكرِ هٰذهِ ٱلمدرسةِ بذكرِ أَنَّ ٱلسيِّدَ علويَّ بنَ أَبي بكرٍ ٱلخِردَ وهوَ في بدءِ بدءِ ٱفتتحها هوَ ثالثُ ٱلثلاثةِ ٱلذين ٱفتتحوا ٱلتعليمَ بتلكَ ٱلمدرسةِ ٱلذينَ مِنْ بينِهِمْ

ٱلسَّيِّدُ ٱلأديبُ ٱلفاضلُ ٱلنَّبيلُ ٱلذَّكيُّ ٱلحبيبُ محمَّدُ عبدُ ٱلمولىٰ بنُ عبدِ ٱلقادرِ بنِ أحمدَ بنِ طاهرِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ وكانَ هوَ متولِّي وظيفتينِ بها وظيفةَ ٱلإدارةِ ووظيفةَ ٱلتَّعليمِ وثالثُ ٱلثلاثةِ هوَ ٱلشَّيخُ ٱلجِهبذُ محمَّدُ بنُ عوضِ با فضلُ ثمَّ تكاثَرَ فيها ٱلطَّلبةُ وٱتَّسعَ بناؤُها وزادَ ٱلمعلِّمونَ بها حتَّىٰ بَلغوا ٱلكثيرَ مِنَ ٱلطَّلبةِ ومِنَ ٱلمعلِّمينَ أيضاً كالسَّيِّدِ ٱلعلاَّمةِ أبي بكرِ بنِ محمَّدٍ ٱلسَّريِّ وٱلشَّيخِ حسنِ بنِ محمَّدٍ عرفانَ وٱلشَّيخِ توفيق أمانَ .

ثمَّ ٱندرجَ في سلكِهِمْ ٱلفقيرُ وٱلشَّيخُ سالمُ بنُ سَعيد بُكَيِّر باغَيثان ، وكانَ هٰؤلاءِ ٱلثلاثةُ ٱلأخيرونَ مِنْ متخرِّجي تلكَ ٱلمدرسةِ حتَّىٰ صاروا مِنْ أساتِذتِها .

ثمَّ نرجعُ إلىٰ ذكرِ ٱلسيِّدِ علويِّ بنِ أبي بكرٍ ٱلخردِ ونقولُ إنَّهُ طالَ بهِ ٱلعمرُ حتَّىٰ صارَ يذرفُ علىٰ ٱلثَّمانينَ سنةً ، فبينما هوَ في ٱللَّيلةِ ٱلسَّابعةِ مِنْ شهرِ شعبانَ ، راجعاً مِنْ عندِ بعضِ أصحابِهِ ٱلمساكينِ بالخليفِ بعدَ أنْ رآهُمْ يتأهبون لزيارةِ نبيِّ اللهِ هودٍ عليهِ ٱلصَّلاةُ وٱلسلامُ بجمعِ أزوادِهِمْ بدارِ مقدَّمِهِمُ ٱلذي يقالُ لهُ أبو ٱلحافةِ فعقب رجوعهِ مِنْ عندِ

أولئك لم يشعرْ إلاَّ واعتلتهُ نوبةٌ أشبهُ بأنَّها نوبةٌ قلبيةٌ عجَّلتْ لهُ الموتَ في تلكَ السَّاعةِ التي دخلَ في دارِهِ وكانَ موتُهُ آخرَ اللَّيلِ ، وشُيِّعَتْ جنازتُهُ مساءَ اليومِ التَّالي لتلكَ اللَّيلةِ رحمهُ اللهُ تعالىٰ .

وبعدَ وفاةِ السيِّدِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ الخِردِ تولَّىٰ التَّدريسَ بتلكَ الزَّاويةِ الإمامُ العالمُ العاملُ الصَّالحُ الخاشعُ المتواضعُ الوليُّ العارفُ المتضلِّعُ في أَنواعِ العلومِ الشَّيخُ أَحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ البَكريُّ الخطيبُ الأنصاريُّ الأوسيُّ ، المتولِّي للتدَّريسِ بمسجدِ (سوية) ، بحارةِ الخليفِ بـ(تريمِ) الواقعِ ـ ذلكَ المسجدِ ـ بفناءِ دارِهِ مِنْ جهةِ الجنوبِ ، كما تولَّىٰ أَيضاً التَّدريسَ بزاويةِ نُفيعٍ التي نحنُ الآنَ نكرعُ مِنْ صافي زُلالِ مائِها ، وكانَ تولِّي هٰذا الشَّيخِ الجهبذِ العظيمِ بعدَ وفاةِ الحبيبِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ الخِردِ الآنفِ الذِّكرِ وكانتْ وفاتُهُ كما سبقَ[1] ، وهوَ ثاني مَنْ درَّسَ بِها بعدَ وفاةِ مؤسِّسِها العلاَّمةِ عبدِ اللهِ بنِ

---

(١) سنة ١٣١٢هـ .

أَحمدَ عُمرَ بلفقيه ٱلسَّابقِ ذكرُهُ ، وكانَ ميلادُ هـٰذا ٱلشَّيخِ ٱلعظيمِ بـ(تريمِ) سنةَ(١٢٥٧هـ) ، كما كانتْ وفاتُهُ بها سنةَ(١٣٣١هـ) ، كانَ حبراً نحريراً فقيهاً صوفيّاً وأَديباً نحويّاً ، أَخذَ عَنْ شيخِهِ عبدِ اللهِ بنِ أَحمدَ بلفقيه ٱلآنفِ ٱلذِّكرِ حتَّىٰ تخرَّجَ بهِ وكانَ لهُ ٱلأَخذُ وٱلإِجازةُ وٱلاتِّصالُ بمشايخَ آخرينَ عظامٍ ، أَجلاَّءَ كرامٍ ، مِنْ عظماءِ عصرِهِ وعَارِفي وقتِهِ ، كالحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ وٱلحبيبِ ٱلحسنِ بنِ صالحِ ٱلبحرِ وٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ عليٍّ ٱلجنيدِ وٱلحبيبِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلعطَّاسِ ، وغيرِهِمْ ممَّنْ يعسرُ حصرُهُمْ ويتعذَّرُ عدُّهُمْ مِنْ أَكابرِ ٱلعارفينَ باللهِ رضيَ اللهُ عنهُمْ وعنَّا بِهِمْ ، ورحلَ رضيَ اللهُ عنهُ إِلىٰ ٱلحجازِ وجاورَ ٱلحرمينِ ٱلشَّريفينِ ، وجبالَ ٱلطَّائِفِ نحواً مِنْ أَربعِ سنينَ أَو خمسِ سنينَ ، داعياً إِلىٰ اللهِ مَنْ في ٱلبـوادِي بـأَمـرِ شيخِـهِ أَحمـدَ زينـي دحـلانَ ، ٱلمتـوفَّىٰ سنةَ(١٣٠٣هـ) وذلكَ في حدودِ ٱلثَّمانينَ أَوِ ٱلتِّسعينَ بعدَ ٱلمئتينِ وٱلأَلفِ للهجرةِ ، وقدْ حجَّ نحواً مِنْ ثلاثينَ حجَّةً غيرَ حجَّةِ ٱلإِسلامِ وزارَ ٱلمدينةَ في حياةِ شيخِهِ ٱلشَّيخِ محمَّدٍ ٱلعزبِ تسعَ مرَّاتٍ ، فضلاً عمَّا بعدَها وبعدَ عودتِهِ إِلىٰ

(حضرموتَ) تصدَّىٰ للتَّدريسِ ونشرِ ٱلعلمِ وكانَ ٱلغالبُ عليهِ ٱلميلَ إلىٰ ٱلخمولِ وٱلتَّواضعِ ، وممَّنْ تخرَّجَ بهِ ٱبنُهُ ٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ أَحمدَ وهوَ مِنْ أَعيانِ علماءِ (تريمِ) ٱلمبرِّزينَ ، تخرَّجَ بعدَ أَنْ تلقَّىٰ ٱلعلمَ مِنْ فقهٍ ونحوٍ وغيرِهما[1] ، وفي مقدِّمتِهِمْ ٱلحبيبُ عَيدروسُ بنُ عُمرَ ٱلحبشيِّ في ٱلغرفةِ ، وٱلحبيبُ ٱلإمامُ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ حسينٍ ٱلحبشيِّ بـ(سيؤون) وٱلإمامُ أَحمدُ زيني دحلانَ بمكَّةَ وٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ ٱلمشهورُ بـ(تريمِ) ، وجدَّ وٱجتهدَ في طلبِ ٱلعلومِ حتَّىٰ صارَ أَحدَ ٱلفقهاءِ ٱلأَفذاذِ ٱلذينَ أَنجبَتْهُمْ (حضرموتُ) في ٱلعصورِ ٱلأَخيرَةِ ، ٱلمشهودِ لهمْ في سَعةِ ٱلعلمِ وٱلورعِ ، تلقَّىٰ علوماً شتَّىٰ وتصدَّرَ للإِفتاءِ قبلَ أَنْ يبلغَ ٱلعشرينَ مِنَ ٱلعمرِ ، وٱنتهىٰ إِليهِ مقامُ ٱلإِفتاءِ عقبَ وفاةِ شيخِهِ ٱلعلاَّمةِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ محمدٍ ٱلمشهورِ ، وكانَ علىٰ جانبٍ عظيمٍ مِنَ ٱلتَّواضعِ وٱلزُّهدِ وٱلعبادةِ وٱلتَّقشُّفِ ، وحجَّ بيتَ ٱللهِ ٱلحرامَ مراراً ، وقدْ جُمعَ مِنْ فتاويهِ ٱلجليلةِ

---

(١) عَنْ أَئِمَّةٍ وشيوخٍ عديدينَ بـ(حضرموتَ) و(ٱلحجازِ) وغيرِهما .

ٱلنَّفعِ ، ٱلقيِّمَةِ ٱلفائِدَةِ ما تمَّ العثورُ عليه ـ وذلكَ في أَواخرِ أَيَّام حياتِهِ ـ وقُوبلَ عليهِ ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ وأَثابَهُ برضاهُ وجعلَ ٱلجنَّةَ منقلبَهُ ومثواهُ ـ وكانتْ وفاتُهُ بـ(تريمِ) سنةَ(١٣٥٦هـ) ، كَما كانَ بها ميلادُهُ سنةَ(١٢٨٦هـ) .

وعلىٰ ذكرِ هـٰذينِ ٱلشَّيخينِ مِنْ آلِ ٱلخطيبِ نَذكرُ نزراً ممَّا يتعلَّقُ بمقامِهِمُ ٱلكريمِ ، فنقولُ إِنَّ كلمةَ (ٱلخطيبِ) تُستعملُ وصفاً لمنْ تولَّىٰ ٱلخطابةَ في ٱلجُمعةِ أَو غيرِها ، ثمَّ ٱستُعْمِلَتْ في عُرفِ ٱلحضارمةِ ٱسماً لكلِّ فردٍ مِنْ أَفرادِ قبيلةِ (تريمِ) ٱختصَّ بتولِّي ٱلخطابةِ وإِمامةِ صلاةِ ٱلجمعةِ وٱلعيدِ وٱلاستسقاءِ بـ(تريمِ) ، سواءٌ كانَ ذلكَ ٱلفردُ قدْ باشرَ ٱلقيامَ بذلكَ أَمْ لاَ ، وٱلَّذينَ أُطلقَ عليهمْ لقبُ ٱلخطباءِ بـ(تريمِ) كما في « جَني ٱلشماريخِ » للسَّيِّدِ ٱلعلاَّمةِ علويِّ بنِ طاهرٍ ٱلحدَّادِ ثلاثُ قبائِلَ :

ٱلقبيلةُ ٱلأُولىٰ : (آلُ أَبي طٰه) هـٰؤلاءِ كانوا بـ(تريمِ) ثمَّ نُقِلُوا إِلىٰ ظفارٍ وكانَ منهمْ عددٌ في « عدنَ » وفي « ٱليمنِ » .

ٱلقبيلةُ ٱلثانيةُ : (آلُ أَبي ٱلحِبِّ) ٱلذين منهمُ ٱلإِمامُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ أَبي ٱلحب ، وهـٰؤلاءِ كانُوا بـ(ظفارٍ)

ثمَّ نُقلوا إِلىٰ (تريم) وكانوا بِها خطباءَ مقابرَ لا خطباءَ منابرَ ، كما يقولُ مؤلِّفُ « ٱلبردِ ٱلنَّعيمِ » يعني أَنَّهُمْ كانوا لاَ يتولَّونَ ٱلخطابةَ علىٰ ٱلمنابرِ . وإِنَّما يتولَّون قراءَةَ ٱلأَدْعيةِ ٱلتي يعبَّرُ عنها بالخطبِ ٱلتي يُعتادُ قراءَتُها في مقابرِ (تريمِ) ، عقبَ دفنِ ٱلميِّتِ وتلقينِهِ وبعدَ ختمِ ٱلقراءَةِ عليهِ في ٱليومِ ٱلرَّابعِ بعدَ دفنِهِ ، وكذا وهوَ في بيتِهِ قُبيلَ تشييعِ جنازَتِهِ ، وفي ظَنِّي أَنَّهُ لمْ يتولَّ هـٰذهِ ٱلوظيفةَ بـ(تريمِ) بعدَ ٱنقراضِ آلِ أَبي ٱلحِبِّ غيرَ مشايخِ آلِ أَبي حرمي ٱلذينَ هُمْ قائِمونَ بها مِنْ قُبيلِ هـٰذا ٱلوقتِ .

ٱلقبيلةُ ٱلثالثةُ : ٱلخطباءُ ٱلباقيةُ ذراريهمْ إِلىٰ ٱلآنَ بـ(تريمِ) ، وبما أَنَّنا في مَا مضىٰ قَدْ ذكرْنا طرفاً قليلاً مِنْ تاريخِ ٱلمشايخِ آلِ ٱلخطيبِ ٱلذينَ يُدلُونَ بنسبِهِمْ إِلىٰ ٱلصَّحابيِّ ٱلعظيمِ عبَّادِ بنِ بشرٍ ٱلأَنصاريِّ ٱلأَوسيِّ ٱلبدريِّ ، وذكرنا سببَ خروجِهِ إِلىٰ (تريمِ) و(حضرموتَ) وأَنَّهُ تزوَّجَ عندَ أناسٍ منْ أَهلِ (حضرموتَ) يقالُ لهمْ آلُ كبدةَ ، ثمَّ إِنَّ عبَّاداً ٱلمذكورَ قُتِلَ بقريةِ (اللِّسكِ) بالقربِ مِنْ مدينةِ (عينات) لمَّا خرجَ لأَخذِ ٱلزَّكواتِ ، وأَنَّهُ دُفنَ في ذلكَ ٱلمكانِ ٱلمرتفعِ عَنِ ٱلقريةِ إِلىٰ آخرِ ما قدَّمنا ، وكانَ مقتلُهُ

ـ رضيَ اللهُ عنه ـ والحالُ أَنَّ ٱبنَهُ ٱلشَّيخَ أَحمدَ ٱلتَّابعيَّ حُمِلَ في بطنِ أُمِّهِ ٱلعيسويَّةِ مِنْ قبيلةٍ يقالُ لهمْ أَيضاً آلُ عيسىٰ ، ثمَّ وضَعَتْهُ وتربَّىٰ بـ(تريمِ) في حِجْرِ أُمِّهِ عندَ أَخوالِهِ آلِ عيسىٰ ، وتزوَّجَ عندَ ناس يقالُ لهمْ آلُ كبدةَ فوُلِدَ لهُ ٱبنُهُ ٱلشَّيخُ سليمانُ وفتحَ اللهُ لهُ أَعني ٱلشَّيخَ سليمانَ في ٱلعلمِ ووفَّقَهُ للعملِ ٱلصَّالحِ ومنحَهُ رِزقاً واسعاً ومالاً كثيراً ، فبنىٰ مسجدَهُ ٱلمعروفَ ٱلآنَ بمسجدِ ٱلوعلِ ، وطعَنَ في ٱلسِّنِّ حتَّىٰ بلغَ ما يُنيفُ علىٰ سبعينَ سنةً وماتَ بـ(تريمِ) ، ودُفِنَ عندَ قبرِ أُمِّهِ وأَخوالِهِ آلِ عيسىٰ ، وقبورُهُمْ بمقبرةِ ٱلفريطِ بالقربِ مِنْ قبرِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ مسعودٍ ٱلخطيبِ ، غيرَ أَنَّ قبرَ ٱلشَّيخِ أَحمدَ قدِ ٱندرسَ فيما بعدُ ولمْ يُعرفْ .

وكانَ بعضُ أَهلِ ٱلكشفِ وٱلنُّورِ يقفُ عندَ ركنِ ٱلجبَّانةِ ٱلغربيِّ ٱلذي في جهةِ ٱلجنوبِ ويزورُ ٱلشَّيخَ أَحمدَ هـٰذا مِنْ ذلكَ ٱلمكانِ ويقولُ مَنْ زارَهُ مِنْ ذلكَ ٱلمكانِ ودعا ٱللهَ تعالىٰ ٱستجابَ اللهُ دعاءَهُ .

وقالَ مؤلِّفُ « ٱلبردِ ٱلنَّعيم » ـ بعدَ أَنْ ذكرَ ٱندراسَ قبرِ ٱلشَّيخِ أَحمدَ ٱلمذكورِ ـ : وأَمَّا ٱلآنَ فقدْ عُرِفَ قبرُهُ ، إِذْ

وُجدتْ شاهدةٌ قديمةٌ لطيفةٌ عندَ فخذِ بنيهِ آلِ ٱلخضرِ فأَحيينا قبرَهُ بذلكَ ٱلموضعِ .

وأَمّا مسجدُهُ ٱلشهيرُ ٱلآنَ بمسجدِ ٱلوعلِ : فلعلَّ ٱلسَّببَ في تسميتِهِ بهٰذا ٱلاسمِ أَنَّ ٱلشَّيخَ عليَّ بنَ محمَّدٍ ٱلمعروفَ بصاحبِ ٱلوعلِ ٱلذي مرَّتْ ترجَمَتُهُ ، قدْ هدمَهُ وعمَّرَهُ ثانياً ووسَّعَهُ فقيلَ لهُ مسجدُ ٱلوعلِ علىٰ حذفِ مضاف أَي مسجدُ صاحبِ ٱلوعلِ ، وقصَّةُ ٱلوعلِ معَ ٱلشَّيخِ عليٍّ ٱلمذكورِ مشهورةٌ[1] .

---

(١) تلقيبُهُ بمولىٰ ٱلوعلِ أَنَّهُ كانَ فقيراً مِنَ ٱلدُّنيا يؤثرُ ٱلزُّهدَ وٱلتَّقوىٰ وٱلعملَ بما يحبُّهُ ٱلمولىٰ ودخل شهرُ ذي ٱلحِجَّةِ سنةً مِنَ ٱلسِّنينَ وليسَ معهُ أُضحيةٌ يضحّي بِها وهوَ إِذْ ذاكَ متولّي ٱلخطابةِ بـ(تريم) فلمَّا كانَ يومُ ٱلنَّحرِ قامَ ليخرُجَ إلىٰ ٱلجبَّانةِ يخطبُ خطبةَ ٱلعيدِ فقالتْ لهُ زوجتُهُ : تريدُ ٱلخروجَ إلىٰ ٱلجبَّانةِ وليسَ لعيالِكَ أُضحيةٌ أنظرْ لهمْ مِنْ أُضحيةٍ يضحُّونَ بها معَ ٱلناسِ وٱلحَّتْ عليهِ في ذلكَ فقالَ ٱفتحُوا أَبوابَ دارِكُمْ ورزْقُكُمْ يأْتيكُمْ مِنَ اللهِ تعالىٰ ففتحُوا بابَ ٱلدَّارِ ، وخرجَ هوَ إلىٰ ٱلمصلَّىٰ وصلَّىٰ وخطبَ ورجعَ إلىٰ دارِهِ فلمَّا كانَ في ٱلدِّهليزِ قالَ : ناوِلوني ٱلسِّكينَ . فأُتيَ بِها ، وقالَ لخادِمِهِ : أُدْخُلْ هاتِ ٱلأُضحيةَ فدخلَ إلىٰ ٱلحوشِ فوجدَ فيهِ وَعلاً عظيماً قدْ ساقَهُ اللهُ وأَهداهُ للشَّيخِ لشدَّةِ صبرِهِ وتقشُّفِهِ ، فلمَّا رآهُ =

فكانَ يسمَّىٰ ذلكَ ٱلمسجدُ قديماً مسجدَ ٱلخَلِيفِ بفتحِ ٱلخاءِ ٱلمعجمةِ وكسرِ ٱللاَّمِ وسكونِ ٱلياءِ ٱلمثنَّاةِ ٱلتَّحتيَّةِ آخرهُ فاءٌ ، وهوَ أَوَّلُ مسجدٍ أُسِّسَ بذلكَ ٱلمكانِ ٱلمسمَّىٰ بذلكَ ٱلاسمِ .

كما يقولُ مؤلِّفُ « ٱلبردِ » لوقوعِهِ بينَ ٱلجبلِ ٱلغربيِّ وٱلأَكمةِ ٱلتي فوقَها (حسنُ ٱلرّنادِ) ٱلذي يقالُ لهُ ٱلآنَ قصرُ ٱلشَّعبِ ، ويقالُ لهُ في ٱلعهدِٱلقديمِ ٱلمصنعةُ ، وكلُّ مكانٍ منخفضٍ بينَ شلأَّلينِ يقالُ له خَلِيفٌ ، كما في « ٱلبردِ ٱلنَّعيمِ » أَيضاً ، وٱلعوامُّ يحرِّفونَ ٱسمَ ذلكَ ٱلمكانِ فينطقونَ بهِ مصغَّراً ويُخفونَ ياءَهُ ويقولونَ كفُليسٍ تصغيرَ فَلْسٍ ، وٱلقياسُ في تصغيرِهِ فليِّس بتشديدِ ٱلياءِ .

وقدْ صُلِّيَتِ ٱلجمعةُ بذلكَ ٱلمسجدِ نحوَ ستَّةِ أَشهرٍ لما تعطَّلَتِ ٱلصَّلاةُ في ٱلجامعِ قديماً أَيَّامَ حربِ ٱلخوارجِ ، كما أَفادَ ذلكَ مؤلِّفُ « ٱلبردِ » ، وصُلِّيَتْ بهِ أَيضاً في ٱلوقتِ ٱلأَخيرِ عامَ(١٢٤١هـ) بسببِ ٱلفتنِ بينَ (ٱلطوائفِ)

= حمدَ اللهَ وذبحَهُ وأَطعمَ أَهلَهُ وعيالَهُ وجيرانَهُ ، فلذلكَ سمِّيَ مولىٰ ٱلوغلِ .

اليافعيَّةِ ٱلتي ٱحتلتْ (تريمِ) وجعلتْها مُجَزَّأَةً ثلاثةَ أجزاءٍ كُلُّ جزءٍ يحكمُهُ فريقٌ منهم ، وجعلَ كُلُّ فريقٍ منهمْ يصبُّ جامَ غضبِهِ علىٰ رَعايا ٱلآخرِ ، إذا أرادَ ٱلانتقامَ منهُ ، وتعذَّرَ مِنْ جرَّاءِ ذلكَ ٱلاجتماعُ بصلاةِ ٱلجمعةِ في ٱلجامعِ فجعلَ رَعايا كلِّ فريقٍ يصلُّونها في موضعِ سلطنةِ ذلكَ ٱلفريقِ ، فكانَ سكَّانُ ٱلخَليفِ ٱلذينَ هُمْ رَعايا آلِ همامٍ صارُوا يصلُّونَها بذلكَ ٱلمسجِدِ أعني مسجدَ ٱلوعلِ ، وسكَّانُ ٱلحوطةِ (ٱلسُّوقِ) ٱلذين هُمْ رَعايا آلِ غرامةَ يصلُّونها كعادَتِهِمْ في ٱلجامعِ ، وسكَّانُ حارةِ ٱلنُّويدرةِ ٱلذين هُمْ رَعايا ٱبن عبدِ ٱلقادرِ يصلُّونَها في مسجدِ ٱلزَّاهرِ .

أمَّا ٱنتقالُ صلاةِ ٱلجمعةِ في ٱلوقتِ ٱلأخير هـٰذا إلىٰ مسجدِ ٱلمحضارِ لمدَّةِ سنةٍ تقريباً إنَّما هوَ لهدمِ ٱلجامعِ وعمارتِهِ مِنْ جديدٍ ، فلمَّا كملتْ عمارَتُهُ عادتِ ٱلجمعةُ إليه ، نعمْ في ٱلوقتِ منذُ ثلاثِ سنينَ أو أربعٍ جُزِّئَتْ صلاتُها بـ(تريمِ) إلىٰ جزأينِ لكثرةِ ٱلناسِ وضيقِ ٱلجامعِ وبُعْدِ ٱلطريقِ بسببِ ٱتِّساعِ ٱلبلدةِ مِنْ جميعِ أطرافِها ، فصارَ بعضُ ٱلمواطنينَ يصلُّونَها في ٱلجامعِ ، وٱلبعضُ ٱلآخرُ يصلُّونَها

في مسجدِ ٱلزَّهرةِ ٱلواقعِ بحارةِ ٱلنويدرةِ[1] .

وأَظنُّ أَنَّ مِنْ أَوَّليَّاتِ ٱلمشايخِ آلِ ٱلخطيبِ ومحدَثاتِهِمْ بـ(تريمِ) بنايةَ ٱلشَّيخِ أَحمدَ ٱلتَّابعيِّ لمسجدِهِ ٱلمسمَّىٰ ٱلآنَ بمسجدِ ٱلوعلِ ، فٱلذي أَعتقدُهُ وليسَ يقيناً أَنَّهُ أَوَّلُ مسجدٍ أُسِّسَ بـ(تريمِ) ، إِنْ لمْ يكنْ أُسِّسَ قبلَهُ مسجدُ نُفيعٍ بناءً علىٰ أَنَّ نفيعاً هٰذا هوَ ٱلصَّحابيُّ ٱلجليلُ نفيعُ بنُ ٱلحارثِ بنِ كِلدَةَ ٱلذي يقالُ لأَبيهِ ٱلحارثِ طبيبُ ٱلعربِ ، إِذْ لمْ يُعرفْ أَنَّ بـ(تريمِ) مسجدٌ أُسِّسَ قبلَ هٰذينِ ٱلمسجدينِ ، كما لمْ يُعرفِ ٱلمسجدُ ٱلذي تُصلَّىٰ فيهِ ٱلجمعةُ قبلَ بنايةِ ٱلجامعِ فَلْيجرِ ٱلتَّحقيقُ في ذلكَ .

ومِنْ أَوَّليَّاتِ آلِ ٱلخطيبِ ومُحدَثاتِهِمْ بـ(تريمِ) ما رتَّبَهُ ٱلشَّيخُ إِبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ أَبي ٱلمكارمِ محمَّدٍ ٱلخطيبِ بعدَ ختمِ ٱلقرآنِ قراءةَ ٱلفاتحةِ ، وأَوَّلِ ٱلبقرةِ إِلىٰ ٱلمفلحونَ ، ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، وآيةَ ٱلكرسيِّ ثمَّ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن

---

(١) والآنَ تُقامُ في (تريمِ) ثمانِ جُمَعٍ نظراً لاتِّساعِ البلادِ .

بِمَا يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٨٤]
إلىٰ آخرِ ٱلسُّورةِ ، كما هوَ ٱلعملُ عليهِ الآنَ ، وأنَّهُ هوَ ٱلذي أنشأ ٱلخطبةَ ٱلمسمَّاةَ خطبةَ ٱلتَّوحيدِ ٱلتي تُقرأ في مساجدِ (تريم) في شهرِ رمضانَ ليالِيَ ٱلختومِ في ٱلمساجدِ عقبَ صلاةِ ٱلتَّراويحِ وٱلوترِ .

وأنَّ أوَّل مَنِ ٱقتعدَ منبرَ خطبةِ ٱلجمعةِ بـ(تريم) مِنْ آلِ ٱلخطيبِ هوَ جدُّهُمُ ٱلذي هوَ أوَّلُ مَنْ أُطلِقَ عليهِ ٱسمُ ٱلخطيبِ ، وهوَ ٱلشَّيخُ أبو ٱلمكارمِ محمَّدُ بنُ سليمانَ بنِ أحمدَ ٱلتَّابعيّ بنِ عبَّادِ بنِ بشرٍ ٱلأنصاريِّ ٱلأوسيِّ ٱلأشهليِّ ، قالَ مؤلِّفُ « ٱلبردِ » ، وكانَ تولِّيهِ ٱلخطبةَ بـ(تريم) مِنْ قِبلِ ٱلدَّولةِ ٱلغسَّانيَّةِ قالَ : ولعلَّ ذلكَ في حدودِ ٱلمئتينِ أوْ أوَّلَ ٱلثلاث مئةٍ مِنَ ٱلهجرةِ ٱلنَّبويَّةِ تقريباً ولمْ تزلْ في عقبهِ إلىٰ الآنَ .

وقدْ ذكرْنا طرفاً مِنْ مناقبِ ٱلشَّيخِ أحمدَ ٱلبكريِّ ٱلخطيبِ وٱبنِهِ ٱلشَّيخِ أبي بكرٍ بمناسبةِ أنَّهما قد درَّسَا في زاويةِ نُفيعٍ بـ(تريم) بحارةِ ٱلخُليف .

ثمَّ ٱستطردْنا لِهٰذهِ ٱلمناسبةِ بذكرِ كلمةِ (ٱلخطيبِ)

وتحقيقَ معناهَا مِنْ أنَّها تُستعملُ وصفاً لمنْ كانَ يباشِرُ الخطابةَ بنفسِهِ في الجمعةِ والعيدِ والاستسقاء ، وَالحفلاتِ ونحوِها ، وتُستعملُ لقباً لِمَنْ لا يباشِرُ الخطابةَ بلْ تبرُّكاً وتيمُّناً بمنْ كانَ مِنْ آبائِهِ خطيبٌ أَو لكونِهِ مِنَ القبيلةِ التي يقالُ لها آلُ الخطيبِ ، لِمَنْ لمْ يباشرِ الخطابةَ أَصلاً بلْ لكونِ أَحدِ آبائِهِ كانَ خطيباً كما نقولُ عاشورُ القاضِي مثلاً ، أَوْ أَحمدُ القاضِي للشَّخصينِ المعروفينِ لكمْ ، فكلمةُ القاضِي لهمَا لَقَبٌ ليسَ عنْ حقيقةٍ لأَنَّهما لمْ يَليا القضاءَ مباشرةً ، بلْ لكونِ جدِّهِمْ عبدِ الرَّحمٰنِ كانَ قاضياً ، فالوَصفُ إِذاً أَبلغُ مِنَ اللَّقبِ ، لأَنَّهُ جارٍ عَنْ حقيقةٍ بخلافِ اللَّقبِ فإِنَّهُ مَجازٌ ، وقدْ نبَّهْنَا بعضَ الإخوانِ حيثُ جعلَ كلمةَ (الوَرِعِ) التي معناها المتَّصِفُ بالوَرِعِ ، وهُوَ المتحرِّي في مأكلِهِ ومشروبِهِ وملبسِهِ ومنكحِهِ لا يأْتي مِنْ ذلكَ إِنَّما يقطعُ أَو يغلبُ علىٰ ظنِّهِ أَنَّهُ حلالٌ ، أَنَّ هٰذا الأَخَ حماهُ اللهُ ورعاهُ جعلَ لِهٰذهِ الكلمةِ لقباً في حقِّ بعضِ آبائِنا الأَقدمينَ ، الَّذينَ هُمْ متحلُّونَ بحقيقَتِها كالإمامِ أَبي بكرٍ الوَرِعِ بنِ أَحمدَ بنِ الفقيهِ ، المقدَّمِ ، وكالإمامِ حسنٍ الوَرِعِ بنِ عليٍّ بنِ محمَّدٍ مولىٰ الدَّويلةِ وغيرِهما ممَّنْ هوَ

متحلٌ بالوَرَعِ حقيقةً لا مجازاً ، فكانَ مِنْ حقِّهِ أَنْ يقولَ مثلاً أَبو بكرٍ المتَّصفُ بالوَرَعِ لا الملقَّبُ بالوَرِعِ ، لِما قُلنا آنفاً مِنْ أَنَّ الصِّفةَ لا تُقالُ إِلاَّ لمنْ تحقَّقتْ فيهِ ، بخلافِ اللَّقبِ فإِنَّهُ يُقالُ غالباً لمنْ لمْ يكنْ متلبِّساً بهِ ، فيقالُ فلانٌ الحدَّادُ لمنْ ليسَ بحدَّادٍ وفلانٌ البارُّ وهوَ عاقٌّ وفلانٌ العطَّاسُ لمنْ لمْ يكنْ كثيرَ العطْسِ ونحوُ ذلكَ . . وبمناسبةِ ذكرِ الخطيبِ ، وآلِ الخطيبِ نُلحقُ بذكرِ مَنْ ذكرنَاهُمْ قبلُ ، بذكرِ شيءٍ مِنْ مناقبِ ثلاثةِ أَفذاذٍ منهمْ وهوَ الشَّيخُ الإِمامُ محمَّدُ بنُ عليٍّ الخطيبُ صاحبُ بيرِ الإِبلِ ومؤلِّفُ « الجوهَرِ الشَّفَّافِ » ومؤلِّفُ « البردِ النَّعيمِ » وغيرُ هٰؤُلاءِ مِنْ أَفذاذِ آلِ الخطيبِ كثيرٌ وكثيرٌ ولٰكِنَّا هُنا نقتصرُ على هٰؤلاءِ الثَّلاثَةِ خوفَ الإِطالةِ بذكرِهِمْ ونحيلُ القارئَ بالاطِّلاعِ على مناقبِهِمُ الجليلةِ على « الجوهَرِ » و« البردِ النَّعيمِ » ، وسأَذكرُ أَنا البعضَ منهمْ فيما يأْتي مِنَ الدُّروسِ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

أَمَّا آباؤُهُمُ الأَقدمونَ كالشَّيخِ أَبي المكارمِ محمَّدِ بنِ سليمانَ بنِ أَحمدَ التَّابعيِّ بنِ عبَّادِ بنِ بشرٍ الأَنصاريِّ الذي تربَّعَ منبرَ الخطابةِ منهمْ أَوَّلاً بـ(تريمِ) ، وكالشَّيخِ

ٱلأَنصاريِّ الإمامِ عبَّادِ بنِ بشرٍ الأَنصاريِّ ٱلذي ٱنتقلَ بهِمْ وهُمْ في صلبِهِ مِنَ ٱلمدينةِ ٱلمنوَّرَةِ إِلىٰ (حضرموتَ) ، وكالشَّيخِ الإمامِ عليِّ بنِ محمَّدٍ صاحبِ الوعلِ ذي ٱلمناقبِ ٱلفاخرةِ وٱلأَيادي ٱلظاهرةِ ٱلذي جدَّدَ مسجدَ جدِّهُ الإمامِ أَحمدَ بنِ عَبَّادِ بنِ بشرٍ الأَنصاريِّ ، وكانتْ لهُ ٱلكراماتُ ٱلباهرةُ كقضيَّةِ ٱلوعلِ ٱلذي ضحَّىٰ بهِ وقضيَّةٍ معَ مسعودِ بنِ يماني ، إِلىٰ غيرِ ذلكَ ممَّا لهُ منَ ٱلخوارِقِ ، فإِنَّ هٰؤلاءِ ٱلثَّلاثةَ قدْ سبقَ ذكرُهُمْ وذكر شيءٍ مِنْ مناقبِهِمْ ، فيما مرَّ وقبلَ أَنْ نبدأَ بذكرِ أُولٰئِكَ ٱلثَّلاثةِ ٱلأُوَلِ ٱلذين في مقدِّمَتِهِمْ صاحبُ بيرِ ٱلإبلِ ، فإِنَّنا لا نَنسىٰ أَخا ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ أَحمدَ ٱلخطيبِ ٱلبكرِي ٱلذي مرَّ ذكرُهُ وهوَ : ٱلشَّيخُ عبد ٱلله بنُ أَحمدَ ٱلبكريُّ ٱلخطيبُ ، فإِنَّ هٰذا ٱلشَّيخَ جهبذٌ عظيمٌ وأَوَّابٌ منيبٌ ، عالمٌ عاملٌ ، فقيهٌ صوفيٌّ ذو سريرةٍ طيِّبةٍ وأَخلاقٍ فاضلةٍ ، حافظٌ ٱلكتابَ ، يمرُّ بتلاوتِهِ في ٱلسُّرعةِ مرورَ ٱلبرقِ ، لا يتلكَّأُ في قراءَتِهِ ولا يغلَطُ وقدْ عميَ في آخرِ وقتِهِ ، ولٰكنَّهُ لمْ يعمَ قلبُهُ ، توفِّيَ بـ(تريمَ) وكانتْ وفاتُهُ سنةَ(١٣٥٤ هـ) .

وكانَ قدْ تلقَّىٰ ، وأَخذَ ٱلعلمَ عَنْ والدِهِ وأَخيهِ وغيرِهِما

مِنْ علماءِ وقتِهِ ، وفضلاءِ دهرِهِ بـ(تريمِ) ، وغيرِها ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ وبلَّ ثراهُ .

أمَّا ٱلشَّيخُ ٱلخطيبُ ٱلمعرَّفُ صاحبُ بيرِ ٱلإبلِ فهوَ الإمامُ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ ٱلمعروفُ بصاحبِ ٱلوعلِ بنِ محمَّدٍ وهوَ ٱلجدُّ ٱلجامعُ لجميعِ أفرادِ آلِ ٱلخطيبِ ٱلموجودينَ ٱلآنَ قاطبةً كما في « ٱلبردِ ٱلنَّعيم » ، وبيرُ ٱلإبلِ أرضٌ بسفحِ شِعبِ كتبة بـ(تريمِ) ، غرسَها ٱلشَّيخُ عليٌّ هٰذا نخلاً وسقاهُ مِنْ بيرٍ تسمَّىٰ بِهٰذا ٱلاسمِ ، ثمَّ وقف ذلكَ ٱلنَّخلَ وتلكَ ٱلأرضَ وعقاراتٍ أُخرىٰ نصفاً منها علىٰ مسجدِهِمْ ٱلشَّهيرِ ٱلآنِ بمسجدِ ٱلوعلِ ونصفاً علىٰ منبرِ جامعِ (تريمِ) ، للأسنِّ ٱلمتأهِّلِ مِنْ ذرِّيتِهِ كما في ٱلرِّسالةِ ٱلتي ألَّفها ٱلشَّيخُ العلاَّمَةُ ٱلفقيهُ ٱلصُّوفيُّ أبو بكرِ بنُ أحمدَ ٱلخطيبُ ٱلبكريُّ ، ٱلمتوفَّىٰ سنةَ(١٣٥٦هـ) في تراجمِ مَنْ تولَّىٰ ٱلخطابةَ ٱلجُمَعيَّةَ بـ(تريمِ) مِنْ قبيلةِ آلِ ٱلخطيبِ .

وقدْ سمعتُ مِنْ كلامِ سيِّدِنا ٱلإمامِ ٱلعارفِ باللهِ تعالىٰ علويِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عَيدروسَ بنِ شهابِ ٱلدِّينِ بَا علويٍّ ، أنَّ كثيراً مِنَ ٱلسَّلفِ ٱلصَّالحِ يجيئُونَ في شهرِ رمضانَ ٱلمعظَّمِ للفطرِ بذلكَ ٱلمسجدِ طلباً لأنْ يكونَ فطرُهُمْ بتمرِ

حلالٍ ، وذلكَ لأنَّ تمرَ ٱلإفطارِ فيهِ يُؤتىٰ بهِ مِنْ ثمرِ ذلكَ ٱلنَّخلِ ٱلذي غرسَهُ ذلكَ ٱلشَّيخُ بنفسِهِ في أرضِ تلكَ ٱلبيرِ ، ولا يزالُ بعضُ فروعِ ذلكَ ٱلنَّخلِ موجودةً إلىٰ ٱلآنَ ، ويقالُ إنَّ أكثرَ ثمرِ ذلكَ ٱلنَّخلِ مِنَ ٱلنَّوعِ ٱلمسمَّىٰ ٱلمديني .

وكانَ ٱلشَّيخُ عليٌّ ٱلمذكورُ مِنْ أجلاَّءِ ٱلعارفينَ وٱلصَّفوةِ ٱلمقربينَ وكانتْ عباداتُهُ ومعاملاتُهُ معَ ربِّهِ سرّاً لا يحبُّ إظهارَ شيءٍ منها ، وكانَ قليلَ ٱلغضبِ إذا غضبَ لا يزيدُ علىٰ قولِهِ (سبحانَ ٱللهِ) يكرِّرُ ذلكَ ، ولا تجمحُ بهِ نفسُهُ إلىٰ سِواهُ ، وكانَ سخيّاً كريماً يحبُّ قِراءَ ٱلضَّيفِ ولا يأكلُ كُلَّ يومٍ غالباً إلاَّ معَ ضيفٍ ، وإذا لمْ يأتِهِ ضيفٌ بقيَ باهتاً يمشي يميناً وشمالاً حتَّىٰ يجدَ مَنْ يأكلُ معهُ ، وكانتْ بينَهُ وبينَ ٱلشَّيخِ ٱلوليِّ ٱلصَّالحِ فضلِ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ بافضلَ صاحبِ مسجدِ ٱلرَّضيمةِ بـ(تريمِ) صحبةٌ أكيدةٌ ومحبةٌ شديدةٌ .

وكانَ ممَّا يُحكىٰ عنهُما كما هوَ في ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ وغيرِهِ أنَّهما كثيراً ما يتَّفقانِ في ٱلطَّريقِ بعدَ صلاةِ ٱلعشاءِ عندَ ذهابِ كلٍّ منهما إلىٰ دارِهِ فيقفانِ في محلِّهما يتذاكرانِ في أُمورِ ٱلآخرة وٱلزُّهدِ في ٱلدُّنيا وسِيَرِ ٱلسَّلفِ ٱلصَّالحِ ،

حتَّىٰ يدخلَ وقتُ تهجُّدِهما وهما واقفانِ فينصرفُ كُلٌّ منهما إلىٰ مسجدِهِ قبلَ أَنْ يذهبَ إلىٰ دارِهِ فيأخذَ راحتَهُ فيهِ .

وقدْ ترجمَ للشَّيخِ عليٍّ هٰذا ، ٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ أَحمدَ ٱلخطيبُ في رسالتِهِ ٱلآنفةِ ٱلذِّكرِ وكانَ مِنْ جملةِ ما قالَهُ فيها في حقِّهِ ؛ أَنَّهُ كانَ مِنْ كبارِ ٱلأَئِمَّةِ ٱلعارفينَ ، وٱلفقهاءِ ٱلمدقِّقينَ ، جبلٌ مِنْ جبالِ ٱلعلمِ وطودٌ مِنْ أَطوادِ ٱلحلمِ أَعمالُهُ سرِّيَةٌ وسيرتُهُ وأَخلاقُهُ مرضيَّةٌ ٱلغالبُ عليهِ عدمُ ٱلتَّظاهرِ بالكراماتِ وإِنْ كانتْ تظهرُ عليهِ في بعضِ ٱلأَوقاتِ .

ولذلكَ كانَ ٱلشَّيخُ عبدُ اللهِ باعلويٌّ يقولُ عليُّ بنُ محمَّدٍ ٱلخطيبُ مستورٌ في ٱلدُّنيا مشهورٌ في ٱلآخرةِ ، ولمَّا كثرتْ كراماتُ ٱبنِهِ ٱلشَّيخِ أَحمدَ بنِ عليٍّ وٱشتهرَتْ عنهُ وشاعَ ذكرُهُ وٱنتشرتْ في ٱلنَّاسِ بركاتُهُ وٱستجيبَتْ دعواتُهُ ، كانَ ٱلشَّيخُ عبدُ اللهِ با علويٌّ يقولُ : لا تظنُّونَ أَنَّ ٱلشَّيخَ أَحمدَ أَفضلُ مِنْ أَبيهِ فإِنَّ أَباهُ أَفضلُ منهُ .

وكانتْ دارُ ٱلشَّيخِ عليٍّ ٱلمذكورِ واقعةً شرقيَّ مسجدِ ٱلوعلِ كما يقولُ مؤلِّفُ « ٱلبردِ ٱلنَّعيمِ » وإِنَّ وفاتَهُ كانتْ

بمدينةِ (تريم) سنةَ(٧٠٣هـ) ومدفنُهُ بمقبرِ ٱلفريطِ ، وكذلكَ ٱبنُهُ ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ عليٍّ فإِنَّهُ ماتَ بـ(تريم) سنةَ(٧٠٨هـ) ودفنَ بمقبرةِ ٱلفريطِ أَيضاً ، وأَمَّا والدُ ٱلشَّيخِ عليٍّ ٱلمذكورِ وهوَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ ٱلشَّيخِ عليٍّ صاحبِ ٱلوعلِ ، فليستْ وفاتُهُ بـ(تريمِ) وإِنَّما كانَتْ وفاتُهُ هوَ وأَخوهُ يحيىٰ بنُ عليٍّ بـ(بندرِ ٱلشَّحرِ) ، وقبراهُما عندَ رأَسِ قبرِ ٱلشَّيخِ سعدِ بنِ عليٍّ ٱلظَّفاريِّ . وٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عليٍّ هٰذا خطبَ علىٰ منبرِ جامعِ (تريم) خطبةَ ٱلجمعةِ وهوَ ٱبنُ سبعٍ أَو تسعِ سنينَ كما في « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » و« ٱلبردِ ٱلنَّعيمِ » ، ولعلَّ ٱلحاملَ لهُ علىٰ ذلكَ أَنَّهُ لمَّا ماتَ والدُهُ ٱلشَّيخُ عليٌّ صاحبُ ٱلوعلِ ولمْ يكنْ بـ(تريم) مِنْ آلِ ٱلخطيبِ غيرُهُ وغيرُ أَخويهِ يحيىٰ وعبدِ ٱللهِ ٱللذينِ هما أَصغرُ منهُ سنّاً وخافَ أَنْ يَرتقي ٱلمنبرَ غيرُهُ ممَّنْ كانَ يزاحمُ أَهلَهُ عليهِ .

ويدلُّ لذلكَ ما ذكرهُ مؤلِّفُ « ٱلغررِ » عنِ ٱلشَّيخِ ٱلقطبِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ با علويٍّ مِنْ أَنَّ ٱلشَّيخَ محمَّداً مرضَ مرضاً لا يمكنُهُ معه أَنْ يخطبَ ويصلِّيَ بالنَّاسِ ٱلجمعةَ ، فقامَ مقامَهُ ٱبنُ أُختِهِ ٱلفقيهُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ

علويّ بنِ محمَّدٍ صاحبُ مرباطِ با علويٍّ ، لمَّا علم أَنَّ بعضَ ٱلمزاحمينَ يريدُ أَنْ يخطبَ للناسِ ويُصلّيَ بهمْ وعندَ ذلكَ ، أَيسَ أُولـٰئكَ ٱلمزاحمونَ وٱستأصلَتْهُمْ يدُ ٱلقدرةِ وٱنتقلَ مَنْ بقيَ منهمْ عَنِ ٱلبلدِ وكَلُّوا عَنْ آخرِهِمْ .

وأَفادَ مؤلِّفُ « ٱلجوهرِ » أَنَّ ٱلشَّيخَ محمَّداً ٱلمذكورَ لمَّا ٱرتقىٰ ٱلمنبرَ لأَوَّلِ مرَّةٍ وهوَ صغيرٌ ٱرتقىٰ معهُ ٱبنُ أُختِهِ ٱلإِمامُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمذكورُ وأَرادَ أَنْ يقومَ عندَهُ ليعلِّمَهُ كيفيَّةَ ٱلخطابةِ وكيفيَّةَ إِلقائِها وليردَّ عليهِ إِذا غلطَ لأَنَّهُ لا دربةَ لهُ إِذْ ذاكَ علىٰ قراءَةِ ٱلخطبةِ ولا علىٰ كيفيَّةِ إِلقائِها ، ثمَّ إِنَّهُ ما لبثَ عندهُ غيرَ لحظةٍ ونزلَ فقيلَ لهُ في ذلكَ فقالَ : إِنِّي رأَيتُ أَباهُ عنْ يمينِهِ وجدَّهُ عنْ يسارِهِ يدرِّبانِهِ وقدْ أَجادَ في إِلقاءِ ٱلخطبةِ حتَّىٰ كأَنَّها لمْ تكنْ أَوَّلَ خطبةٍ خطبَها . وقالَ ٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ أَحمدَ ٱلخطيبُ في رسالتِهِ ٱلآنفةِ ٱلذِّكرِ بعدَ أَنْ ذكرَ هـٰذهِ ٱلقصَّةَ : فٱنظرْ هـٰذهِ ٱلقصَّةَ ٱلعظيمةَ ٱلجاريةَ بِهـٰذهِ ٱلبلادِ ٱلفخيمةِ ، وتولِّي هـٰذا ٱلولدِ ٱلصغيرِ هـٰذهِ ٱلوظيفةَ ٱلمنيفةَ ، ورِضىٰ مَنْ بتلكَ ٱلبلدةِ مِنَ ٱلأَئمَّةِ ٱلأَقطابِ وٱلسَّادةِ ٱلأَوتادِ مِنَ ٱلسَّادةِ ٱلأَشرافِ مِنْ بني علويٍّ ، وإِقامتَهُمْ هـٰذا ٱلولدَ وهوَ في هـٰذا ٱلسِّنِ خطيباً

وواعظاً ، وكانَ فيهمْ مثلَ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ٱلذي قيلَ في ترجمتِهِ : إنَّ مَثلَهُ في ٱلأَولياءِ كمَثَلِ جدِّهِ محمَّدٍ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ٱلأَنبياءِ .

تعلمُ مِنْ ذلكَ تأَصُّلَ آلِ ٱلخطيبِ في تلكَ ٱلوظيفةِ وٱختصاصَهُمْ وتلقِّيهمْ لها أَباً عَنْ جَدٍّ إِلىٰ زمنِنا هٰذا ولو لمْ يكُنْ لآلِ ٱلخطيبِ منقبةٌ إِلاَّ تَوْلِيةَ خطابةَ (تريمِ) لهٰذا ٱلولدِ وهوَ ٱبنُ سبعٍ أَو تسعِ سنينَ معَ حضورِ ٱلعارفينَ وٱلشيوخِ ٱلمفخَّمينَ . . لكفَاهُمْ ذلكَ فخراً وشرفاً ، كيفَ لا وقد كانَ إِماماً عالماً ، بارعاً ناسكاً عابداً ، لهُ كراماتٌ خارقةٌ ، وكشوفاتٌ صادقةٌ ، وكشفٌ جليٌّ ، وفتحٌ عليٌّ ، تحلَّىٰ بالمعارفِ وٱلعلومِ ، وحازَ ٱلمنطوقِ وٱلمفهومِ ، إِلىٰ آخرِ ما قالَ ـ رضي الله عنهُ وأَرضاهُ ـ وجعلَ ٱلجنَّةَ منقلبَهُ ومثواهُ . آمينَ .

وأَمَّا مُؤَلِّفُ « ٱلجوهَرِ ٱلشَّفَّافِ » هوَ أَحدُ أَفرادِ قبيلةِ آلِ ٱلخطيبِ ٱلآنفةِ ٱلذِّكرِ ، وٱسمُهُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ ٱلشَّيخِ عليٍّ ٱلخطيبِ صاحبِ بيرِ ٱلإِبلِ ، بنِ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ ٱلشَّيخِ عليٍّ صاحبِ ٱلوعلِ ، وكتابُهُ « ٱلجوهرُ » ٱلَّفَهُ في مناقبِ ٱلأَشرافِ وغيرِهِمْ مِنَ

أَهلِ (تريمِ) خاصَّةً إلاَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱلرَّحمنِ باجلحبانَ فقط ، فقدْ ذكرَهُ وترجَمَ لهُ وهوَ مِنْ غيرِ أَهلِ (تريمِ) بلْ مِنْ نواحِيها علىٰ نحوِ ميلينِ منها ، ولهُ كتابٌ آخرُ في مناقبِ ٱلإمامِ عبدِ اللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلعَيدروسِ سمَّاهُ « عِقدُ ٱلبراهينِ المشرق » ، وكانَ ميلادُهُ بـ(تريمِ) في أجواءِ سنةِ(٧٩٥هـ) كما في تاريخِ ٱلشُّعراءِ ٱلحضرميِّينَ ، وهوَ أَحدُ فُقهاءِ (تريم) وصوفيَّتِها ، وعظيمٌ مِنْ عظماءِ ٱلمشايخِ ٱلخطباءِ ، بيتُ ٱلفضلِ وٱلعلمِ ، وعلاَّمةٌ مِنْ كبارِ علمائِهِمْ ووجيهٌ مِنْ وجهائِهِمْ ٱلبارزينَ ، وقدْ سلكَ في حياتِهِ ٱلدِّينيَّةِ وسلوكِهِ ٱلصُّوفيِّ إلىٰ ٱللهِ ، في ضوءِ ٱلطَّريقةِ ٱلعلويَّةِ متغذِّياً بمواهبِ ٱلسَّادةِ آلِ أَبي علويٍّ ، كارعاً مِنْ مناهِلِهِمُ ٱلعذبةِ ولهُ فيهمُ ٱلمراثي وٱلمدائِحُ ٱلشِّعريَّةُ ٱلتي تنمُّ عَنْ كمالِ ٱنطوائِهِ فيهمْ ، وتهتُّكِهِ في محبَّتِهِمْ ، وٱفتخارِهِ بالأَخذِ عنهمْ ، لاسيَّما أَخذُهُ عَنْ سيِّدِنا الإمامِ ٱلقطبِ عبدِ ٱلرَّحمنِ ٱلسَّقَّافِ بنِ محمَّدٍ مولىٰ (ٱلدَّويلةِ) ، فإِنَّهُ يفخرُ بهِ كثيراً ويعدُّهُ مِنْ أَكبرِ ما تفضَّلَ اللهُ بهِ عليهِ لعُظْمِ ما مَنَحَهُ اللهُ علىٰ يديهِ مِنَ ٱلعلومِ وٱلمعارفِ ، حتَّىٰ صارَ ببركتِهِ كهفاً للآئِذينَ ، ومَوْرِداً عذباً لورَّادِ ٱلعلمِ وٱلتَّصوُّفِ مِنْ آلِ أَبي

علويٌّ وغيرِهِمْ ، ومضتْ حياتُهُ علىٰ ٱلعبادةِ وٱلاستقامةِ ونشرِ ٱلعلمِ وهديِ ٱلعبادِ إِلىٰ أَنْ وافتْهُ ٱلمنيَّةُ وهوَ بـ(تريمٍ) سنةَ(٨٥٥هـ) ، ودفنَ بمقبرةِ ٱلفريطِ بالقربِ مِنْ قبرَيْ والدِهِ ٱلشَّيخِ محمَّدٍ سنةَ(٨٠٣هـ) وجدِّهِ ٱلشَّيخِ عبدِ الرَّحمٰنِ ٱلمتوفَّىٰ قريباً سنةَ(٧٣٥هـ) . ولهُ فروعٌ وذرِّيَّةٌ بـ(تريمٍ) وغيرِها مشهورونَ بالتَّواضعِ وٱلصَّلاحِ ، وقد سلسلَ أَنسابَهُمْ وأَنسابَ بني أَعمامِهِمْ وترجمَ لبعضِ مشاهيرِهِمُ ٱلشَّيخُ ٱلعلاَّمةُ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سليمانَ ٱلخطيبُ في كتابِهِ « ٱلبردِ ٱلنَّعيمِ » ٱلذي فرغَ مِنْ تأليفِهِ عامَ (١٠٢٥هـ) . وأَنهىٰ أَنسابَهُمْ إِلىٰ أَبي ٱلمجدِ ٱلشَّيخِ أَحمدَ ٱلتَّابعيِّ ٱبنِ الإِمامِ ٱلصَّحابيِّ عبَّادِ بنِ بشرٍ ٱلأَنصاريِّ ٱلأَوسيِّ ٱلأَشهليِّ ٱلآنفِ ٱلذِّكرِ ، وصاحب «ٱلبردِ ٱلنَّعيمِ» لم يُعرف تاريخُ وفاتِهِ ، وإِنَّما كانت ولادتُهُ سنة (٩٥٦هـ) ، وعاش حتى سنة (١٠٢٥هـ) .

وأَمَّا نُفيعٌ ٱلذي هوَ مؤَسِّسُ ٱلمسجدِ وٱلزَّاويةِ ٱلتي بجانبِهِ وٱلتي نحنُ ٱلآنَ في ذكرِ ٱلتَّدريسِ بها وذكرِ مَنْ درَّسَ بها مِنْ أُولـٰئِكَ ٱلعلماءِ ٱلأَعلامِ ، فالَّذي تلقَّيناهُ عَنْ بعضِ مشايخِنا وشيوخِنا شَفَهِيّاً أَنَّهُ الإِمامُ ٱلصَّحابيُّ ٱلعظيمُ نفيعُ بنُ ٱلحارثِ بنِ كلدةَ ٱلذي يُقالُ لأَبيهِ ٱلحارثِ طبيبُ

ٱلعربِ ، كانَ مِنْ أكابرِ ٱلصَّحابةِ وكانَ لهُ أخوانِ يُكنَّىٰ أحدُهما أبا بكرةَ وهو رجلٌ معروفٌ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ٱلحاملينَ ٱلحديثَ عَنْ رسولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسببُ تكنيتِهِ بأبي بكرةَ أنَّهُ تدلَّىٰ ببكرةِ عجلةٍ كعجلةِ ٱلسَّناوةِ حينما حصِرَ في بعضِ ٱلحصونِ ، في قتالِ ٱلمرتدِّينَ ، بعدَ وفاةِ ٱلرَّسولِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في خلافةِ ٱلصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ لهما أخٌ ثالثٌ مِنْ أبيهِما غابَ عنِّي ٱلآنَ ٱسمُهُ .

كما أنَّ لهما أخاً رابعاً مشكوكاً فيهِ ، يُدعىٰ بزيادِ بنِ أبيهِ ، وإنَّما قيلَ لهُ هٰذا لأنَّ نسبتَهُ إلىٰ ٱلحارثِ بنِ كلدةَ ليستْ محقَّقةً لِمَا قيلَ مِنْ أنَّ أُمَّهُ ٱمرأةٌ لا أدري مِنْ أيِّ قبيلةٍ هيَ .

وكانَ أولاً ألحقَ نفسَهُ بالحارثِ بنِ كلدةَ فأنكرَهُ ، ثمَّ ٱدَّعاهُ أبو سفيانَ وقالَ : إنِّي وطِئتُ أُمَّهُ علىٰ طريقِ نكاحِ ٱلجاهليَّةِ قبلَ ٱلإسلامِ مِنْ أنْ يطأَها ٱلأربعةُ أوِ ٱلخمسةُ مِنَ ٱلرِّجالِ في وقتٍ واحدٍ ، ثمَّ إذا وضعتْ تدعُو أولـٰئِكَ ٱلرِّجالَ ، ولهمْ طريقتانِ بعدَ أنْ تجمَعَهُمْ .

إمَّا أنْ تُلحِقَ ذلكَ ٱلمولودَ بمَنْ شاءَتْهُ منهُمْ ، وإمَّا أنْ

يدعُوا ٱلقافةَ ليُلحِقوهُ بمَنْ يعرفونَهُ بعدَ ٱلفحصِ ، أَنَّهُ أقربُ بدمِهِ إِلىٰ أَحَدِهِمْ فيحكمونَ بهِ ، ولا عذرَ لذلكَ ٱلملحَقِ بهِ أَنْ يردَّ ٱلحكمَ فيهِ ، علىٰ كِلا ٱلطَّريقتينِ ، وكانَ زيادٌ هٰذا لمَّا أنكرَهُ ٱلحارثُ صارَ يُدعىٰ زيادُ بنُ أَبيهِ .

ثمَّ ٱدَّعاهُ أَبو سفيانَ بأَنَّهُ ولدُهُ وأَنَّهُ أَحدُ أُولٰئِكَ ٱلنَّفرِ ٱلذينَ وطِئُوا أُمَّهُ ، وصارَ يُدعىٰ قبلَ ٱلإِسلامِ بزيادِ بنِ أَبي سفيانَ .

فلمَّا جاءَ الإِسلامُ وأَسلمَ أَبو سفيانَ وكانَ الإِسلامُ لا يوافقُ علىٰ ٱلإِلحاقِ ، رجعَ إِلىٰ أَنْ يقالَ زيادُ بنُ أَبيهِ ، فلمَّا تولَّىٰ ٱلخلافَةَ معاويةُ ، وصارَ زيادٌ موالياً علىٰ قتالِ الإِمامِ عليٍّ بنِ أَبي طالب ، وحضرَ معهُ ٱلقتالَ ضدَّ الإِمامِ عليٍّ صارَ معاويةُ يدَّعيهِ أَخاهُ مِنْ أَبيهِ أَبي سفيانَ ، ثمَّ كانَ ٱبنُهُ عبيدُ الله بنُ زيادٍ ممَّنْ شارَكَ في قتلِ ٱلحسينِ سبطِ رسولِ الله صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ولهمْ طريقةٌ ثالثةٌ في نكاحِهِمْ ، وهيَ أَقبحُ ٱلطُّرقِ طريقَةُ ٱلبغايا ٱلمشتهرةِ بينَ ٱلرِّجالِ بالعلانيةِ ، يضعنَ ٱلرَّاياتِ علىٰ بيوتِهِنَّ إِعلاناً لمنْ أَرادَهُنَّ ، علىٰ أَنَّ ذلكَ لا يُعَدُّ عندَهُمْ أَنَّهُ زِنا لأَنَّهُ كانَ علناً أَمَّا ٱلزِّنا عندَهُمْ ما جرىٰ بغيرِ إِعلانٍ .

وأمَّا الطَّريقةُ الَّتي كانتْ تجري عليها أنكحةُ آباءِ النَّبيِّ محمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فهيَ تجري بوليٍّ وشاهدينِ وزوجٍ وزوجةٍ كما هيَ في الإسلامِ ، وهٰذهِ الطَّريقةُ هيَ رابعةُ الطُّرقِ الجاريةِ في الجاهليةِ .

وقدْ ذكرَ هٰذهِ الطُّرقَ الأربعَ الإمامُ العلاَّمةُ ، أحمدُ زَيني دَحلانُ في كتابِهِ « السِّيرةِ النَّبويَّةِ » .

ولعلَّ خروجَ الصَّحابيِّ نُفيعِ بنِ الحارثِ المذكورِ كانَ بمعيَّةِ مَنْ خرجَ مِنَ الصَّحابةِ لإنجاءِ زيادِ بنِ لَبيدٍ الأنصاريِّ ، ومساعدتِهِ علىٰ قتالِ أهلِ الرِّدَّةِ بـ(حضرموتَ) ، ولا يُنافي هٰذا أنَّ نُفيعاً هٰذا كانَ موجوداً بالمدينةِ المنوَّرةِ في خلافَةِ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ ، لأنَّا نقولُ : لعلَّهُ خرجَ إلىٰ (حضرموتَ) لذلكَ معَ مَنْ خرجَ .

ولمَّا وضعتِ الحربُ أوزارَها رجعَ إلىٰ المدينةِ بعدَ أنِ اختطَّ مسجدَهُ وبناهُ بـ(تريمِ) ، ومِنَ المعلومِ لديكُمْ أنَّ الإسلامَ دخلَ إلىٰ (حضرموتَ) في حياةِ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعدَ أنْ وردتْ إليهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

وفودُ (حضرموتَ) وأَسلموا مثلَ وائِلِ بنِ حُجْرٍ ومَنْ معهُ وطلبُوا منهُ عليهِ ٱلصَّلاةُ والسَّلامُ أَنْ يبعثَ إِليهمْ مَنْ يعلِّمُهُمْ قواعدَ ٱلإِسلامِ فأَرسلَ علىٰ ٱليمنِ معاويةَ ٱبنَ أَبي سفيانَ في جهةٍ وٱلإِمامَ عليَّ ٱبنَ أَبي طالبٍ إِلىٰ جهةٍ أُخرىٰ منهُ ، وأَرسلَ إِلىٰ (حضرموتَ) زيادَ بنَ لبيدٍ ٱلأَنصاريَّ ٱلبياضيَّ ، وكانَ دخولُ ٱلإِسلامِ بـ(حضرموتَ) ، وكندةُ إِذْ ذاكَ لها ٱلحولُ وٱلطَّولُ بها ، ونزلَ زيادُ بنُ لبيدٍ ٱلمذكورُ بـ(تريمٍ) ونشرَ ٱلإِسلامَ فيها وفي ضَواحِيها .

ثمَّ لمَّا جاءَ إِليهِ خبرُ وفاةِ رسولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خطبَ فيهمْ خطبةً أَعلمَهُمْ بوفاةِ رسولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . وكانتْ خطبتُهُ طبقَ خُطبةِ سيِّدنا أَبي بكرٍ ٱلصِّدِّيقِ : مَنْ كانَ يعبدُ محمَّداً فإِنَّ محمَّداً قدْ ماتَ ، ومَنْ كانَ يعبدُ اللهَ فإِنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ إِلىٰ آخرِها ، وطلبَ منهمُ ٱلبيعةَ لسيِّدنا أَبي بكرٍ ٱلصِّدِّيقِ فبايَعَهُ أَهلُ (تريمٍ) ، أَمَّا مَنْ كانَ خارجَها فبعَضُهُمْ بايعَ وبعضُهُمْ ٱرتدُّوا ومنَعوا ٱلزَّكاةَ .

ففرِحَ ٱلصِّدِّيقُ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ مِنْ أَهلِ (تريمٍ) ودعا لـ(تريمٍ) بثلاثِ دعواتٍ : (أَنْ يُبارِكَ في مائِها ، ويَنبُتَ

فيها ٱلعلماءُ وٱلأَولياءُ كنباتِ ٱلزَّرعِ ، وأَنْ لا تُطفَأَ لها نارٌ إِلىٰ يومِ ٱلقيامةِ) فٱستجابَ اللهُ دعاءَهُ وكانتْ كذلكَ ، ولهٰذا كانتْ تُدعىٰ بمدينةِ ٱلصِّدِّيقِ .

* * *

ثامناً: زاوية الشيخ سالم بن فضل بافضل

هٰذهِ ٱلزَّاويةُ ٱلمنسوبَةُ للشيخِ ٱلعظيمِ ، ٱلوليِّ ٱلكبيرِ سالمِ بنِ فضلٍ بافضل ٱلواقعةُ في حارةِ ٱلخَليفِ بـ(تريمٍ) حافَّةَ ٱلخَليفِ ، ٱلتي هيَ بجانبِ مسجدِهِ ٱلذي في ٱلجهةِ ٱلغربيَّةِ ٱلجنوبيَّةِ ، ٱلمعروفِ ذلكَ ٱلمسجدَ ٱلآنَ بمسجدِ (ٱلدَّويلةِ) . وٱلتَّحقيقُ أنَّهُ مسجدُ ٱلشَّيخِ سالمِ بنِ فضلٍ بافضل ٱلمذكورِ وهوَ ٱلذي بناهُ وأَسَّسَهُ بجانبِ زاويتِهِ .

وأَمَّا ٱلشَّيخُ محمَّدٌ ٱلدُّويلةُ بافضلُ ٱلذي هوَ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلشَّيخِ سالمِ ٱلمذكورِ ، إِنَّما هوَ أخربَهُ وعمَّرَهُ مِنْ جديدٍ فأُطلقَ عليهِ ٱسمُ ٱلدَّويلةِ وكانتْ تلكَ ٱلزَّاويةُ مقرَّ ٱلعلمِ وٱلتَّعليمِ وٱلعبادةِ ، وٱلشَّيخُ سالمٌ هوَ ٱلذي أَنشأَها وبناها وجلسَ يعلِّمُ فيها ٱلفنونَ مِنَ ٱلعلومِ ويحضرُ درسَهُ ٱلخلقُ ٱلكثيرُ . ويُروىٰ عنِ ٱلسَّيِّدِ ٱلإمامِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلخِردِ أَنَّ ٱلفقيهَ ٱلمقدَّمَ قرأَ ٱلفاتحةَ علىٰ ٱلشَّيخِ سالمٍ في تلكَ ٱلزَّاويةِ . وقدْ كانَ يُعقَدُ في تلكَ ٱلزَّاويةِ في كُلِّ أُسبوعٍ يوماً أَو يومينِ في فنونٍ شتَّىٰ كالفقهِ وٱلحديثِ وٱلتَّفسيرِ

والتَّصوُّفِ وغيرِ ذلكَ ويتولَّىٰ الدَّرسَ فيها غالباً أَحدُ العلماءِ ممَّنْ ينتسبُ إلىٰ الشَّيخِ سالمِ المذكورِ وقدْ يكونُ المدرِّسُ فيهمْ مِنْ غيرِهِمْ وقدْ درَّسَ فيها مِنْ غيرِهِمْ الإمامُ الفاضلُ أَبو بكرِ بنُ أَحمدَ الخطيبُ البكريُّ ، وفي الوقتِ الأَخيرِ درَّسَ فيها شيخُنا العالمُ العاملُ الفقيهُ الشَّاعرُ الأَديبُ المتواضعُ الشَّيخُ محمَّدُ بنُ عوضٍ بافضل المتوفَّىٰ[1] ، بـ(تريم) ، المدفونُ بتربةِ الفريطِ ثمَّ مِنْ بعدِهِ ابنُهُ الفاضلُ العلاَّمَةُ الدَّاعي إلىٰ اللهِ الشَّيخُ فضلُ بنُ محمَّدِ بنِ عوضٍ المذكورِ ، ثمَّ مِنْ بعدِهِ الشَّيخُ الفاضِلُ العالمُ أَحمدُ بنُ أَبي بكرِ بنِ محمَّدٍ بافضل ، وكانَ متولِّياً للدَّرسِ فيها الآنَ الأَديبُ اللَّوْذَعيُّ الفقيهُ المفتي المتواضعُ المرحُ الشَّيخُ فضلُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدِ بنِ فضلٍ بافضل ، كثَّرَ اللهُ مِنْ مثلِ هـٰذا الولدِ ، ونفعَ بهِ وبهمُ البلدانَ وخصوصاً هـٰذا البلدِ ، وجعلَهُمْ عُدَّةً وذخراً لذَويهِمْ ولكلِّ أَحدٍ ، ويكونُ عليهمُ المعتمدَ ، وكذا علىٰ غيرِهِمْ مِنْ علماءِ الإسلامِ والمسلمينَ القاطنينَ ببلدَتِنا هـٰذهِ وغيرِها مِنْ بلدانِ المسلمينَ .

---

(١) في شهرِ شعبانَ سنةَ (١٣٦٩ هـ) .

ثمَّ إنَّ أُسرَةَ آلِ بافضلٍ أسرةٌ فائِقةُ ٱلشُّهرةِ ٱلعلميَّةِ ضمَّتْ كثيراً مِنَ ٱلأَفذاذِ ٱلذينَ خدَموا ٱلعلمَ وٱلمجتمعَ وٱندمجوا في ٱلشُّؤونِ ٱلعامَّةِ ، همُ ٱلآنَ منتشرونَ في (حضرموتَ) وجنوبِ (ٱلجزيرةِ ٱلعربيَّةِ) و(ٱلحجازِ) ومناطقِ ٱلجزيرةِ ٱلعربيةِ وغيرِها منْ سائرِ ٱلأَقطارِ ، وكانَ نسبُهُمْ يتَّصلُ إلىٰ سعدِ ٱلعشيرةِ ٱلمذْحَجي ٱلإمامِ ٱلصَّحابيِّ . هٰكذا يقولُ مؤلِّفُ « ٱلسَّناءِ ٱلباهرِ » نقلاً عنِ ٱلشَّيخِ فضلِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلشَّحريِّ لكنِ ٱلصَّحيحُ ٱلمشهورُ أنَّهُ ليسَ مِنَ ٱلصَّحابةِ ، وأنَّهُ كانَ في زمَنِ ٱلجاهليَّةِ كما يعلمُ في ٱلتَّواريخِ ٱلأُخرىٰ ، وَمَذحِجُ بوزنِ مجلسٍ هوَ والدُ سعدِ ٱلعشيرةِ وهوَ ينتهي نسبُهُ إلىٰ نبيِّ اللهِ هودٍ عليهِ ٱلصَّلاةُ وٱلسلامُ كما في « طرفةِ ٱلأصحابِ » للملكِ ٱلغسَّاني .

وأَخرجَ ٱلخطيبُ ٱلبغداديُّ وٱبنُ عساكرَ في تاريخِهما عنْ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ عَنْ رسولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ في مَذْحِج : مَذْحِجُ هامةُ ٱلعربِ وغلصمتُها . وقيلَ في نسبِهِمْ غيرُ ذلكَ كما في صلةِ ٱلأَهْلِ[١] .

---

(١) مؤلِّفهُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ عَوض بَافَضل .

وأمّا ما اتّصفَ بهِ أكابرُ هٰذهِ القبيلةِ قديماً وحديثاً مِنْ محاسنِ الشِّيمِ ، وما مُنِحُوهُ مِنْ واسعِ الفضلِ والكرمِ وفَنائِهِمْ في محبَّةِ عترةِ المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فلا سبيلَ إِلىٰ حصرِهِ بقلمٍ ، فقدْ نشأَ فيهِمْ مَنْ لا يُحصَونَ مِنَ الأولياءِ والأفرادِ ، والزُّهادِ العبَّادِ ، والجهابذةِ الذين تصدَّرُوا لنفعِ العبادِ ، ورُحلةِ الطَّلبةِ مِنْ أقاصي البلادِ . وأُنشِدَ عرفُ الثَّناءِ عليهِمْ في كُلِّ نادٍ وقدِ امتازوا بينَ قبائِلِ (حضرموتَ) مَعَ السَّادةِ العلويِّينَ بالامتزاجِ الكُلِّيِّ ، والاتحادِ الرُّوحيِّ مذهباً ومشرباً وطريقةً وعقيدةً ، وأبدَوا مِنَ المودَّةِ في القربىٰ ما يُوجِبُ لهمْ الزُّلفىٰ في العقبىٰ ، وتحقَّقُوا مِنْ صدقِ الولاءِ لأُولٰئِكَ الأطهارِ بما أَحرزوا بهِ ما حصلَ في ذلكَ المضمارِ .

ويشهدُ لذلكَ السَّيِّدُ العلاَّمةُ محمَّدُ بنُ عليٍّ الخِردُ في كتابِهِ « الغُررِ » ، أنَّهُ لمْ يزلِ السَّادةُ مِنْ مشايخنا الفُضلاءِ ، الفقهاءِ العلماءِ ، أَصحابِ الزُّهدِ والورعِ الدَّقيقِ ، والعلمِ والتَّحقيقِ ، سلفاً وخلفاً يُجلُّونَ آلَ أَبي علويٍّ ويَحترمونَهُمْ ويعظِّمونَهُمْ ويوقِّرونَهُمْ الحرمةَ الكاملةَ ويُنزِلُونَهُمْ المنزلةَ العاليةَ الرَّفيعةَ لأَجلِ شرفِهِمُ الحقيقيِّ النَّبويِّ ، ونسبِهِمُ

ٱلفاخرِ ٱلعليِّ ٱلمصطفويِّ ، وها نحنُ نقتصرُ علىٰ ذكرِ بعضِهِمْ ٱلذينَ كَمَلوا في ٱلاتِّباعِ ، وصارَ لهمْ في ٱلعلمِ وٱلدِّينِ أطولُ باعٍ ، وأعظمُ ٱتِّساعٍ ، علىٰ سبيلِ ٱلتَّبرُّكِ وٱلاختصارِ ، كالفقيهِ العالمِ ٱلزَّاهِدِ ٱلوَرِعِ فضلِ بنِ ٱلفقيهِ محمَّدٍ وٱبنِهِ ، ٱلفقيهِ عبدِ اللهِ بنِ أَحمدَ وٱلفقيهِ عبدِ اللهِ بنِ ٱلفقيهِ فضلٍ ، وولدِهِ ٱلشَّيخِ ٱلكبيرِ ٱلقطبِ فضلِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلشَّحريِّ ، وٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ محمَّدِ بنِ ٱلحاجِ ، وولدِهِ ٱلفقيهِ ٱلأَجلِّ ٱلعالمِ ٱلمبجَّلِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ مصنِّفِ ٱلمختصرينَ ٱلكبيرِ وٱلصَّغيرِ في ٱلفقهِ ، وولديهِ ٱلعالِمينِ محمَّدٍ وٱلفقيهِ ٱلشَّهيدِ أَحمدَ ، وٱلفقيهِ علاَّمةِ ٱليمنِ وقُدوةِ أَهلِ ٱلزَّمنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بافضلٍ .

ومِنْ أَجلِّ مَنْ ذُكِرُوا بتفانِيهِمْ في محبَّةِ آلِ أَبي علويٍّ . . ٱلشَّيخُ ٱلكبيرُ ٱلعارفُ باللهِ تعالىٰ ـ ٱلشَّهيرُ بذلكَ ٱلعالمُ ٱلمدقِّقُ ٱلعلاَّمَةُ ٱلتَّقيُّ ٱلزَّاهِدُ ٱلمحقِّقُ ٱلورعُ ٱلشَّيخُ فضلُ بنُ عبدِ اللهِ بافضلٍ ٱلمتوفَّىٰ بـ(ٱلشَّحرِ) سنةَ (٨٠٥ هـ) .

فممَّا وردَ عنهُ مِنْ محبَّتِهِ لآلِ أَبي علويٍّ ماذكرَهُ مؤلِّفُ ٱلسِّلسلةِ ٱلعيدروسيَّةِ ، أَنَّ ٱلشَّيخَ فضلَ بنَ عبدِ اللهِ قالَ يوماً

لأَحدِ أَصدقائِهِ : يا فلانُ أَمَا تصلّي خلفَ ٱلشَّيخ عبدِ الرَّحمـٰنِ يعني ٱلسَّقَّافَ ، فقالَ : لا أَدعُ ٱلصلاةَ وراءَهُ إلاَّ فرضٌ أَو فرضينِ ، فأَطرقَ ساعةً ثمَّ رفعَ رأسَهُ ، وقالَ بأَعلىٰ صوتِهِ : ايشْ هـٰذا ٱلبحرُ ، اِيشْ هـٰذا ٱلبحرُ ، اِيشْ هـٰذا ٱلعمقُ ، ايشْ منعكَ أَنْ تصلِّيَ خلفَهُ ، ما منعكَ؟ ما منعكَ أَنْ تتحكَّمَ علىٰ يديهِ ، فٱرتعدَتْ فرائِصي مِنْ هيبَتِهِ وأَحسستُ ٱلمسجدَ يضطربُ .

وكانَ ٱلشَّيخُ فضلٌ صاحبَ مراقباتٍ عظيمةٍ ، ومحاسباتٍ جسيمةٍ وورعٍ كريمٍ وٱحتياطٍ عمَّا لا يَعني مِنْ فضولِ ٱلكلامِ ، وغَيرةٍ عظيمةٍ ، ومعَ ذلكَ كمْ صدرَ منهُ في آلِ أَبي علويٍّ مِنْ مدحٍ وثناءٍ وكمْ نشرَ مِنْ شَرفِ نسبِهِمْ وفضلِ سببِهِمْ ، وكمْ لهُ مِنْ كلامٍ في مدحِهِمْ وتبجيلِهِمْ وٱحترامِهِمْ ، ومعرفةِ حقِّهِمْ وذمِّ ٱلغافلِ عَنْ قدرِهِمْ ومعرفةِ فضلِهِمْ .

قال ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ : خرجتْ مِنِّي كلمةٌ حمدتُّ اللهَ عليها ، فقلتُ : مَنْ لا يحسنُ ٱلظَّنَّ في آلِ أَبي علويٍّ ما فيه خيرٌ ، وفي روايةٍ : مَنْ لا يحبُّ آلَ أَبي علويٍّ ما فيهِ خيرٌ .

وقالَ مؤلِّفُ « ٱلغررِ » : ومنهمْ ـ أَي آلِ أَبي فضلٍ

ٱلإمامُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ بافضل ساكنُ (عدنٍ) والمتوفَّىٰ بها مؤلِّفُ « ٱلعدَّةِ والسِّلاحِ » ، أَنَّهُ قالَ لمنْ سأَلَ منهُ ٱلدُّعاءَ مِنْ آلِ أَبي علويٍّ : (أَنتمُ ٱلبركةُ والحِرزُ ٱلنَّافعُ ، وجدُّكُمُ ٱلرَّسولُ ٱلشَّافِعُ) .

ويُروَىٰ عَنِ ٱلشَّيخِ الإمامِ ٱلفقيهِ ٱلشَّيخِ ٱلصَّالحِ أَحمدَ ٱلشَّهيدِ بنِ ٱلشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ بلحاج بَافضل ، أَنَّهُ قالَ : (طُفتُ كثيراً مِنَ ٱلبلدانِ كـ(مكَّةَ) ٱلمعظَّمةِ ، و(ٱلمدينةِ) ٱلمشرَّفةِ ، و(ٱليمنِ) ٱلأَنيسِ ، وغيرِها ، ونظرتُ كثيراً مِنَ ٱلحُجَّاجِ ممَّنْ يفدُ علىٰ بيتِ اللهِ ٱلحرامِ مِنْ أَطرافِ ٱلبلادِ وسائرِ ٱلآفاقِ ، وسأَلتُ غيرَ واحدٍ مِنَ ٱلثِّقاتِ فما ذَكروا لي ولا وجدتُ في ٱلأَشرافِ مثلَ آلِ أَبي علويٍّ وطريقتِهِمْ في ٱلاستقامةِ وٱلاتِّباعِ للكتابِ والسنَّةِ .

وممَّا كتبَهُ ٱلشَّيخُ أَحمدُ ٱلشَّهيدُ ٱلمذكورُ ووجَّهُهُ لبعضِ ٱلسَّادةِ آلِ أَبي علويٍّ مِنْ جملةِ مكتوبٍ ما صورتُهُ فأَنتمْ أَهلُ ٱلفضلِ وٱلإِحسانِ ، ومعدنُ سِرِّ ٱلنُّبوَّةِ وٱلفضائِلِ وٱلفتوَّةِ ، قليلُكُمْ كثيرٌ ، وحقيرُكُمْ جليلٌ ، وضعيفُكُمْ قويٌّ ومِسكينُكُمْ غنيٌّ ، ولـٰكِنَّ أَكثرهُمْ لا يعلمونَ ، أَوصافُ غيرِكُمْ طارئَةٌ ، وكمالاتُكُمْ ذاتيَّةٌ . كم يبلُغُ شأْوُ ٱلذَّاتِ

فضلَ ٱلصِّفاتِ هٰذا إنْ صحَّتْ ، كيفَ وقدْ ساقَ لكُمُ ٱلكمالينِ ، نعوذُ باللهِ مِنَ ٱلجهلِ بمعرفةِ حقِّكُمْ) . اهـ

وهٰذا ٱلشَّيخُ قتلَ بالشِّحرِ شهيداً في حربِ ٱلبرتغالِ لمَّا دخلُوا ٱلشِّحرَ[1] . ويُقالُ إنَّ ٱلخُطَبَ ٱلتي تقرأُ في رمضانَ بـ(تريمِ) علىٰ رأسِ كُلِّ عشرٍ منهُ بعدَ ٱلتَّراويحِ ، له . وقالَ مؤلِّفُ « أُنسِ ٱلسَّالكينَ » تذاكروا عندَ ٱلشَّيخِ ٱلجليلِ ٱلعالمِ ٱلفاضلِ بحرِ ٱلعلومِ حسينِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ بلحاج بَافضل في ٱلفضلِ وٱلإخلاصِ فقالَ :

أَمَّا أَنا أَعرفُ جميعَ أَعمالي لابدَّ فيها مِنَ ٱلدَّخلِ ، ولٰكِنِّي معَ مثلِ حبَّةٍ مِنْ محبَّةِ آلِ محمَّدٍ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وأَنا مستمسكٌ بها فبلغَ ذلكَ ٱلشَّيخَ ٱلوليَّ ٱلشَّريفَ أَحمدَ بنَ علويٍّ باجحدب ، فقالَ : رُوحُوا بشِّروهُ بمحبَّةِ آلِ ٱلبيتِ وقُولوا لهُ ما قالَ ٱلعدنيُّ :

لكَ ٱلهَنا إنْ حَلَّ فيكَ ذَرَّهْ	مِنْ حُبِّهِمْ ولاحَ فيكَ خَطْرَهْ
بِذكرِهِمْ مَا أَعظمَ ٱلمَسَرَّهْ	طُوبَىٰ لِقلبِ حَلَّ حُبُّهُمْ فيهِ

---

(1) سنةَ (٩٢٩هـ) .

والشَّيخُ حسينُ هذا هوَ أخو الشَّيخِ أحمدَ الشَّهيدِ المذكورِ آنفاً وهوَ الذي أنشأَ وعمَّرَ مسجدَ شكره بـ(تريم) ، في حارةِ الخَليفِ شماليَّ تربةِ الفريطِ وكانَ وفاتُهُ[1] ، ومِنْ كلامِهِ : السَّادةُ آلُ أَبي علويٍّ علىٰ ثلاثِ مراتبَ ، المرتبةُ الأُولىٰ : مثلُ الإكسيرِ ما وقعَ عليهِ أَصْلَحَهُ ، والثاني : جواهِرُ نفيسةٌ ، والثالثُ : مصفًّىٰ ما فيهِ غِشٌّ .

ويناسبُ هٰذا ما قالَهُ الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ علويٍّ الحدَّادُ وكتبَهُ عنهُ الشَّيخُ الحساويُّ في « تثبيتِ الفؤادِ » أنَّهُ لمَّا قيلَ لهُ فلانٌ مِنْ آلِ أَبي فضلٍ يسلِّمُ عليكَ فقالَ : ونِعْمَ الرَّجلُ هوَ . ثمَّ قالَ رضيَ اللهُ عنهُ : مَنْ طابَ مِنَ السَّادةِ فهوَ ذهبٌ خالصٌ ، ومَنْ طابَ مِنْ آلِ أَبي فضلٍ فهوَ فضَّةٌ خالصةٌ .

ويروىٰ عنِ الحبيبِ أحمدَ بنِ حسنِ بنِ عبدِ اللهِ العطَّاسِ رضيَ اللهُ عنهُ ، أنَّهُ يقولُ : لمْ يقعْ لأحدٍ مِنْ مشايخِ الجهةِ مثلُ ما وقعَ للخُطباءِ وآلِ أَبي فضلٍ معَ السَّادةِ آلِ أَبي علويٍّ مِنَ المحبةِ والمودَّةِ والامتزاجِ والاختلاطِ . ولهٰذا بقيتْ

---

(1) سنةَ (٩٧٩هـ) .

أسرارُ محبَّتِهِمْ ظاهرةً في ذرِّيَّتِهِمْ ولمْ ينصفِ العلويِّينَ في حقِّهِمْ أحدٌ منهُمْ ، ولشدَّةِ اعترافِهِمْ لهمْ بالفضلِ وتواضُعِهِمْ معهمْ عَدَلُوا عَنِ التَّسميةِ بمُحَمَّدٍ إلىٰ مِحِمَّدٍ ، بكسرِ الميمِ الأولىٰ وفتحِ الثانيةِ وكسرِ الحاءِ .

وممَّا نُقِلَ عَنِ الحبيبِ أحمدَ بنِ حسنٍ العَطَّاسِ المذكورِ ، أنَّهُ قالَ في رسالةٍ جَمعها في أنسابِ العربِ وسكَّانِ (حضرموتَ) خصوصاً ، قالَ فيها : وإنَّ المشايخَ آلَ أبي فضلٍ فهمْ بيتُ صلاحٍ وعلمٍ وتواضعٍ وزهدٍ في الدُّنيا ومحبَّةٍ وخاصَّةً لأهلِ البيتِ .

فمنهُمُ الشَّيخُ سالمٌ بافضلٌ الذي غابَ عَنِ الجهةِ في طلبِ العلمِ ورجعَ بعدَ أربعينَ سنةً ورتَّبَ أحزابَ القرآنِ في الجوامعِ والمساجدِ ، ومنهُمُ الشَّيخُ محمَّدُ بنُ أحمدَ بافضلُ صاحبُ (عدن) ، مؤلِّفُ « الأبصارِ في مُختصرِ الأنوار » ، ومؤلِّفُ « العدَّةِ والسِّلاحِ في أحكامِ النِّكاحِ » ، والشَّيخُ عبدُ اللهِ بلحاج صاحبُ الشَّحرِ ، مؤلِّفُ المختصرِ الذي شرحَهُ الشَّيخُ ابنُ حجرٍ ، وغيرُهُمْ مِنَ الصُّلحاءِ والأولياءِ في تلكَ القبيلةِ الصَّالحةِ ينتسبونَ إلىٰ سَعدِ العشيرةِ . اهـ

وقالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلإمامُ وٱلحبرُ ٱلهُمامُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱللهُ بنُ حسينٍ بلفقيهِ في قصيدةٍ لهُ يصفُ بِها ٱلسَّلفَ ٱلصَّالحَ ٱلسَّابقينَ مِنْ أَهلِ (تريمٍ)[1] :

ثمَّ إنَّ أَوَّلَ مَنِ ٱشتهرَ مِنْ آلِ أَبي فضلٍ هو ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلكريمِ بنُ محمَّدٍ بافضلٍ ، وهوَ ٱلجدُّ ٱلجامعُ لجمعيِهِمْ ، غيرَ أَنَّهُ لمْ توجدْ لهُ ترجمةٌ سوىٰ ما كُتبَ علىٰ ٱللَّوحِ ٱلذي علىٰ قبرِهِ بمقبرةِ ٱلفريطِ ، وهو هـٰذا ضريحُ ٱلإمامِ ٱلكبيرِ ٱلشَّهير ، عبدِ ٱلكريمِ بنِ محمدٍ با فضلٍ ، جدُّ جميع آلِ با فضلٍ ، وتاريخُ وفاتِهِ مطموسٌ ، وهوَ علىٰ جهةِ ٱلتَّقريبِ مقارنٌ في ٱلزَّمنِ لسيِّدِنا ٱلإمامِ علويٌّ بنِ عُبيدِ ٱللهِ بنِ ٱلمهاجِرِ أَحمدَ بنِ عيسىٰ ، وعلويٌّ هـٰذا هوَ ٱلمقبورُ بـ(سُمَل) .

وأَمَّا والدُهُ محمَّدٌ ، وكذا ولدهُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱلكريمِ : فلم يُعلَمْ أَينَ دُفِنَا كما لمْ يتيسَّرِ ٱلوقوفُ علىٰ شيءٍ مِنْ أَحوالِهما .

---

(١) قد سبقَ وأَنْ ذكرتُ هـٰذهِ ٱلأَبياتِ من نفسِ ٱلكتابِ .

وأمّا ٱلشَّيخُ فضلُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلكريمِ ، فقالَ في حقِّهِ مؤلِّفُ « صلةِ الأهلِ » : هوَ واسطةُ ٱلعِقدِ ، ويتيمةُ سلكِ ٱلمجدِ ، ٱلإمامُ ٱلذي سَما قدرُهُ ، وطالَ وطابَ ذكرُهُ ، إنسانُ عينِ ٱلفضلاءِ ، وإكليلُ تاجِ ٱلأئِمَّةِ ٱلكملاءِ ، مطلَعُ شمسِ ٱلعُلا ، وٱلمكتَسي مِنَ ٱلمعارِفِ مطارفَ وحللاً ، تبوأَ مِنَ ٱلفضلِ ٱلرُّتبةَ ٱلقعساءَ ، وخلَّفَ مجداً لا يُنسىٰ ، أَخذَ عنهُ أكابرُ عصرِهِ وعلماءُ قطرِهِ . اهـ

ترجمَ لهُ مؤلِّفُ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » ووصفَهُ بما هوَ أهلُهُ ، فقالَ : إنَّهُ مِنْ كبارِ ٱلعلماءِ ٱلعاملينَ وٱلأئِمَّةِ ٱلمحقِّقينَ وٱلفقهاءِ ٱلمدقِّقينَ ، وكانَ معَ ذلكَ منَ ٱلزُّهَّادِ ٱلورعينَ ، وكانَ فيما رُويَ عنهُ إذا سجدَ علىٰ الأرضِ يُسمعُ للهجتِهِ قَرْبَعةٌ كأنَّها عظمٌ لا لحمَ عليهِ ، مِنْ شدَّةِ تجويعِهِ لنفسِهِ وٱجتهادِهِ ، وكانَ سخيَّاً كريماً وكانتْ وفاتُهُ بـ(تريم) سنةَ(٥٣٣هـ) بمقبرةِ ٱلفريط .

وقالَ ٱلفقيهُ ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ بَاحرمي : كنتُ أَرىٰ كلَّ ليلةٍ عموداً مِنْ نورٍ علىٰ قبرِ ٱلفقيهِ فضلِ بنِ محمَّدٍ ولا يزالُ ذلكَ ٱلعمودُ علىٰ ٱلقبرِ حتَّىٰ يطلعَ ٱلفجرُ ، وذكر

مؤلِّفُ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » أَنَّهُ يُروىٰ أَنَّ ٱلدُّعاءَ مستجابٌ بينَ قبرِهِ وقبرَيْ ولدَيْهِ سالمٍ ومحمَّدٍ وكانَ قبراهُما متلاصقينِ .

ولهما أَخٌ ثالثٌ ٱسمُهُ يحيىٰ ، حيَّاهُ مِنْ أَبٍ لثلاثةِ أَقمارٍ ، سارَ في ٱلأَقطارِ مسيرَ ٱلشَّمسِ في رابعةِ ٱلنَّهارِ ، وٱلشَّيخُ سالمٌ هـٰذا لقبُهُ محيي ٱلدِّينِ وعَلَمُ ٱلمسترشدينَ . كنيتُهُ أَبو يحيىٰ وأَبوهُ ٱلإِمامُ ٱلكاملُ ٱلعالمُ فضلُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلكريمِ بافضلٍ .

قالَ مؤلِّفُ « صلةِ ٱلأَهلِ » في حقِّ ٱلشَّيخِ سالمٍ ٱلمذكورِ : إِنَّهُ هوَ أَحدُ أَعلامِ ٱلملَّةِ ، وواحدُ ٱلصُّدورِ ٱلأَجلَّةِ ، وبحرٌ مِنْ بحورِ ٱلعلمِ ٱلزَّاخرِ ، لا يوقفُ منهُ علىٰ آخرَ ، وغضنفرٌ غادرٌ ، لا يقفُ أَمامَهُ مناظِرٌ ، وشمسُ معارفٍ تستمدُّ مِنْ نورِهِ ٱلكواكبُ ، وبدرُ لطائفَ يختفي تحتَ سنائِهِ ٱلنَّجمُ ٱلثَّاقبُ ، وإِمامٌ طارَ صيتُهُ في ٱلآفاقِ ، وهُمامٌ ٱنعقدَ علىٰ جلالتهِ ٱلإِجماعُ وٱلاتِّفاقُ ، وحبرٌ ذَبَّ عنِ ٱلدِّينِ فتقلَّدَتْ منهُ ٱلأَعناقُ ، وسوَّرَ ٱلأُمَّةَ مِنْ كنوزِ علومِهِ بأَسوارٍ وأَطواقٍ .

وكانَ مِنَ ٱلعلومِ بحيثُ يُقضىٰ لهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ بالجملةِ ، معَ هٰذا إِلىٰ تقوىٰ وزهدٍ وإِخلاصٍ ومجاهداتٍ ، وأعمالٍ يُطيقها ، ولمْ يتركْ ساميةً مِنَ ٱلفضلِ إِلاَّ عَلاها ، ولا ذُرْوَةَ مجدٍ إِلاَّ ٱمتطاها .

كانَ ميلادُهُ ونشأَتُهُ بـ(تريمٍ) ، مرتضعاً أَخلافَ ٱلمجدِ ٱلصَّميمِ ، وتلقَّىٰ ٱلعلمَ عنْ والدِهِ وعنِ ٱلأُستاذِ ٱلقديرِ ٱلإِمامِ محمَّدٍ صاحبِ مرباطٍ ومَنْ في طبقتِهِما . وسطعتْ أَنوارُ ٱلولايةِ مِنْ أَساريرِ غُرَّتِهِ ، فصارَ بحميدِ ٱلفضلِ محلَّيَّ لبَّتِهِ ، وفي مِضمارِ ٱلمجدِ مجليَّ جلستِهِ .

ثمَّ رأَىٰ أَنْ يستكملَ نِصابَ ٱلمعارفِ ، ويقرِنَ بينَ تالدِ ٱلفضلِ وٱلطَّارفِ ، فٱرتحلَ إِلىٰ ٱلعراقِ ، وطافَ ٱلآفاقَ ، فأَنفقَ نفيسَ عمرِهِ في تحصيلِ ٱلعلومِ ، حتَّىٰ تبوَّأَ مِنَ ٱلكمالِ ما تتقاصَرُ عنهُ ٱلنُّجومُ ، ويَغلبُ علىٰ ٱلظَّنِّ أَنَّهُ مِنَ ٱلآخذينَ عَنِ ٱلقطبِ ٱلرَّبَّانيِّ ، سيِّدي ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلقادرِ ٱلجيلانيِّ ، لأَنَّه دخلَ ٱلعراقَ في عصرِهِ ووقتِ ظهورِهِ ، وٱشتهارِ ذكرِهِ ، ثمَّ عادَ إِلىٰ وطنِهِ فأَشادَ مِنَ ٱلعلمِ معالمَهُ ، وأَقامَ للدِّينِ دعائِمَهُ ، وكانتْ بدعةُ ٱلإِباضيَّةِ وٱلمعتزلةِ إِذْ

ذاكَ منتشرةً بالجهاتِ ٱلحضرميَّةِ ، وفتنتُهُمْ طامَّةٌ علىٰ ٱلأُمَّةِ ٱلإسلاميَّةِ . . .

فكانَ هٰذا ٱلإمامُ سيفاً في أَعناقِ تلكَ ٱلفِرَقِ ٱلزَّائِغةِ ، قاصماً ظهورَهُمْ بالحُجَجِ ٱلدَّامغةِ ، فخبَتْ نارُهُمْ وبادَتْ آثارُهُمْ .

قالَ بعضُ ٱلسَّلفِ ٱلعارفينَ : ثلاثةٌ لهمُ ٱلمنَّةُ ٱلكبرىٰ علىٰ أَهلِ (حضرموتَ) : سيِّدُنا ٱلمهاجرُ أَحمدُ بنُ عيسىٰ في خروجِهِ مِنَ ٱلبصرةِ بذرِّيَّتِهِ ، وٱلشَّيخُ سالمٌ با فضلٌ في نشرِ ٱلعلمِ وإِماتةِ ٱلبدعةِ ، وسيِّدُنا ٱلفقيهُ ٱلمقدَّمُ في كَسرِ ٱلسِّلاحِ وٱختيارِهِ طريقةَ ٱلصُّوفيَّةِ .

وفي « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » بعدَ أَنْ ذكرَ مؤلِّفهُ شيئاً مِنْ صفاتِ ٱلشَّيخِ سالمِ ٱلمذكورِ قالَ : وكانَ ٱلعلمُ قدْ كادَ يندَرِسُ في ناحيةِ (حضرموتَ) فأَحياهَ .

وذلكَ أَنَّهُ سافرَ في طلبِ ٱلعلمِ ومكثَ أَربعينَ سنةً في ٱلعراقِ وغيرِهِ ، يطلبُ ٱلعلمَ وأَهلُهُ يظنُّونَ أَنَّهُ قدْ ماتَ ، ثمَّ بعدَ ذلكَ رأَىٰ بعضُ ٱلسَّادةِ في ٱلمنامِ كأَنَّ ٱلإمامَ سالماً ٱلمذكورَ قدْ قدمَ إِلىٰ (تريمِ) ومعهُ جِمالٌ محمَّلاتٌ ذهباً .

فقدمَ ٱلإمامُ ومعهُ جِمالٌ محمَّلاتٌ مِنْ كتبِ ٱلعلمِ مِنَ ٱلحديثِ وٱلفقهِ وغيرِهما ، ولمْ يجدْ أَحداً مِنَ ٱلعلماءِ بـ(حضرموتَ) ، ثمَّ درَّسَ في بلدِهِ وأَقبلَ عليهِ طلبةُ ٱلعلمِ مِنْ كُلِّ مكانٍ[1] .

* * *

(١) وممَّنْ درَّسَ في زاويةِ ٱلشَّيخِ سالمٍ بافضل في ٱلقرنِ ٱلرابعَ عشرَ وٱلخامسَ عشرَ ٱلهجريِّ ، ٱلشَّيخُ أَحمَدَ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلخطيبُ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ(١٣٣١هـ) وٱلشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ أَحمدَ بنِ عبدِ اللهِ ٱلخطيبُ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ(١٣٥٤هـ) وٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ أَحمدَ بنِ عبدِ اللهِ ٱلخطيبُ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ(١٣٦٩هـ) .

تاسعًا : قبة أبو مريم

(معلامة أبو مريم سابقًا)

ومِنَ ٱلمعاهدِ ٱلعلميَّةِ بـ(تريمِ) منذُ ٱلعصرِ ٱلقديمِ معلامَةُ ٱلشَّيخُ ٱلإمامُ ٱلعظيمُ ، محمَّدِ بنِ عمرَ بن محمدِ بنِ أَحمدَ ٱلشَّهيدِ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقَّدِمِ ، ومحمَّدُ بنُ عمرَ هـٰذا كانَ يكنَّىٰ بأَبي مُرَيِّمَ ـ تصغيرُ مريمَ ـ ومُرَيِّمُ هـٰذهِ بنتُهُ ، كانتْ منَ ٱلنِّساءِ ٱلعابداتِ ٱلصالحاتِ ٱلقانتاتِ . ومعلامتُهُ ٱلمذكورةُ يطلقُ عليها ٱلآنَ ٱسمُ قُبَّةُ أَبي مُرَيِّمَ ، معروفةٌ ، واقعةٌ غربيَّ مسجدِ ٱلإمامِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ مسجدِ ٱلرَّاتبِ ، وإِنما قيلَ لها ٱلآنَ قُبَّةٌ ـ معَ أَنَّها كانتْ يقالُ لها معلامةٌ (أَيْ محلُّ ٱلتَّعليمِ) فلعلَّ ذلكَ ـ لكونِها في ٱلعهدِ ٱلقَديمِ كانَ عليها سقفٌ مسطَّحٌ ، ثمَّ جدِّدَتْ وعُمِلَ عليها قُبَّةٌ كما هيَ ٱليومَ .

وٱلذي عمَّرها وجَدَّدَها ، وعَمِلَ لها ٱلقُبَّةَ ، هوَ ٱلإِمامُ ٱلعلاَّمةُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ حسينِ

ٱلمشهورُ ، وكانتْ عمارتُهُ لها سنةَ(١٢٩٩هـ) ، وقدْ مرَّ معَنا في ٱلدُّروسِ ـ أكثرَ مِنْ مرَّةٍ ـ أَنَّ هـٰذهِ ٱلقُبَّةَ باقيةُ ٱلانتفاعِ بها إلىٰ ٱليومِ في تعليمِ ٱلقرآنِ ٱلعظيمِ ، وحِفظهِ عَنْ ظهرِ قلبِ ، كما كانَ شأنُ ذلكَ ٱلإمامِ محمَّدِ بنِ عمرَ ٱلمذكورِ طيلةَ حياتِهِ ، مشتغلاً بالتَّدريسِ فيها ، وتعليمِ ٱلقرآنِ ٱلعزيزِ ، تلاوةً وحفظاً ، وتدريسِ ٱلفقهِ علىٰ مذهبِ ٱلإمامِ ٱلشَّافعيِّ في كتابِ « ٱلتنبيهِ » للإمامِ أَبي إِسحاقَ ٱلشِّيرازيِّ ، كلِّهِ أَو رُبعِهِ ٱلأَوَّلِ علىٰ ٱلأَقلِّ حتَّىٰ يخرجَ ٱلتلميذُ مِنْ بينِ يديهِ فقيهاً ، حافظاً لكتابِ ٱللهِ ، أَو تالياً لهُ في ٱلمصحفِ ، فقدْ فترَ ٱلتَّدريسُ بتلكَ ٱلقبَّةِ ردحاً مِنَ ٱلزَّمنِ ٱلقريبِ ، حتَّىٰ قيَّضَ اللهُ مَنْ يحييهِ ويُنعشُهُ في هـٰذا ٱلوقتِ ، ويتولَّىٰ ٱلدَّرسَ في تلكَ ٱلقُبَّةِ ، أَعني بهِ ٱلولدَ ٱلأَديبَ، ٱلنَّجيبَ، ٱلوارثَ لأَسرارِ أَجدادِهِ آلِ ٱلعَيدروسِ ، محمَّدَ ٱلملقَّبَ سعدَ بنَ علويِّ بنِ عمرَ بنِ عَيدروسَ ٱلعيدروسِ ، فقدْ فتحَ تلكَ ٱلقُبَّةَ بعدَ أَنْ كادتْ تُغلقُ ، وتولَّىٰ فيها تعليمَ ٱلقرآنِ ٱلعظيمِ حفظاً عن ظهرِ قلبِ ، وساعدَهُ علىٰ ذلكَ ٱلولدُ ٱلمباركُ ، ٱلأَديبُ ٱلعالمُ ، ٱلماشي علىٰ طريقِ أَسلافِهِ ٱلصَّالحينَ ٱلعارفينَ ، ٱلسيِّدُ عليُّ

(مشهور) ٱبنُ محمَّدِ بنِ سالمِ بنِ حفيظٍ ، مُضيفاً إِلىٰ حفظِ ٱلقرآنِ بها تعليمَ ٱلطَّلبةِ قواعدَ فنِّ ٱلتَّجويدِ ، وٱلعملَ بها في ٱلقراءَةِ ، وإِخراجَ ٱلحروفِ مِنْ مَخارجِها ، وكيفيَّةَ ٱلتَّغنِّي بالقراءَةِ بطريقةِ ٱلحدرِ ، لا بالتَّمطيطِ غيرِ ٱللَّائِقِ بالقراءَةِ ، وقدِ ٱنثالَ ٱلطَّلبةُ إِلىٰ حفظِ ٱلقرآنِ ٱلكريمِ ٱلعددُ ٱلكثيرُ ، وقدْ تخرَّجَ في حفظِهِ وتلاوتِهِ قُرَّاءُ كثيرونَ ، وختموهُ في أَسرعِ وقتٍ وقوَّةِ حفظٍ ، فجازىٰ اللهُ هـٰذينِ ٱلسَّيِّدينِ أَفضلَ ٱلثَّوابِ وٱلجزاءِ ، بنيلِ كُلِّ ٱلرَّجاءِ في ٱلدُّنيا وٱلآخرةِ ، وأَبقاهما لنا ولأَبناءِ أَبنائِنا وآبائِهِمْ ذخراً وفخراً ، وخلَّدَ اللهُ لَهما بذلكَ ذكرىٰ ، وقدْ أَضافَ إِليهما اللهُ ما يوجبُ لَهما ثواباً آخرَ جديداً ، وذكراً حميداً أَنْ كانَ ٱلأَوَّلَ إِماماً وقيِّماً لمسجدِ جَدِّهِ ٱلإِمامِ ٱلكبيرِ ، وٱلقطبِ ٱلشَّهيرِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ ٱلسَّقَّافِ ، مسجدِ ٱلرَّاتبِ ، ٱلذي يقولُ فيهِ ٱلسَّقَّافُ نفسُهُ : إِنِّي أَسَّستُهُ وٱلنَّبيُّ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ في محرابِهِ ، وٱلأَئِمَّةُ ٱلأَربعةُ علىٰ أَركانِهِ .

وأَنْ جعلَ ٱلثانيَ إِماماً في كُلِّ فرضٍ بجامعِ (تريم) ، ٱلذي يضاعَفُ فيهِ وفي غيرِهِ مِنَ ٱلجوامعِ صلاةً وٱعتكافاً وقياماً ، بالنِّسبةِ لغيرِهِ مِنَ ٱلمساجِدِ ، فَيا لَهما مِنْ مَنصِبينِ

ٱقتعَداها هـٰذانِ ٱلسَّيِّدانِ ، يغبطُهُما عليها فضلاءُ ٱلرِّجالِ ، ٱلذينِ يَعرفونَ قدرَ ما لَهُما مِنَ ٱلثَّوابِ .

وقدِ ٱشتغَلَ بالتَّعليمِ في تلكَ ٱلقُبَّةِ ـ بحفظِ ٱلقرآنِ بها في ٱلعهدِ ٱلأَخيرِ ، قبلَ ذينكَ ٱلسَّيِّدينِ ـ ٱلشَّيخُ ٱلفاضلُ محمَّدُ بنُ سالمٍ ٱلخطيبُ ثمَّ ٱبنُهُ ٱلشَّيخُ سالمُ بنُ محمَّدٍ ٱلخطيبُ ، ثمَّ ٱبنُهُ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ سالمٍ .

وهـٰؤُلاءِ ٱلثَّلاثَةُ كلُّهُمْ فُضلاءُ أَخيارٌ ، حفَّاظٌ للقرآنِ ٱلعزيزِ ، محبُّونَ للسَّادةِ آلِ أَبي علويٍّ ، وقدْ حُفِظَ ٱلقرآنُ علىٰ أَيديهِمْ بتلك ٱلقُبَّةِ ، تحت إِشرافِ ٱلإِمامِ ٱلكبيرِ ، وٱلوليِّ ٱلقطبِ ٱلمنيرِ ، ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بن عَيدروسَ بنِ علويٍّ ٱلعيدروسِ ، ووالدِهِ وأَخيهِ عمرَ بنِ عيدروسَ ، وهـٰؤُلاءِ كلُّهُمْ حمَّلوا شبابَ (تريم) ، وحبَّبوا إِليهمْ حفظَ ٱلقرآنِ في تلكَ ٱلمعلامةِ ، فحفِظَهُ ٱلجَمُّ ٱلغفيرُ منهمْ .

وكانَ ٱلحبيبُ عيدروسُ بنُ علويٍّ ٱلعيدروسُ قدْ تمنَّىٰ مِنَ ٱللهِ أَنْ يكثرَ حفَظَةُ ٱلقرآنِ بـ(تريم) ، حتَّىٰ يكونَ ٱلدَّرسةُ للقرآنِ في ٱلحزبِ لمسجدِ ٱلشَّيخ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ كُلُّهُمْ حفظةً ، لا يحتاجونَ للمصباحِ إِلاَّ لإِضاءَةِ

ٱلمسجدِ ، ورَفعِ ٱلظُّلمةِ عنِ ٱلحاضرينَ ، لا للتِّلاوةِ ، فحقَّقَ اللهُ رجاهُ ، وأعطاهُ ما تمنَّاهُ ، فصارَ ٱلحزبُ بذلكَ ٱلمسجدِ ليلاً وصباحاً ، حفظاً عَنْ ظهرِ قلبٍ ، منذُ عهدِ ذلكَ ٱلسَّيِّدِ إلىٰ يومِنا هٰذا .

وزادَ ٱلحفظُ ٱنتعاشاً في هٰذا ٱلوقتِ ، لاسيَّما منذُ قامَ بهِ في تلكَ ٱلقُبَّةِ ٱلسيِّدانِ ٱلآنفا ٱلذِّكرِ ، وصارَ ٱلحفَّاظُ يَنثالونَ لذلكَ ٱلمسجدِ ليلَ نهار ، ليقرؤُوا معَ ٱلدَّرسةِ ، ليقوىٰ حفظُهُمْ ، ويَعرفوا كيفيَّةَ ٱلتَّغنِّي بالقرآنِ .

وكانتْ وفاةُ ٱلإمامِ محمَّدِ بنِ عمرَ أَبي مُريَّمَ ـ ٱلمذكورِ ـ سنةَ (٨٢٢هـ) ، بـ(تريمِ) بمقبرةِ زنبلَ ، وقبرُهُ بها يكونُ وراءَ ظهرِكَ حينَما تواجهُ قبرَ ٱلإمامِ ٱلأُستاذِ ٱلأَعظمِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ، وكانتْ لذلكَ ٱلسَّيِّدِ منقبةٌ عظيمةٌ وكرامةٌ جسيمةٌ عندَ لحدِهِ حكاها عنهُ جدُّهُ ٱلإمامُ محمَّدُ جملُ ٱللَّيلِ ابنُ حسنِ ٱلمعلِّمِ بنِ محمَّدٍ أَسدِ اللهِ ، مِنْ أَنَّهُ سمعَهُ حِينما وضعَهُ في قبرِهِ مخاطباً لهُ (ساعةُ ٱلعونِ أَوِ ٱلفوزِ يا أَبا ٱلحسنِ) وكانتْ وفاتُهُ منقرضاً ، ولهُ مسجدٌ عمَّرَهُ بمدينةِ (قسم) يسمَّىٰ ـ ٱلمصفَّ ـ ووالدُهُ عمرُ بنُ محمَّدٍ مِنْ كمَّلِ ٱلرِّجالِ ٱلأَولياءِ ٱلعبَّادِ ، ٱلعلماءِ

ٱلأَوتادِ ، ذِي ٱلمناقبِ ٱلفاخرةِ ، توفِّيَ سنةَ (٧٨٢هـ) .

ولِعمرَ هـٰذا أَخٌ ٱسمُهُ عليٌّ وهوَ الابنُ ٱلثاني مِنَ ٱبنَي محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقَّدمِ ، ليسَ لَهُ مِنَ ٱلبنينِ غيرَهما ولهُ بنتٌ تسمَّىٰ خديجةَ بنتَ محمَّدٍ ، مِنَ ٱلنِّساءِ ٱلصَّالحاتِ ٱلعابداتِ ٱلقانتاتِ ، ترجمَ لها مؤلِّفُ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » بما هوَ لَها أَهلٌ ، وأَخوها عمرُ ٱلآنفُ ٱلذِّكرِ ـ بموتِ ٱبنِهِ محمَّدٍ أبو مُرَيِّمَ ـ صارَ منقرضاً ، ولمْ يبقَ ٱلعقبُ مِنَ ٱلإِمامِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقَّدمِ إِلاَّ مِنِ ٱبنِهِ عليٍّ ٱلمتوفَّىٰ بـ(تريمِ) ٱلمقبورِ في قبرِ ٱلإِمامِ عبدِ اللهِ بنِ ٱلفقيهِ ، ولِعليٍّ هـٰذا كرامةٌ جليلةٌ ومنقبةٌ عظيمةٌ ذكرَها مؤلِّفُ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » ، عندَ ذكرِ كراماتِ ٱلسَّقَّافِ وقدْ أَعقبَ مِنَ ٱلأَبناءِ أَربعةً وهُمْ (حسنٌ وحسينٌ وأَحمدُ ومحمَّدٌ) فأَمَّا حسينٌ فمِنْ عقبِهِ آلُ دويدٍ وفيهمْ رجالٌ علماءُ أَعلامٌ ، ومِنْ ذرِّيَّةِ حسينٍ أَيضاً آلُ ٱلجزيرةِ وأَوَّلُ مَنْ سمِّيَ بهـٰذا الاسمِ ٱبنُهُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ حسينٍ لقضيَّةٍ جرتْ لهُ ولخمسينَ نفراً معهُ في سفينةٍ تعطَّلتْ عليهمْ في جزيرةٍ مِنَ ٱلجزائرِ دهلكَ ، فأُطلقَ علىٰ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمذكورِ وذرِّيَّتِهِ ٱسمُ آلِ ٱلجزيرةِ ولهُ ٱبنٌ ٱسمُهُ أَحمدُ ٱلبيضُ

ينسبُ إليهِ آلُ ٱلبيضِ[1] ، وقدِ ٱشتهرَ منهمْ سادَةٌ أجلاَّءُ بأَرضِ ٱلحجازِ وٱلشّحرِ وغيرِهما .

وأَمّا ٱلحسنُ بنُ عليٍّ يقالُ لَهُ حسَنٌ جَبْهَانُ ، ومِنْ ذرِّيَّتِهِ ٱلقبيلةُ ٱلتي تُدعىٰ بآلِ جبهانَ ، ومِنْ بينهمُ ٱلسَّيِّدُ ٱلمؤرِّخُ عليُّ بنُ أَحمدَ باجبهانُ إمامٌ فاضلٌ مرَّ ذكرُ مناقبِهِ ، وهوَ ٱلذي عمَّرَ حمَّامَ مسجدِ ٱلسَّقَّافِ ، وعَمِلَ لُه مقالدَ ـ أَي جوابيَ ـ كما أَنَّهُ ممَّنْ عُنِيَ بجمعِ أنسابِ ٱلسَّادةِ بني ٱلإمامِ أَحمدَ بنِ عيسىٰ ، مِنْ بعدِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ أَبي بكرٍ ٱلسَّكرانِ ، وقدْ ذكرْنا كُلَّ مَنْ عُنِيَ بها مِنْ بعدِ ٱلشَّيخِ عليِّ ٱبنِ أَبي بكرٍ إلىٰ يومِنا هٰذا بالتَّفصيلِ فٱرجعْ إلىٰ ٱلكرَّاسةِ ٱلتيْ فيهِ ، وقدْ ذكرَنا فيها عن كتابِ « ٱلشَّجرةِ ٱلعلويَّةِ » شيئاً يتعلقُ بها مِنْ حيثُ ٱلإلحاقاتُ بها للفروعِ ٱلتي جاءَت مِنْ جديدٍ .

وأَمّا ٱلثَّالثُ مِنْ أَبناءِ ٱلإمامِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ فهوَ ٱلسَّيِّدُ ٱلشَّريفُ أَحمدُ بنُ عليٍّ ٱلذي يتَّصلُ

---

(١) للمؤلِّفِ كتابٌ مخطوطٌ « ٱلمجدُ ٱلعريضُ في ترجمةِ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلبيضِ » .

بِهِ نسبُ ٱلسَّادَةِ آلِ بلفقيه بأَنواعِهِمُ ٱلثَّلاثةِ ٱلذينَ يُقالُ فيهِمْ ؛ إِنَّهُمْ جَفنةُ ٱلعلمِ لكثرةِ ٱلعلمِ برجالِهِمُ ٱلذينَ مِنْ بينِهِمْ مَنْ يُقالُ لهُ علاَّمةُ ٱلدُّنيا ، ويقالُ للآخرِ منهُمْ صاحبُ ٱلشُّبَيْكةِ ، وٱلثَّاني ٱلمشهورُ بالعلمِ وٱلعملِ ، وقدْ مرَّ ٱلحديثُ عَنْ أُولـٰئِكَ ٱلسَّادةِ ٱلأَمجادِ أَيضاً .

وٱلرَّابعُ هوَ ٱلإِمامُ ٱلقانتُ ٱلأَوَّابُ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ٱلمقبورُ ملاصقاً قبرُهُ بقبرِ ٱلأُستاذِ ٱلأَعظمِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ، وهوَ ٱلذي كانَ يُعطي حفَّارَ ٱلقبورِ في ذلكَ ٱلعهدِ كُلَّ سنةٍ مِنْ طعامِ ٱلبرِّ أَربعينَ قهاولاً علىٰ أَنْ يقبرَهُ في ذلكَ ٱلمحلِّ ٱلنَّويرِ ، فحقَّقَ ٱللهُ طلبَهُ وقُبرَ في ذلكَ ٱلموضعِ ٱلذي يريدُهُ ، وكانَ دفنُهُ بهِ ، بعدَ أَنْ أَعطىٰ ٱلحافرَ لأَربعينَ سنةً مضتْ أَلفاً وست مئةٍ قهاولَ مِنْ طعامِ ٱلبرِّ .

وقدْ تزوَّجَ هـٰذا ٱلسَّيِّدُ ٱلمنيبُ بالسَّيِّدةِ مريمَ بنتِ ٱلإِمامِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ وٱلتي هيَ شقيقةُ ٱلمحضارِ وٱلسَّكرانِ وأَحمدَ ومحمَّدٍ مِنْ بني ٱلإِمامِ ٱلسَّقَّافِ ، وأَنجبتْ لهُ ٱبنَهُ أَبا بكرٍ ٱلجفريَّ ، وسمِّيَ ٱلجفريَّ لأَنَّ جدَّهُ ٱلإِمامُ يضعهُ وهوَ طفلٌ صغيرٌ علىٰ حبوتِهِ ويلاطفُهُ في ٱلقولِ لشدَّةِ محبَّتِهِ بهِ ،

ويقولُ : جفري ، هوَ الجفرُ ولدُ الضأنِ الصّغيرِ ، وليسَ للسّيّدِ محمّدٍ المذكورِ أبناءٌ مِنَ السّيّدةِ مريمَ بنتِ السّقّافِ إلاّ أبا بكرٍ الجفريَّ فقط ، أمّا أبناؤهُ الآخرونَ فمِنْ أمّهاتٍ أُخرَ ، يبلغُ عددُهُمْ عشرةً عدا ابنِهِ أبي بكرٍ الجفريِّ الآنفِ الذّكرِ ، وهمْ : حسنٌ وعلويٌّ الأكبرُ وعبدُ اللهِ الأكبرُ وهؤلاءِ الثّلاثةُ انقرضوا ، وعلويٌّ الحاذقُ وعليٌّ وحسينٌ المعلّمُ وعمرُ ، وهؤلاءِ الثّلاثةُ أعقبوا ثمَّ انقرضوا أيضاً ، وإبراهيمُ الحارثُ وعبدُ الرّحمنِ ذراريهمْ آلُ الحارثِ وآلُ الرّخملي وغيرُهُمْ .

وفي مقدّمةِ المشهورينَ مِنْ أبناءِ هؤلاءِ السّادةِ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ محمّدٍ صاحبُ الشّبيكةِ القديمُ المتوفّىٰ سنةَ(٨٨٦هـ) ، وعمرُ بنُ عبدِ الرّحمنِ معروفٌ بصاحبِ الحمراءِ المتوفّىٰ بـ(تعز) سنةَ(٨٨٩هـ) ، أمّا أبو بكرٍ الجفريُّ فلهُ ثلاثةُ بنينَ (أحمدُ وعليٌّ الخوّاصُ وعمرُ الجفريُّ) وهذانِ يتّصلُ بهما نسبُ السّادةِ آلِ الجفريِّ القبيلةُ المشهورةُ ، الّتي أفرادُها منتشرونَ في مختلفِ الأقطارِ : (حضرموتَ) و(لحج) و(عدنٍ) و(الهندِ) و(الحجازِ) وغيرِها مِنْ سائرِ الأقطارِ .

وفيهمُ العلماءُ والأولياءُ المشهورونَ في الأزمانِ القديمةِ والأخيرةِ كالإمامِ الحسنِ بنِ صالحِ البحرِ ، والإمامِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ محمَّدٍ الجفريِّ المعروفِ بصاحبِ العرشةِ ، والحبيبِ شيخِ بنِ محمَّدٍ الجفريِّ وغيرِ هؤلاءِ ممَّنْ يكثرُ عددُهُمْ ويعسُرُ حصرُهُمْ والمترجمُ لهم في شجرةِ آلِ أبي علويٍّ بنحوٍ مِنْ ثلاثينَ عالماً أو وَليّاً .

وأما أَحمدُ بنُ أَبي بكرٍ الجفريُّ فلهُ ابنانِ أبو بكرٍ وقدِ انقرضَ عَقِبُهُ ، ومحمَّدُ كريكرةُ ولمحمَّدَ كريكرةَ ابنانِ عبدُ اللهِ عَقِبُهُ قِلَّةٌ انقرضوا ، والثَّاني أَحمدُ الكافُ بنُ محمَّدٍ كريكرةَ بنِ أَحمدَ ابنِ أَبي بكرٍ الجفريُّ ، وأَحمدُ الكافُ هذا توفِّي سنةَ (٩١١ هـ) وقضيَّةُ تلقيبِهِ بالكافِ مشهورةٌ لأَحدِ سببينِ مُختلفينِ[1] ، ويتصلُ نسبُ قبيلةِ آلِ الكافِ التي

(١) السببُ الأوَّلُ أنَّهُ اختصمَ معَ رجلٍ فقيلَ إنَّهُ قوسٌ لكونِهِ مِعْوَجّاً في أَحوالِهِ ، فقالَ أحمدُ : أنا كافٌ . يعني أشدُّ اعوجاجاً منهُ ، السببُ الثاني - وهو الأرجحُ - كانَ بينَهُ وبينَ خصمٍ لهُ دعوىٰ شرعيَّةٌ وكانَ قاضِي البلدِ ورعاً لا ينظرُ الخصمينِ بل يأمُرُهما أنْ يقدِّما ما شجرَ بينهما كتابياً ويجعلَ لكلِّ واحدٍ مِنَ الخصمينِ إشارةً بكتابةِ حرفٍ مِنْ حروفِ الهجاءِ علىٰ البطاقةِ التي يقدِّمها للقاضي في شأنِ تلكَ =

ٱشتهرَ كثيرٌ مِنْ أَفرادِها ٱلذينَ هُمْ مِنْ أَفاضِلِ ٱلعلماءِ وٱلأَولياءِ وٱلصُّلحاءِ وٱلوُجهاءِ ، وٱنتشرتْ ذرارِيُّهمْ في أَنحاءِ (حضرموتَ) وبلدانِ (ٱلجزيرةِ ٱلعربيةِ) و(ٱلهندِ) و(إِفريقيا) و(جزائرِ ٱلشرقِ ٱلأَقصىٰ) .

وقدْ ذكرَ وترجمَ صاحبُ ٱلشَّجرةِ ٱلعلويَّةِ لكثيرٍ مِنْ مشاهيرِهِمْ يبلغُ عددُهُمْ نحواً مِنْ ثلاثينَ شخصاً وأَضافَ إِليهِمْ صاحبُ « ٱلتَّعليقاتِ علىٰ شمسِ ٱلظَّهيرةِ » ، نحواً مِنْ عشرينَ .

وسنذكرُ ٱلبعضَ منهُمْ في ٱلمستقبلِ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، وكلُّ مَنْ ذُكرَ في هٰذهِ ٱلكرَّاسةِ ممَّنْ يتَّصلُ نسبُهُ إِلىٰ سيِّدنا أَحمدَ ٱلشَّهيدِ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ فإِنَّهمْ خصوصُ ذرِّيَّةِ ٱبنِهِ محمَّدٍ فقط ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٧٠٦هـ) .

= ٱلدَّعوىٰ ابتداءً أَو ردّاً مِنْ غيرِ أَنْ يُعلِّمَها ٱلقاضي بٱسميهِمَا ، فكتبَ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ ٱلمذكورُ علىٰ بطاقتِهِ حرفَ ٱلكافِ قبلَ أَنْ يُعْرَفَ بٱسمِ ٱلكافِ ، فلمَّا خرجَ ٱلفصلُ في ٱلدَّعوىٰ ، قيلَ : لمنْ هٰذهِ ٱلبطاقةُ ٱلتي عليها حرفُ ٱلكافِ؟ قالَ ٱلسيِّدُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ ٱلمذكورُ : أَنا . فمِنْ حينئذٍ قيلَ لهُ أَحمدُ ٱلكافُ . ٱنتهىٰ « ٱلمعجمُ ٱللَّطيفُ » .

وهوَ ٱلذي يقولُ حفظتُ أَعضائِيَ ٱلسَّبعةَ ما أَصرِفُها إلاَّ في طاعةٍ وهوَ ٱلذي يقولُ ما فعلتُ مكروهاً ولا عزمتُ عليهِ فضلاً عنِ ٱلمعصيةِ . وهوَ ٱلذي يقولُ : إذا رأَيتموني ضاحكاً فكبِّروا عليَّ ، وكانَ قدْ عميَ في آخرِ عمرِهِ ، فصارَ ٱلخضرُ يقودُهُ للجمعةِ ، وكانَ يخرجُ إلىٰ مسجدِ آلِ أَبي علويٍّ في ٱلرُّبعِ ٱلأَوَّلِ مِنَ ٱللَّيلِ ، بعدَ أَنْ يصلِّيَ ٱلمغربَ وٱلعشاءَ أَوَّلاً ، ويمكثُ فيهِ تالياً ومصلِّياً ولا يخرجُ منهُ إلاَّ بعدَ صلاةِ ٱلضُّحىٰ فيهِ ، حتَّىٰ صارَ هوَ وإخوانُهُ ٱلثلاثةُ أَبو بكرٍ وعمرُ وعلويٌّ ، مِنْ طولِ مُكثِهِمْ في ذلكَ ٱلمسجدِ يقال لهمْ : حماماتُ ٱلمسجدِ ، ولعلَّ ٱلمرادَ بها زواياهُ ، أَيْ : كزواياهُ في ملازمتِها للمسجدِ لا تنفكُّ عنهُ ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ كبقيَّةِ إخوانِهِ ٱلمذكورينَ ، لمْ يَمُتِ ٱلواحدُ منهمْ إلاَّ بعدَ أَنْ أَراهُ اللهُ مقعدَهُ مِنَ ٱلجنَّةِ ، أَو ما هٰذا معناهُ ، توفِّيَ هٰذا الإمام العظيمُ بـ(تريمٍ)[1] .

---

(١) محمَّدٌ توفِّيَ سنةَ (٧٨٣/ ٧٤٣هـ) وعمرُ توفِّيَ سنةَ(٧٤٣هـ) وعلويٌّ توفِّيَ سنةَ(٧٤٧/٧٤٣هـ) وأَبو بكرٍ ٱلورعُ سنةَ(٧٠٦/٧٠٥هـ) .

ولم يُعرفْ قبرُهُ كأَخويهِ علويٍّ وعمرَ ، أَمَّا أَبو بكرٍ فقبرُهُ بزنبلَ معروفٌ ، نُبِشَ له قبرُ ٱلإمامِ علويٍّ بنِ محمَّدٍ صاحبِ مرباطٍ ، ودفنَ فيهِ بالقربِ مِنْ مدفنِ أُمِّ ٱلفقراءِ وأَخيهِ عليٍّ .

* * *

عاشراً : زاوية مسجد السقّاف ومسجد العيدروس

بقيَ أَنْ نذكرَ ٱلدَّرسَ ٱلذي كانَ يقيمُهُ ٱلسيِّدُ ٱلعظيمُ ، ٱلوليُّ ٱلقطبُ ٱلجليلُ ٱلحبيبُ ، عبدُ اللهِ بنُ عيدروسَ بنِ علويٍّ ٱلعيدروسُ ، صباحَ كُلِّ يومِ ٱثنينِ مِنْ كُلِّ أسبوعٍ في زاويةِ مسجدِ جدِّهِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بن محمَّدٍ ٱلسَّقَّافِ بـ(تريمِ) ٱلمعروفِ بمسجدِ ٱلرَّاتبِ يقرأُ في ذلكَ ٱلمدرَسِ حصَّةً وافرةً مِنْ كتابِ « إحياءِ علومِ ٱلدِّينِ » للغزاليِّ ، وشيئاً مِنْ كلامِ ٱلسَّلفِ ٱلصَّالحِ ٱلمنثورِ .

ثمَّ الإنشادُ بشيءٍ مِنْ كلامِهِمُ ٱلمنظومِ ، وذلكَ بعدَ أَنْ ينثرَ علىٰ ٱلحاضرينَ ذلكَ ٱلسَّيِّدُ ٱلعظيمُ ، وٱلحَبرُ ٱلعليمُ ، شيئاً مِنْ جواهرِ كلامِهِ ، ودُرَرُ نظمِهِ . ثمَّ يختِمُ ٱلمجلسَ بقراءَةِ فاتحةِ ٱلكتابِ ، ثمَّ ٱلدُّعاءِ وٱلتَّوجهِ إلىٰ ٱللهِ بجلبِ ٱلمنافعِ للمسلمينَ ، ودفعِ ٱلمضارِّ عنهمْ ، ولا أَدري هـٰذا ٱلدَّرسَ أَسَّسَهُ هـٰذا ٱلسَّيِّدُ أَو هوَ والدُهُ ٱلسيِّدُ ٱلوليُّ ٱلنَّويرُ ، ٱلسيِّدُ عيدروسُ بنُ علويٍّ ٱلعيدروسُ ، أَو هوَ آخرُ مِنْ

أَجدادِهِ ٱلقدماءِ فإِنَّ هٰؤلاءِ ٱلسَّادةَ كانَ مِنَ ٱلمشهورِ عنهمْ ، ٱلشَّغَفُ بقراءَةِ كتابِ « الإِحياءِ » .

ويُؤْثَرُ عنهمْ أَنَّ ٱلبعضَ منهم قدْ قرأَهُ أَكثرَ مِنْ أَربعينَ مرَّةً في بيتِهِ لنفسهِ ، ونحوَ هٰذا ٱلعددِ أَو أَكثرَ علىٰ مشايخِهِ في حياتِهِمْ ، وبعدَ موتِهِمْ عندَ قبورِهِمْ . وكما يؤْثَرُ أَيضاً عَنِ ٱلإِمامِ ٱلشَّيخ عَبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ ٱلشَّيخِ عليٍّ بنِ أَبي بكرٍ ٱلسَّكرانِ ، قدْ قرأَهُ مرَّاتٍ تجاهَ قبرِ والدِهِ .

وكانَ ٱلكثيرُ مِنْ أولـٰئِكَ ٱلسَّادةِ ٱلكرامِ ، قدْ كتبَهُ لنفسِهِ بقلـمِ يـدهِ وٱلبعضُ منهـمْ ٱستنسخَـهُ بـالأُجـرةِ ، وذلـك لحرصِهِمْ علىٰ أَنْ تنالَهُمْ ضمانةُ ٱلإِمامِ ٱلسيِّدِ عبدِ اللهِ ٱلعيدروسِ ٱلأَكبرِ ، حيثُ قالَ : أَنا ضمينٌ أَوْ ضامِنٌ علىٰ اللهِ تعالىٰ بالجنَّةِ لِمَنْ كتبَ ٱلإِحياءَ لنفسِهِ ، وفي روايةٍ وقرأَهُ ، وقدْ تسابَقَ ٱلنَّاسُ ممَّنْ كانَ قبلَنا إِلىٰ كتابتِهِ ، وقراءَتِهِ حرصاً علىٰ تلكَ ٱلضَّمانةِ .

ثمَّ إِنَّ ٱلحبيبَ عبدَ اللهِ بنَ عيدروسَ ٱلآنِفَ ٱلذِّكرِ نقلَ ذلكَ ٱلدَّرسَ إِلىٰ مسجدِ ٱلشَّيخ ٱلعيدروسِ نفسهِ وٱستمرَّ بهِ ردحاً مِنَ ٱلزَّمنِ ثمَّ نُقِل إِلىٰ ٱلزَّاويةِ ٱلتي بُنيتْ وأُنشئَتْ لذلكَ

ٱلمسجدِ بجانبِهِ ٱلشَّرقيِّ ممَّا يلي صحنَهُ ، وٱستمرَّ بِها ذلكَ ٱلدَّرسُ مُدَّةً لا أَدري ما قدرُها غيرَ أَنَّهُ أثناءَ هٰذهِ ٱلمدَّةِ ٱنتقلَ إِلىٰ رحمةِ ٱللهِ ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عيدروسَ ٱلمذكورُ ٱلذي هوَ شيخُ ذلك ٱلدَّرسِ ، فحنَّتْ وبكتْ عليهِ ٱلبلادُ وٱلعبادُ وذلك سنةَ(١٣٤٧هـ) ، ثمَّ أَشارَ إِلىٰ أَولادِ ذلكَ ٱلإِمامِ أَحدُ أَهلِ ٱلفضلِ وٱلصَّلاحِ وٱلولايةِ وٱلمعرفةِ باللهِ أَنْ ينقلوا ذلكَ ٱلدَّرسَ في يومِهِ ٱلمأْلوفِ إِلىٰ قبَّةِ ٱلإِمامِ ٱلعيدروسِ ٱلأَكبرِ بـ(تريمِ) ويُقرأَ عندَ قبرِهِ ما كانَ يُقرأُ في ٱلسمجدِ مِنَ ٱلإِحياءِ وغيرِهِ ، ويُضَمَّ إِلىٰ ذلكَ قراءَةُ ٱلمتيسِّرِ مِنْ كتابِ « ٱلمهذَّبِ » في ٱلفقهِ للإِمامِ أَبي إِسحاقَ ٱلشِّيرازي ، فٱمتثلوا أَمرَ ذلكَ ٱلمرشدِ لهمْ ، فنقلوا ذلكَ ٱلدَّرسَ إِلىٰ ٱلقبَّةِ علىٰ أَنَّني في شكٍّ ٱلآنَ ، هلْ كانَ ذلكَ ٱلانتقالُ هوَ في حياةِ ٱلحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ عيدروسَ أَو بعدَ مماتِهِ ، وٱلأَقربُ إِلىٰ ٱلذِّهنِ هوَ ٱلثاني كما يتسرَّبُ ٱلشَّكُّ إِليَّ أَيضاً ، أَموتُهُ كانَ قبلَ نقلِهِ إِلىٰ ٱلزَّاويةِ ٱلجديدةِ أم بعدُ؟ وسنُجري ٱلتَّحقيقَ في ذلكَ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

ثمَّ إِنَّهُ لمَّا نقلوا ذلكَ ٱلدَّرسَ إِلىٰ ٱلتُّربةِ تجاهَ قبرِ ٱلإِمامِ ٱلعيدروسِ وعَزموا علىٰ أَنْ يضمُّوا إِلىٰ قراءَةِ « ٱلإِحياءِ » في

ذلكَ ٱلدَّرسِ قراءَةَ شيءٍ مِنْ كتابِ « ٱلمهذَّبِ » كما أشارَ إليهمْ ذلكَ ٱلمرشدُ ٱمتثالاً لإشارتِهِ ، عملاً بما كانَ ٱلإمامُ ٱلعظيمُ ٱلحبيبُ أحمدُ بنُ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلعطّاسُ يوصي بهِ طلبةَ علمِ ٱلفقهِ أَنْ يجعلُوا قراءَتَهُمْ في « ٱلمهذَّبِ » و« ٱلتَّنبيهِ » ونحوِهما مِنْ كتابِ ٱلإمامِ ٱلرَّافعيِّ وٱلنَّوويِّ وغيرِهما مِنْ علماءِ ٱلفقهِ ٱلأَقدمينَ ، وذلكَ لما في كتبِهِمْ مِنَ ٱلنُّورِ ٱلكثيرِ وٱلسِّرِّ ٱلعظيمِ ، مَعَ أَنَّها سهلةُ ٱلتَّعبيرِ يعرفُها ويفهمُها ٱلصغيرُ وٱلكبيرُ ، ليسَ فيها تعقيدٌ ، وضميرُ مرجعِهِ بعيدٌ ، معَ أَنَّ فيها ٱلدَّليلَ وٱلتَّعليلَ ، وٱلأَقوالَ وٱلأَوجُهَ ٱلتي ليستْ بضعيفةٍ ولربَما ٱحتاجَ إلىٰ ٱلعملِ بها ٱلمضطرُّ وٱلضعيفُ وٱلمريضُ .

وكمْ مِنْ مِثلِ هٰذا يوصي بهِ ٱلحبيبُ أحمدُ بنُ حسنٍ ٱلعَطّاسُ ٱلآنفُ ٱلذِّكرِ تسهيلاً للخلقِ بدينِهِمْ لئَلاَّ يَعملوا بخلافِ ما يقتضيهِ ٱلشَّرعُ ٱلسَّهلُ ٱلحنيفيُّ ٱلفسيحُ ، فإِنَّهمْ إذا رأَوا ما يضيِّقُ عليهمْ مِنَ ٱلأَقوالِ ٱلشَّديدةِ ربَما تَركوا ٱلعملَ بها ، وجعلُوا يعملونَ علىٰ غيرِ هدىً في دينِهِمْ يخبطونَ خبطَ عشواءَ ويركبونَ متنَ عمياءَ ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بٱللهِ .

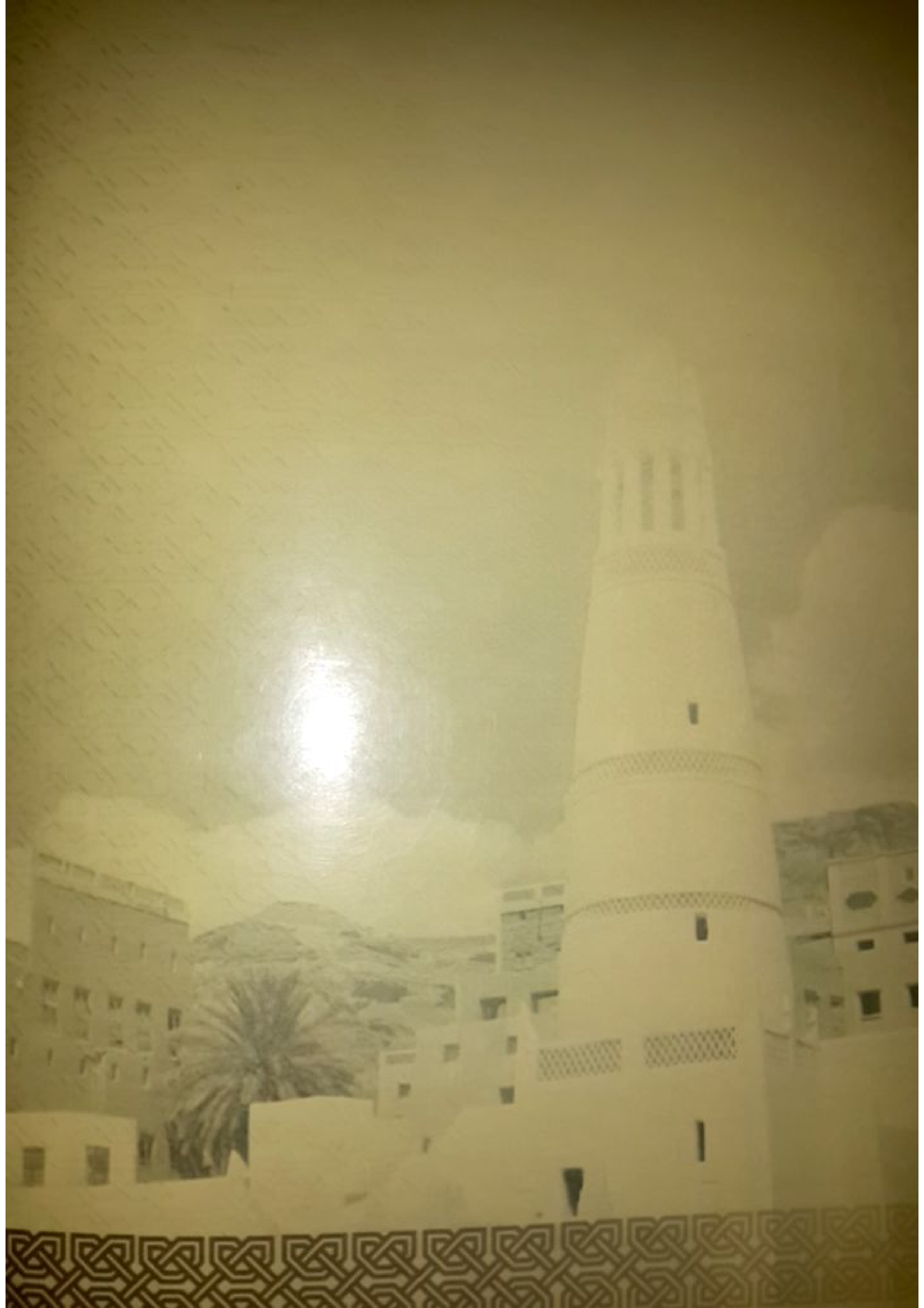
ثمَّ ما كانَ مِنْ أمرَ أولـٰئِكَ ٱلسَّادةِ ٱلكرامِ حينَما عزمُوا علىٰ قراءةِ كتابِ « ٱلمهذَّبِ » إلاَّ أنَّهمْ طلبُوا مِنَ ٱلشَّيخِ ٱلعظيمِ ٱلعالمِ ٱلعلاَّمَةِ ٱلفقيهِ ٱلمفتي أبي بكرِ بنِ أحمدَ ٱلخطيبِ ٱلبكريِّ أنْ يحضرَ ٱلدَّرسَ ليكونَ هوَ ٱلمرجعَ لحلِّ ما يشكلُ مِنَ ٱلعبائرِ ، فحضرَ ذلكَ ٱلشَّيخُ وحضرُوا فكانَ ذلكَ ٱلدَّرسُ إلىٰ أحسنِ ما يرامُ مِنَ ٱلهيبةِ وٱلجلالِ وتوضيحِ ٱلمسائلِ ولا زالَ هـٰذا ٱلدَّرسُ مستمرّاً حتَّىٰ ماتَ أساطينُ ذلكَ ٱلمدرَسِ ، فركَدَ وفترَ إلىٰ أنْ قيَّضَ ٱللهُ لهُ ٱلولدَ ٱلأديبَ ٱلنَّجيبَ ٱلسَّالكَ طريقَ سلفِهِ ٱلأقدمينَ ٱلصَّالحينَ وٱلمحيي لما ٱندرسَ مِنْ معاهِدَ ودروسِ أهلِهِ ٱلمتَّقينَ ٱلسَّيِّدَ محمَّداً ٱلملقَّبَ سعدَ بنَ علويِّ بنِ عمرَ ٱلعيدروسَ فقامَ بذلكَ ٱلدَّرسِ أتمَّ قيامٍ ومشىٰ فيهِ علىٰ ما مشىٰ فيهِ أهلُهُ ٱلكرامُ بالتَّمامِ علىٰ أحسنِ ما يُرامُ ، وهوَ ٱلذي يتولَّىٰ ٱلتَّصدرَ فيهِ وينفقُ عليهِ ٱلمصاريفَ مِنْ جيبِهِ أوَ مِنْ أحدِ أهلِ ٱلكرمِ وٱلفضلِ ، كَما قامَ ذلكَ ٱلولدُ أيضاً بإحياءِ ٱلمجلسِ ٱلذي كانَ يجلسُهُ عمُّ أبيهِ ٱلعارفُ باللهِ عبدُ ٱللهِ بنُ عيدروسَ ٱلعيدروسُ ٱلآنفُ ٱلذِّكرِ في صباحِ كلِّ يومِ خميسٍ مِنْ كُلِّ أُسبوعٍ في مسجدِ آلِ أبي علويٍّ بـ(تريمِ) للقراءةِ في

صحيح ٱلبخاريِّ ، وكانَ ٱلحبيبُ عبدُ اللهِ ٱلمذكورُ هوَ ٱلمتصدِّرَ بتلكَ ٱلقراءَةِ في ذلكَ ٱلمسجدِ يحضرُها ٱلكثيرُ مِنَ ٱلقرَّاءِ وغيرِهِمْ مِنَ ٱلمستمعينَ للحديثِ وسماعُهُمْ لَهُ يقتضي منهمُ ٱلصلاةَ علىٰ ٱلنَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عندَ سماعِ ذكرِهِ عليهِ ٱلصَّلاةُ وٱلسَّلامُ ، فهمْ يستفيدونَ مِنْ مجلسِهِمْ هٰذا معَ معرفةِ ما تفيدُهُ معاني أَلفاظِ ٱلحديثِ مِنَ ٱلأَحكامِ ٱلشَّرعيَّةِ وٱلحكاياتِ ٱلنَّبويَّةِ وثوابِ ٱلصَّلاةِ وٱلسَّلامِ عندَ ذكرِهِ ، وإِضافةً إِلىٰ ذلكَ ثوابَ ٱعتكافِهِمْ في ٱلمسجدِ إِذا نَووهُ ومُكثِهِمْ فيهِ متوضِّئينَ ذاكرينَ اللهَ تعالىٰ فلا يَردُ ما يُقالُ ويُنقلُ عنْ بعضِ ٱلمتفقِّهةِ مِنْ أَنَّهُ لا فائِدةَ مِنْ قراءَةِ ٱلحديثِ سرداً ولا ثوابَ لقارئِهِ كذلكَ ، فأَنْ نقولَ إِنَّ مِنَ ٱلمجرَّبِ أَنَّ مِنْ بركةِ قراءَتِهِ تُستنزلُ بهِ ٱلأَمطارُ ، وتُعمرُ بهِ ٱلدِّيارُ ، ويُرفعُ بهِ ٱلبلاءُ وٱلوباءُ وجميعُ أَنواعِ ٱلشَّكوىٰ مِنَ ٱلظَّالمينَ وٱلسَّلاطينِ وٱلشَّياطينِ ، كمَا هوَ مجرَّبٌ في قراءَتِهِ لا سِيَّما قراءَةَ صحيحِ ٱلبخاريِّ فإِنَّ قراءَتَهُ ترياقٌ لهٰذهِ ٱلأَدواءِ وعليهِ عملُ ٱلأَسلافِ في ٱلأَقطارِ كلِّها خلافاً لِمَنْ شذَّ وندَّ وجرىٰ علىٰ غيرِ ٱلمُعتَمدِ .

* * *

الفهرست

المحتويات	الصفحة





زاوية العيدروس العلمية

بحوطة آل أبي علوي بتريم